
القوة
الرابعة
الفريق محمد على فهمى

القوة الرابعة

القوة الرابعة

تاريخ الدفاع الجوى المصرى

تأليف

الفريق محمد على فهمى

القوة الرابعة

السيد الرئيس محمد أنور السادات



الإهداء

الى شهداء الدفاع الجوى الأبرار الذين بدمائهم قامت الأمجاد ...

الى رجال الدفاع الجوى القدماء الذين افنوا زهرة عمرهم ليقوم البنيان ...

الى رجال الدفاع الجوى الرابضين الآن فى مواقعهم ليل نهار ...

الى رجال الدفاع الجوى الجدد الذين بهم تتعلق الآمال .

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الشعب وعرفانا بما ادته قوات الدفاع الجوى بالجبهة فاننى اهدى لعلمها وسام الجمهورية العسكرى .

ان شعبنا سيظل مدينا لهؤلاء الرجال الذين صمدوا وضحوا فى سبيل عزة الوطن وكرامته . تحيتى لجميع مقاتلى الدفاع الجوى من الضباط والصف والجنود باسم شعبهم وباسمى تقديرا وعرفانا .

انور السادات

محتويات الكتاب



الرئيس محمد أنور السادات وإلى يساره الفريق محمد على فهمى

تمهيد ...

القوة الرابعة
تاريخ الدفاع الجوى المصرى

• كان ذلك فى يوم ٢٣ يونيو عام ١٩٦٩ وعلى وجه التحديد فى الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر حينما أعلنت بصدور القرار الجمهورى بتعيينى قائدا للدفاع الجوى .

وكان ذلك أول مولد للقوة الرابعة فى القوات المسلحة المصرية بقائد وقيادة منفصلة ، قوة رابعة تقف فى شموخ بجانب القوات الثلاث البرية والبحرية والجوية .

.. خرجت يومها وانا احمل مسئولية حماية المجال الجوى لسماء مصر ضد اقوى قوة لدى العدو .. الذراع الطويلة التى يعربد بها فى المنطقة ويتفاخر ويتباهى بها .

وقد نظرت يومها الى السماء وتطلعت اليها فوجدت أنها فسيحة مترامية الأطراف متسعة الأبعاد اتساع مسئوليتى الجديدة، فقد اصبحت مسئولا عن اكتشاف وتدمير اى طائرة معادية نطير فى هذا المجال الجوى الفسيح .

.. وتزاحمت الصور والأفكار فى مخيلتى ، فى سيناريو متكامل يحكى قصة كفاح طويل ومرير لم يحقق هدفه بعد .. وأصبح على كتفى وعلى سواعد رجال الدفاع الجوى .. القوة الرابعة القوة الفتية تحقيق هذا الهدف .

ثم سرح بى الفكر وطاف بى الخيال على المدرسة والمصنع والكوبرى ومنشآت الصناعة والرى والأماكن الآهلة والمكتظة بالسكان .. فكلها اهداف حيوية فى قطاع مسئوليتى الجديدة وعلى قوات الدفاع الجوى توفير الحماية لها ضد العدو الجوى وهجماته .

ولم يفتنى أن أضع على قمة هذه المسئولية توفير الحماية للتجميع الرئيسى لقواتنا البرية فى المراحل المختلفة للمعركة الهجومية .. معركة التحرير .

وسارت العجلة وسط طريق شاق ملىء بالصعاب ومارست أدق مراحل قيادتى لقوات الدفاع الجوى فى مرحلة العمل والاعداد الجدى للمعركة .. ومازلت فى هذا المجال أذكر كلمات قائدنا الأعلى الرئيس محمد انور السادات فى احدى اللقاءات قبل المعركة :

« قواتك يامحمد وقوات حسنى هما الركيزة فى معركتنا القادمة وانا على ثقة انكما ستخوضان معركة ناجحة مع العدو الجوى علشان ولادى تعدى وتعبر الى سيناء وتقاتل هى الأخرى معركة ناجحة باذن الله .. »

كلمات بلورت مهمتنا فى اختصار مفيد .. كلمات اعطتنا قـــوة دافعة وثقة فى النفس لمزيد من العمل والجهد الخلاق لتحقيق الهـدف المنشود .. لتحقيق النصر فى المعركة .

واذا كان المولى عز وجل قد نصر عبده واعز جنده فى معركـــة الدفاع الجوى فى حرب العاشر من رمضان فان الفضل فى ذلك يرجـع اولا واخيرا بعد توفيق من الله الى صاحب القرار الشـجاع الرئيس محمد أنور السادات والى شهداء الدفاع الجوى الأبرار الذين جـادوا بالدماء والى الجرحى الذين اثخنت اجسادهم بالجـراح وسـجلوا فى سـجل الشرف والفخار البطولات والأمجاد .. والى المقاتل الذى أبلى بلاء حسنا فى ساحة القتال فصـمد وضحى وحقق المعجزات .. انـه الماضى كتاريخ وكخلفية لقصة هذا الكفاح .. والحاضر كحقيقة عشـناها وحققنا فيها الكثير من المنجزات والأمجاد فى حرب العاشر من رمضان ، والمستقبل المشرق الذى نخطط له .. انهـا قصة القوة الرابعـة كمـا ترويهـا صفحـات هذا الكتاب فى اسـلوب يمكن أن يستوعبـه المدنى والعسكرى على حد سـواء ، سائلين المولى العون والتوفيق والسـداد تحت راية زعيمنا وقائد مسيرتنا قائدنا الأعلى الرئيس المظفـر محمـد أنور السادات .

والعـزة والمجـد لمصر

فريق / محمد على فهمى
رئيس اركان حرب القوات المسلحة
وقائد قوات الدفاع الجوى فى حرب العاشر من رمضان

القسم الأول
التاريخ والخلفية

* الفصل الاول : نشأة الدفاع الجوى .
* الفصل الثاني : نشأة وتطور القـوات الجوية الاسرائيلية .
* الفصل الثالث : الجولات والمعارك التى خاضها الدفاع الجـوى حتى عـام ١٩٦٧ .

الفصل الأول

نشأة الدفاع الجوى

- مقدمـــة .
- نشأة المدفعية المضادة للطائرات .
- البداية المشرقة .
- السباق نحو القمـــة .
- الدروس المستفادة من معارك الحـــرب العالمية الثانية .

نشـــأة الدفـــاع الجـــوى

مقـدمــــة :

ترجع نشأة قوات الدفاع الجوى الى بداية الحرب العالمية الثانية فبعد أن حصلت مصر على استقلالها المحدود عام ١٩٣٦ بدأت فى العمل على تقوية الجيش عدة وعتادا ، ولـم يكن أمامها من مورد للسلاح فى ذلك الوقت سوى المصدر التقليدى الذى تحصل منـه على الســـلاح وهــو المملكة المتحــدة .

ولقد كانت أحداث عام ١٩٣٦ أولى البوادر على أن منطقة الشرق الأوسط ستكون أحد الميادين الرئيســية للحرب العالمية الثانية ، ففى هذا العام غزت ايطاليا الحبشة واستولت عليها مما أوجـد لأول مـرة منذ حملة نابليون على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر موقفا شائكا للمملكة المتحــدة فى منطقة الشرق الأوسط .

لقد ادى احتلال ايطاليا للحبشة ومالها من سيطرة تامة على ليبيا الى احكام قبضتها على منطقة وسط البحر الأبيض المتوسط خلال مضيق صقلية بالاضافة الى تحكمها فى مدخل البحر الاحمر من الحبشة وبذلك ظهرت كعامل مؤثر على السيادة البحرية للمملكة المتحدة فى كلا البحرين وبدات من ذلك المنطلق تعمل على اضعاف النفوذ البريطانى بشتى الطرق فى منطقة الشرق الأوسط .

لقد رأت مصر فى ذلك الوقت ، وفى ضوء الدور الذى ظهر للطيران فى حرب الحبشة ـ بالرغم من انه كان فى ذلك الحين مازال سلاحا جديدا لم يكتمل نضوجه ـ أن تعمل على انشاء قوة محدودة من المدفعية المضادة للطائرات تمكنها من الدفاع عن مدنها الرئيسية ومراكزها الاقتصادية القائمة فى القاهرة والأسكندرية ضد أى هجمات قد توجه ضدها بواسطة هذا السلاح الجديد الذى يستطيع نقل المعركة الى عمق البلاد .

* نشاة المدفعية المضادة للطائرات

بدات مصر فى تكوين اول نواة للمدفعية المضادة للطائرات عام ١٩٣٨ ، ولجات فى ذلك الى موردها التقليدى فى السلاح فكان أن تم انشاء أول آلاى مضاد للطائرات وتم تسليحه بأسلحة متخلفة من اسلحة الحرب العالمية الاولى وهى المدافع ٣ بوصة المضادة للطائرات ثم دعمت قوة المدفعية المضادة للطائرات بعد ذلك بآلاى آخر من نفس التسليح فأصبح الموجود منها آلايين مضادين للطائرات .

ولكن ما حقيقة هذا التسليح الذى زودت به أول نواة للمدفعية المضادة للطائرات المصرية ؟

لقد ظهر المدفع ٣ بوصة المضاد للطائرات الى حيز الوجود عام ١٩١٦ للتعامل مع الطائرات التى بدا استخدامها فى الحرب لأول مرة ولقد كانت الطائرات بطيئة جدا فلم تتجاوز سرعتها ١٠٠كم/ساعة ، وكان عليها لكى تحقق ضرب الأغراض المحددة لها أن تلتزم بالطيران على ارتفاع منخفض حيث لايتيسر لها اى أدوات تنشين تمكنها من ضرب أهدافها من مسافات بعيدة أو ارتفاعات عالية .

هذا هو نوع التسليح الذى زودت به المدفعية المضادة للطائرات المصرية عند بدء تشكيلها ونظرا لان هذه المدافع لا يمكنها الاشتباك

ليلا ، اذ لم يكن الرادار قد بدأ استخدامه فى النواحى العسكرية ، فلقد تم تكوين ٢ آلاى انوار كاشفة زودت هى الأخرى ببواعث انوار كاشفة قطر ٩٠ سم من مخلفات الحرب العالمية الأولى .

ومنذ ذلك العام ، عام ١٩٣٨ ، يمكن القول أن المدفعية المضادة للطائرات بشقيها المدافع والأنوار قد بدأت فى الظهور الى حيز الوجود واصبحت فرعا من فروع المدفعية .

ولكن هل ماسلحت به المدفعية المضادة للطائرات المصرية من سلاح كان يعتبر تسليحا مناسبا للدور المنتظر ان تؤديه والمطلوب منها والحرب العالمية الثانية على الأبواب ؟ .

ان ماسبق أن أوضحناه من خصائص للطائرات التى صمم هذا التسليح للتعامل معها يوضح لنا من أول وهلة عدم ملاءمة هذا التسليح للدور المنتظر أن يؤديه ، فلقد أدخلت خلال الفترة بين الحربين الأولى والثانية ، العديد من التطورات على صناعة الطائرات وأيقن الطرفان المتحاربان بمجرد توقيع معاهدة الصلح فى فرساى مدى أهمية الطائرة فى أى حرب مقبلة . وما أن تم فك القيود المكبلة لألمانيا بمقتضى معاهدة فرساى حتى بدأت من جانبها فى التفكير الجدى فى هذا السلاح الجديد الذى كان سببا فى هزيمتها كما تخيلت . وكان هذا الاتجاه من ألمانيا حافزا للطرف الآخر ليقوم من ناحيته أيضا بالعمل الجاد لتطوير صناعة الطائرات . ولم يكد ينتصف العقد الثالث من القرن العشرين حتى ظهرت نوعيات جديدة من الطائرات تختلف تماما فى سرعتها وقدرتها على اصابة أغراضها عن تلك الأنواع التى صمم على أساسها المدفع ٣ بوصة ، الذى سلحت به المدفعية المضادة للطائرات المصرية والتى لم يكن أمامها خيار فى غيره فلقد فرض عليها من مورد السلاح الوحيد المتيسر لها .

من ذلك نستخلص ان هذا التسليح لم يكن ندا للتعامل مع الطائرات التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية . حقيقة لقد تمكن من التعامل مع النوعيات التى استخدمت فى أوائل الحرب ، الا أنه لم ينجح فى التعامل مع النوعيات المتقدمة من الطائرات التى ظهرت بعد ذلك على ضوء الخبرة المكتسبة من معارك بولندا .

لم تمهل الحرب العالمية الثانية هذا السلاح الوليد كى يقوم ويشتد عوده . فلم يكد يبدا عام ١٩٣٩ حتى لاح شبح الحرب واصبحت متوقعة بين يوم وآخر ولكن كيف يجابه هذا السلاح الجديد المهام التى ستوكل اليه ؟ هذا السلاح الذى مازال فى حداثة تكوينه فالمدفعية المضادة للطائرات كعلم وفن تعتبر جديدة على المدرسة العسكرية المصرية وقتئذ ، وهى ليست من العلوم السهلة التي يمكن ادراكها وفهمها بسرعة . فهى تقاتل عدوا يختلف عن باقى الأسلحة الأخرى فى حجمه وفى سرعته وفى أسلوب قتاله ، عدوا يستلزم وجود العديد من الأجهزة والمعدات الحاسبة لتحديد محله المنتظر الذى يجب أن تتقابل فيه دانة المدفع مع الطائرة ، مهمة ليست سهلة وخاصة اذا علمنا أن تحديد هذا المحل المنتظر يستلزم العديد من المعادلات الرياضية يشترك فى حلها العديد من الاجهزة والمعدات الحاسبة . وجميع هذه المعدات يعمل عليها أفراد ، وأى خطأ فى عملها ولو بسيط يقود الى خطأ جسيم فى تحديد المحل المنتظر الذى تتعلق به آمال رجال المدفعية المضادة للطائرات اذ فيه ينبغى أن تتلاقى دانة المدفع مع الطائرة والا فلن تتحقق المهمة ..

لقد كانت العوامل السابقة مع قرب شبح الحرب ، وحداثة علم المدفعية المضادة للطائرات ووجود الرغبة الصادقة لدى ضباط المدفعية المضادة للطائرات — وكلهم وقتئذ من صغار الرتب — فى الوصول بسلاحهم الى اعلى مستوى سببا ودافعا للجميع للعمل الدءوب المتواصل

في سبيل تحقيق واجبهم تجاه وطنهم والدفاع عنه ضد أى هجمات جوية تقوم بها أى دولة من دول المحور (المانيا وايطاليا) .

كل هذه العوامل والانفعالات الوجدانية ، فجرت الطاقات وشحذت الهمم واصبح العمل والتدريب ميدانا يتسابق فيه الجميع ليلا ونهارا فلم يلههم الليل بظلامه أو الصحراء بما تفرضه من قسوة عن التدريب الشاق المتواصل لانضاج هذه الوحدات حديثة التشكيل حتى وصلت الى مستوى عال من الكفاءة القتالية قبل أن تنشب الحرب .

.. وفى غمرة هذا العمل الخلاق اندلعت الحرب العالمية الثانية فى مطلع سبتمبر ١٩٣٩ والقى عبء الدفاع عن القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس على عاتق وحدات المدفعية المضادة للطائرات المصرية .

* البداية المشرقـة

دخلت المدفعية المضادة للطائرات معارك الحرب العالمية الثـانية وهى لاتزال فى بدء نشأتها وخاضت معارك الدفاع الجوى عن المـدن الاربع الرئيسية القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس ، والتـى كانت لها اهمية خاصة من ناحية الكثافة السكانية والامكانيات الصناعية التى كانت قائمة بها بالاضافة الى ما تؤديه كل منها من دور كبير فـى خدمـة الاقتصـاد المصرى .

ولم يكد ينتهى الربع الأول من عام ١٩٣٩ حتى بدأت الوحـدات فى احتلال مواقعها سواء وحدات المدفعية المضادة للطائرات أو وحدات الأنوار الكاشفة حول المدن الأربع واخذت منذ بداية الغزو الايطـالى للأراضى المصرية فى التصدى للهجمـات الجـوية الايطالية ثم الايطاليـة الألمانية فيمـا بعد .

لقد دخلت ايطاليا الحرب بجانب حليفتها المانيا وهى تمتلك سلاحا جويا وان كان كبير الحجم الا انه كان سلاحا غير متطور ، وفاعليته تكاد تكون محدودة ، بينما دخلت المانيا الحرب وهى تملك سلاحا جويـا قويا عماده فى ذلك الوقت الطـائرات هنيـكل ١١١ ، جونكرز ٨٧ ،

جونكرز ٨٨ ، ومسرشميدت ١٠٩ ، ١١٠ . وكـانت الطائرة جونكرز ٨٧ المسماة « ستوكا » هى أقواها واخطرها ، تلك الطائرة المنقضـة والتى كانت تنقض على اهدافها بزاوية غطس قدرها ٩٠ درجة تقريبا وذلك فى حركة بهلوانية تتم آليا ولا تسـتغرق من الوقت الا ثوانـى معـدودة .

بدات الهجمات الجوية على مصر أولا بالطـائرات الايطـالية وذلك على الاسكندرية والقاهرة والسويس ، ونظرا لضعف نوعيـة الطائرات كما سبق ان أوضحنا علاوة على ضعف مستوى الطيارين فلم تتمكن الطائرات الايطالية من تنفيذ أية مهام ناجحة ضد المدن المصرية الثلاث ، اللهم الا بعض اعمال التدمير المحدودة لبعض المناطق السكانية يقابلها اسقاط عدد لا بأس به من الطائرات المعادية .

لقد نجم عن هذا الموقف تأثر الموقف العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط لغير صالح دول المحور وخاصة فى مسرحى القتال المجـاورين لمصر وهما مسرحا العمليات فى الصحراء الغربية واريتريا فتداركت القيادة العليا لدول المحور الأمر وقررت الزج بسلاح الطيران الألمـانى فى غارات وحشية على مصر لاحداث التأثير المعنوى والمادى الذى كـانت ترجـوه .

وتبعا لذلك بدات الغارات المكثفة على مدن مصر الرئيسية وخاصة الاسكندرية وكانت أول غارة كبرى توجه اليها تلك التى تمت خـلال يونيو ١٩٤١ . فقد اشتركت فى هذه الهجمة نحو ١٠٠ طائرة واستمرت نحـو ثمـانى ساعات .

لقد أنزلت هذه الهجمة خسائر كبيرة بالأرواح والممتلكات ولكنها لم تصب الأغراض العسكرية التى كانت المقصودة أصـلا بأى أضرار فلم تصب الميناء أو المرافق المختلفة للمدينة .

لقد قامت المدفعية المضادة للطائرات المصرية فى هـذه الهجمـة الجوية ـ وكانت أول غارة من نوعها تتم بمثل هذا العـدد الكبير من الطائرات ـ بجهد كبير واقامت سـتارا مهلكا من النيران فى وجـه الطائرات المغيرة جعل قنابلها تتساقط بعيدا جدا عن أى أغراض . أضف الى ذلك دورها الذى أدته فى اضاءة الطائرات المغيرة مما جعلها تقـع فريسة سهلة لرجال المدفعية المضادة للطائرات فعملوا على تدميرها وكان لهم فى ذلك نصيب وافر فى هذه الليلة .

لقد كانت هذه أول هجمة جوية كبرى على مدينة مصرية وأول تجربة ناجحة يثبت فيها السلاح الجديد قدرته وامكانياته .. حقيقة ان المدافع التى كانت فى حوزتنا من أسلحة الحـرب العالمية الأولـى ونظريتها اذا قيست بالنظريات الحالية تعتبر بدائية الا أن المقاتل المصرى ذلك الرجل الذى انتصر عبر التاريخ الطويـل تمكن بذكائه وقدرتـه ومهارته ودأبه المتواصل على العمل من التغلب على هذا التخلف الموجود فى المعدات بوسائل مبتكرة فنية وتكتيكية مكنته فى النهاية من أن يسقط فى هذه الهجمة العديد من الطائرات .

لقد كان نجاحا لا يعادله نجاح لسلاح جديد .. كان نجاحـا باعثا للجميع على المضى قدما فى تدعيمه بكل الجهود والطاقات .

ومازال فى ذاكرتى حادثة قد تبدو الآن بسيطة وطريفة ، ولكنهـا وقتها سببت الكثير من الارتباك والحيرة للقيادة البريطانية .

ففى الأيام الأخيرة من شهر يونيو سنة ١٩٤٢ كان موقف الحلفاء فى الصحراء الغربية بالغ السوء ، فقواتهم تتراجع منسحبة الى العلمين بعد سقوط طبرق فى أيدى قوات المحور التى أخذت تطارد فـلول الجيش الثامن البريطانى المنسحب ولقد انعكس ذلك الموقف على قيادة البعثة العسكرية البريطانية فى الاسكندرية ، فلقد أصبحت الاسكندرية

نفسها مهددة لكل احتمال .. وفى ظل هذا الجـــو المشحون بالقلـق والتوتر ابلغت احدى نقاط المراقبة عن انزال بحرى المانى على جزيـرة نيلســـون بأبى قير ، وعلى الفور تكهرب الجو واعلنت اقصى درجـات الاستعداد وصدرت التعليمات بتجهيز الخطط الســابق اعدادها لصـد الابرار البحرى ، واخذ اعضاء البعثة العسكرية البريطانية يعـدون أوراقهم ووثائقهم للحرق ، وصدرت الأوامر لمواقع المدفعية المضـــادة للطائرات بالانتقال الى المواقع التبادلية وأن تعطى الأسبقية لمهام الضرب البحرى والأرضى .

وانقضت تسعون دقيقة منذ وصول البلاغ الخطير كانت مشحونة بالتعليمات والأوامر والحركة المحمومة فى كل اتجاه ، وخلالها كان قـد تم دفع مجموعة استطلاع الى خليج أبى قير للتحقق من الامر وتقدير قوة الانزال البحرى المعادى ، وفوجئنا وفوجىء الجميع عندما اتضح ان ما ابلغ عنه كانزال بحرى المانى لم يكن فى الحقيقة الا مجمـوعة مـن قوارب الصيادين المصريين ..!

وبالطبع فانا لم أقصد من سرد هـذه الحادثة طرافتهـا ولكنى قصدت ما فيها من مغزى : فهى مثال واضح لمايطلق عليه «ضباب المعركة» « Fog of war » وهو أمر وارد فى كل حـــرب وفى كل العصـور ، ويجب على القائد الناجح ان يضع هذا الأمر فى اعتباره دائما خاصـة عندما يتعقد الموقف وتتوتر الأعصاب لتكون قراراته فى المعركة دائمـا قرارات صائبة وفقا لمعلومات مؤكدة .

* السـباق نحـو القمـة

ادى نجاح وحدات المدفعية المضادة للطائرات فى صـد الهجمـة الجوية المركزة لدول المحور على الاسكندرية واسقاط عدد لا بأس بـه من الطائرات الى العمل على تعزيز النجاح بفرض تثبيت اقدام السـلاح الجديد من ناحية واثبات قدرة المصريين من ناحية أخرى على العمل على المعدات المعقدة رغم حداثتها فى أيديهم . ولقد كانت الهجمات الجوية التى لا تكاد تنقطع هى العون الاكبر على اكتساب الخبرة العملية للتعرف على نقائض المعدات والعمل على استكمالها ودراسة أسباب القصـور التكتيكى فى التعامل مع العدو وايجاد الأسلوب الأمثل الذى يؤدى فى النهاية الى تدميره .

فمن خلال نتائج الهجمات الجوية والرغبة التى سيطرت عـلى الجميع فى احراز السبق فى اسقاط أكبر عـدد مـن الطائرات بدأت المنافسة بين الجميع وذلك على مستوى الوحدات والوحدات الفرعية الصغرى وأتخذ التدريب والنقاش والابتكار طريقه بسرعة بين الجميع . كان الجميع يؤدون دورهم بلا كلل أو ملل ، وبحذق وفعالية ، والجميع يعمل والجميع يفكر والكل يريد الوصول الى القمة .. كانت الوحدات الفرعية اشبه ماتكون بخلية النحل ، الكل يعمل فى صمت وفى الطريق المحـدد له .

وبهذا الأسلوب مع التطبيق العملى بصورة مستمرة نتيجة لهجمات دول المحور التى لم تنقطع عن المدن المصرية ليلا ونهارا نضجت الوحدات ووصلت الى مستوى مرموق من الكفاءة القتالية وليس أدل على ذلك من نجاحها المتتالى فى تدمير الطائرات المغيرة سواء على القاهرة أو الاسكندرية أو بورسعيد .

ولكن كيف تم ذلك ؟ لقد أقبل أكثرية الضباط على المعلومات الفنية والتكتيكية بشغف ونهم يستزيدون من العلم حيثما وجدوا اليه سبيلا . وليس أدل على ما بذل من جهد فى سبيل الاستزادة من العلم أن ظهر بين الضباط المصريين الكثير من المستويات العلمية المرتفعة بل قام عدد منهم باحداث تعديلات جذرية سواء فى المعدات أو فى أسلوب الاشتباك . بل ان الأمر تعدى ذلك الى أن أحد الضباط المصريين اخترع جهازا حاسبا تمت تجربته بنجاح ، الا انه لم ير النور ولم يخرج الى حيز التنفيذ للمعوقات التى كانت السمة الغالبة لاسلوب العمل فى أجهزة الدولة قبل الثورة .. وكم كان الأمر مثيرا للدهشة والاسى فى نفس الوقت عندما فوجئنا بأن الحاسب الذى تم وروده عام ١٩٥٦ مع أول صفقة للأسلحة السوفيتية بعد الثورة عبارة عن صورة طبق الأصل فى نظريته واسلوب عمله لما سبق وأن اخترعه أحد ضباط المدفعية المضادة للطائرات المصريين فى الأربعينات .

حاولت مصر فى ضوء تطور التسليح الذى لازم المدفعية المضادة للطائرات والذى انبثق من خبرة الحرب العالمية الثانية أن تطور مدفعيتها المضادة للطائرات فلجأت الى موردها التقليدى فى السلاح ـ انجلترا ـ حيث استبدلت نفس العدد من البطاريات الموجودة من المدفعية المضادة للطائرات ٣ بوصة بأخرى عيار ٣ر٧ بوصة بعضها ثابت والآخر متحرك. وكم كان المورد ذكيا حيث كان معظم التسليح من النوع الثابت الذى لا يستخدم الا بعد تثبيته بالارض تماما وليس من الإنواع المتحركة

التى تستخدم فى أى مكان ويمكنها أن تؤدى أى مهمة ارضية أو جوية تكلف بها . ولكن هذا هو حال مصدرى السلاح ، دائما لهم اهداف واستراتيجيات غير معلنة يعملون على تحقيقها .

لقد استمرت وحدات المدفعية المضادة للطائرات ــ على قلتها ــ تؤدى دورها بكفاءة فى وقاية المدن الرئيسية ويكفى أن نعلم انها تمكنت من الدفاع عن ميناء الاسكندرية ضد العديد من الهجمات الجوية التى كانت تتم يوميا تقريبا لقرب الاسكندرية من مسرح القتال فى الصحراء الغربية واستعمالها كقاعدة امداد للقوات البريطانية التى كانت تعمل بذلك المسرح . ويكفى المدفعية المضادة للطائرات المصرية فخرا انه خلال كل هذه الغارات بل خلال الحشد الذى تم فيها اثناء التحضير لعملية غزو جزيرة صقلية والذى ادى الى ازدحام الميناء بالعديد من القطع البحرية وخاصة حاملات الطائرات وسفن النقل ان تمكنت المدفعية المضادة للطائرات من احباط وصد العديد من الهجمات التى استهدفت الميناء .

ولقد تميزت اشتباكات المدفعية المضادة للطائرات المصرية فى هذه الفترة بالاستخدام المكثف لأسلوب الضرب بالغلالة ، ويتلخص هذا الاسلوب فى انشاء ستارة كثيفة من النيران فى نقطة معينة على امتداد خط سير الطائرة قبل وصولها الى خط اسقاط القنابل ، وتوجه الى هذه النقطة نيران جميع المدافع المضادة للطائرات فى توقيت محدد يتم تعيينه وفقا لسرعة الطائرات المهاجمة والمسافة التى تم اكتشافها عليها .

ولقد احرز أسلوب الضرب بالغلالة نتائج جيدة فى ذلك الحين نظرا للسرعة المحدودة للطائرات علاوة على براعة القادة والجنود المصريين فى ادارة نيران الغلالة .

ويحضرنى فى هذا المجال قصة أحد الاشتباكات التى تمت بهذا الأسلوب ضد هجمة جوية عنيفة شنها الألمان فى صيف عام ١٩٤١ على

الأهداف الحيوية بمدينة الاسكندرية (الميناء والحوض الجاف) ، وكنت أعمل فى ذلك الوقت ضمن وحدات المدفعية المضادة للطائرات المكلفة بواجب الدفاع الجوى عن مدينة الاسكندرية .. كان ذلك فى المساء بعد الغروب بقليل ، وكنت فى طريقى الى موقع القتال بعد الانتهاء من مؤتمر التلقين اليومى عند قائد البطارية ، حيث شاهدت أشعة الأنوار الكاشفة تملأ فجاة سماء المدينة وتحيلها الى نهار ، وكان ذلك مؤشرا ـ نعرفه نحن رجال المدفعية المضادة للطائرات ـ عن وجود اهداف معادية داخل المجال الجوى . ولم يطل تفكيرى كثيرا فقد دوت الانفجارات من حولى وتصاعد الدخان الكثيف وسط الظلام ، فلم اجد بدا من أن أعرج على اقرب موقع قتال فى طريقى ، وكان ذلك الموقع فى منطقة القبارى .. انه منظر لايمكن أن أنساه .. المشاعل التى أسقطتها الطائرات الألمانية لاضاءة اهدافها تملأ سماء الموقع فأحالته الى نهار كامل ، ونيران غلالة المدفعية المضادة للطائرات المنطلقة من القطع البحرية الراسية فى الميناء وخارجه تتشابك فى السماء مع نيران غلالات مواقع المدفعية المضادة التى تشتبك من البر ، مما احال السماء الى قطعة من الجحيم تتخللها الألوان الزاهية التى ترسمها الطلقات الكاشفة .. وخلال هذا الأتون المستعر كان أزيز الطائرات المغيرة يصل الى أسماعنا والكل فى عجب .. كيف تجد هذه الطائرات طريقاً آمنا وسط هذا الحشد الهائل من النيران ..! ولكن لم يطل بنا العجب الا برهة قصيرة حيث اهتزت الأرض من تحت اقدامنا وتهاوت اكياس الرمال المحيطة بنا فى نقطة الأوامر التى كنت اقف فيها مع قائد الموقع ، وتصاعد عمود كثيف من الدخان على بعد أمتار منا . انها قنبلة أخطأت هدفها وسقطت على نقطة بوليس مدنى (نقطة المفروزة) تبعد حوالى ٥٠ مترا من الموقع .. وفى السماء كانت هناك كتلة من النيران المشتعلة ، انها الطائرة المغيرة وقد أصابتها صلية من نيران الغلالة المضادة للطائرات .

وهكذا وبفضل كثافة نيران غلالة المدفعية المضادة للطائرات طاشت جميع الهجمات الجوية ولم تتمكن طائرات المحور من أن تنال من اهدافها المقصودة .

وازاء هذا النجاح المنقطع النظير والمجهود الكبير الذى بذله ضباط المدفعية المضادة للطائرات فكرت القيادة المسئولة فى مكافأتهم وذلك بارسالهم فى بعثات تعليمية للاستزادة من فن المدفعية المضادة للطائرات .. ذلك الفن الذى دخل الحرب العالمية الثانية يحبو على قدميه وبنهايتها كان قد اشتد عوده تماما . وكان من الضرورى أن يقف ضباط المدفعية المضادة للطائرات على أحدث ماوصل اليه هذا الفن من تقدم فنى واساليب تكتيكية وخاصة بعد ادخال الرادار واستخدامه خلال سنوات الحرب الأخيرة . وفعلا أرسلت عدة فرق تعليمية الى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات البريطانية بالشرق الأوسط حيث اثبت الضباط المصريون قدرتهم العالية بل وتفوقهم العلمى الى درجة أذهلت هيئة التدريس بالمدرسة وقد حصل بعض الضباط على أعلى درجات علمية تمنحها المدرسة .

لقد خرجت وحدات المدفعية المضادة للطائرات من الحرب العالمية الثانية وقد أرست قواعدها العلمية وتقاليدها العسكرية الشامخة التى لا تزال تعمل بها حتى اليوم . ولقد بنت وحدات المدفعية المضادة للطائرات قواعدها العلمية على الأسس التالية :

- ان التطور فى المدفعية المضادة للطائرات والذى وضح تماما فى آخر الحرب العالمية الثانية ما هو الا بداية لتطور سريع يتطلب الاستزادة الدائمة من العلم وخاصة العلوم الحديثة كالرياضيات والالكترونيات .
- ان الخبرة العلمية هى المجال المفتوح للتطوير الفنى للمعدات

والتطوير التكتيكى لاسلوب الاستخدام ، والركيزة لايجاد قاعدة لاصلاح وصيانة المعدات الفنية المعقدة .

- ان التنافس داخل الوحدات الفرعية هو الأسلوب الأمثل لخلق كوادر فنية ذات مستوى رفيع .

أما التقاليد العسكرية فقد أرستها على الأسس الآتية :

- ان الانضباط العسكرى هو الركيزة التى تضمن الاستخدام الصحيح للمعدات والمحافظة عليها سليمة كما أنه الأسلوب الأمثل لتطبيق قواعد ادارة النيران بالطريقة الصحيحة .

- ان التدريب الشاق هو الأساس للاستخدام الناجح للمعدات الفنية والالكترونية وأن المقاتل هو الأساس فى نجاح القتال مع العدو .

لقد شهد جميع الذين عملوا عن قرب من وحدات المدفعية المضادة للطائرات المصرية بكفاءة هذه الوحدات ومدى ما وصلت اليه من مستوى علمى وفنى ، وكان على هذه الوحدات أن تستمر فى الطريق الذى رسمته لنفسها ، والذى رسمه لها فى ذلك الوقت قادتها الأصاغر الذى شاء القدر أن يكونوا هم أنفسهم القادة الكبار لتشكيلات الدفاع الجوى فى حرب ٦ اكتوبر المجيدة .

* الدروس المستفادة من معارك الحرب العالمية الثانية

لقد نشأت المدفعية م/ط المصرية وسط ظروف قاسية بالغة التعقيد فقد شهدت فى حداثة مولدها حربا عالمية ضارية وهى الحرب العالمية الثانية واشتركت كسلاح فعال فى جبهة من أهم جبهاتها .. الجبهة التى كانت نقطة التحول بالنسبة لبداية النصر للحلفاء .. جبهة الصحراء الغربية . وخرجت المدفعية مط من هذه الحرب مزهوة بما حققته فيها من نتائج باهرة سجلها لها التاريخ فى سجل المجد والفخار . وخرجت من وسط هذا الصراع بذخيرة من العلم والمعرفة والخبرة المكتسبة كانت عونا لها للمضى فى طريق التطوير .. طريق النصر .

وفى هذا المجال مجال الخبرات المكتسبة من الحرب العالمية الثانية لايسعنا الا أن نسجل أبرز نواحيها طالما أنها كانت الركيزة والخلفية لهذا الصرح الشامخ الذى حقق لنا الكثير من الانتصارات والمكاسب فى ملحمة ٦ أكتوبر .. القوة الرابعة .. قوة الدفاع الجوى .

والعجيب فى هذه الخبرات أن أكثرها لايزال أساسا معمولا به الآن ودخل كنظريات لها احترامها فى مجال الدفاع الجوى .

فمثلا كان من تكتيكات الطيارين الألمان المشهورة فى الحرب العالمية الثانية :

- ضرب الأهداف الصغيرة « pin point targets » بطريقة الغطس من الزاوية الحادة جدا وقد ثبت حتى الآن أنها فعلا أدق طريقة لاصابة مثل هذه الأهداف .

- الاقتراب على الارتفاعات المنخفضة من اتجاه الشمس عند مهاجمة مواقع المدفعية المضادة للطائرات التى تعمل بالاشتباك المنظور وكان يطلق الانجليز على هجمات الألمان هذه اسم الفئران « Rats »

وقد استخدم الاسرائيليون هذا الأسلوب فى معاركهم ضد قوات الدفاع الجوى فى حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .

- مهاجمة الهدف من اتجاهات متعددة فى نفس الوقت بغرض ارباك وسائل المدفعية المضادة للطائرات وسهولة اختراق الدفاعات المضادة للطائرات والوصول الى الهدف ومهاجمته وكان الانجليز يطلقون على هذا النوع من الهجمات الجوية اسم « Star raid » أو الهجمة النجمية » وهذا الأسلوب مازال هو الأسلوب الأمثل فى مهاجمة الدفاعات المضادة للطائرات والأهداف الحيوية حتى الآن .

- مهاجمة الأهداف الكبيرة ليلا بواسطة القاذفات على ضوء المشاعل « Flares » وذلك لتجنب كثافة النيران من المدفعية المضادة للطائرات والرشاشات التى تشتبك نهارا فقط بالمنظور وهو نفس الأسلوب الذى استخدمته اسرائيل فى معظم هجماتها الليلية .

- الاستطلاع الجوى بواسطة الطائرات التى كانت معروفة وقتئذباسم « فوك وولف » وهى طائرات سرعتها أسرع من سرعة المقاتلات

ويمكنها الطيران على ارتفاعات خارج مدى عمل المدفعية المضادة للطائرات وقتئذ وهى نفس الأسس الحالية التى بنت عليها روسيا طائرة الاستطلاع « فوكس بات » وامريكا الطائرة « SR-7I »

ولايمكن لمن عاصر تلك الفترة من العمليات من قدامى قـادةالدفاع الجوى الحاليين الا أن يذكر منظر تلك النقطة البيضاء المرتفعة جـــدا فى السماء ولها ذيل أبيض من الدخان « الـ trail » وأســـفلها دوائر صغيرة من الدخان الأسود (انفجار طلقات المدافع مط) وكـان هذا منظرا يوميا مألوفا فى سماء الاسكندرية (وظهر كل يوم تقريبـا) .. انه منظر طائرة الاستطلاع الألمانية « فوك وولف » والمدافع المضـــادة للطائرات تحاول جاهدة اصطيادها دون جدوى لطيرانها خارج مدى عمل هذه المدافـــع .

ولقد تميزت هذه الحرب بالاستخدام المكثف لأســلوب الضرب بالغلالة ، ولقد حقق هذا الأسلوب نتائج جيدة فى هذه الحـرب نظـرا للسرعة المحدودة للطائرات فى ذلك الوقت علاوة على توفـر كميـــات كافية من الذخائر وعدم وجود أى قيود على استهلاكها ، وكلا الأمرين لا يتوافر حاليا فى الحروب الحديثة مما يجعل هذا الأسلوب أســلوبا غير صالح للتطبيق فى معركة الدفاع الجوى الحديثة . وان كان هذا لا يعنى رفض النظرية نفسها ، فالغلالة فى جوهرها ما هى الا تطبيق للنظرية القائلة « ان لا شىء يعوض عدم دقة المدفعية المضادة للطائرات الا كثافة النيران الموقوتة » ، وهى نفس النظرية التى بنيت عليها حديثا المدافع المضادة للطائرات صغيرة العيار ذات معدلات النيران العالية جدا مثل المدافع ٢٣ مم الرباعية المواسير الروسية الصنع المعروفة باسم «الشيلكا» أو المدافع المضادة للطائرات متعددة المواسير الأمريكية الصنع والمعروفة باسم « الفولكان » .

الفصل الثاني

نشأة وتطور القوات الجوية الإسرائيلية

- البداية .
- الهدنة الاولى .
- القوة الحاسمة .
- الفلسفة الجديدة .
  (القوات الجوية الاسرائيلية من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٧)
- غزو القطب الشمالى .
  (الفترة من يونيو ١٩٦٧ الى اكتوبر ١٩٧٣)
- الطيران المنخفض .
- اغنية سام .
- مزيد من الحرب الالكترونية .
- طائرات بلا طيار .

ولقد نسأل قادة اسرائيل اليوم : أين ذهبت نظرية الأمن الاسرائيلى التى حاولوا اقامتها بالعنف تارة والجبروت تارة أخرى طوال خمس وعشرين سنة ؟ .. لقد انكسرت وتحطمت .

انور السادات

نشـــاة وتطور القـــوات الجوية الاسرائيلية

* البـــدايـــة

بنهاية الانتداب البريطانى على فلســطين ، تم اعـــلان الدولـــة الصهيونية فى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨ .

وفى ٣١ مايو صدر الأمر بانشـــاء قـــوات الدفاع الاسرائيلية ، وتتكون من الأفرع الرئيسية الثلاثة وهـــى القوات البرية ، والقـــوات الجوية ، والقوات البحرية واخذت القوات الجوية الاسرائيلية أســـبقية وأهمية اكثر من القوات البحرية واستمر هذا الوضع حتى الآن ، كما سنرى فيمـــا بعـــد .

ووضعت قوات الدفاع الاسرائيلى آنذاك تحت قيادة «بن‌جوريون» الذى استطاع أن يدعم القوات الجوية بعدد من الطيارين المتطوعين من أوروبا والولايات المتحدة وجنوب أفريقيا ، وبلغ‌عدد الطيارين‌أربعين‌طيارا

من مقاتلى الحرب العالمية الثانية ذوى الخبرة الجيدة ، وخاصة طيارى « المسر شميت » الطائرة الألمانية الشهيرة ، وكذا طيارى « ب ــ ١٧ » الأمريكية المعروفة باسم القلاع الطائرة .

وكان لدى الدولة الجديدة عند نشوب القتال ثلاثة أسراب مــن الطائرات الخفيفة . كما أمكن الحصول على بعض الطائرات من طــراز « أوستر » وامكن تجهيزها للعمل كقاذفات قنابل .

* الهدنة الأولى

استغل « أهارون ريميز » قائد السلاح الجوى الاسرائيلى ، فتـــرة الهدنة فى تطوير قواته ، حيث دعم المطارات بالمســـاعدات الملاحيـــة اللازمة وورش الصيانة والاصلاح التى تحقق درجـــة عالية من الكفاءة الفنية للطائرات والمطارات ، وكذا المعدات الاشـــارية اللازمة لتحقيـــق سيطرة مستمرة ومرنة واستخدام سريع للقوات الجوية .

كما قام بسحب الطيارين الجدد من يهود فلسطين وزيادة تدريبهم بمعرفة الطيارين القدامى المتطوعين من الدول الخارجية .

ورغم حظر السلاح الذى فرضته الأمم المتحدة على اطـــــراف الصراع ، امكن لاسرائيل الحصول على عـــدد من قاذفـــات القنابل الأمريكية من طراز ب ــ ١٧ (القلاع الطائرة) .

القـــوة الحاســمة

انتهت الجولة العربية الاسرائيلية ، وأخذت الأطراف المتصارعة فى الاستعداد لجولة ثانية .

وعبر « بن جوريون » عن سياسته الحربية بقوله « ان سيطرتنا الجوية هى وحدها التى تضمن انتصارنا أكثر من أى عامل آخر » .

وكان ذلك فى اكتوبر ١٩٥٣ . ومن هنا ومنذ ذلك الوقت المبكر بدأ اهتمام اسرائيل الشديد بانشاء قوات جوية حديثة وقادرة .

وكان « بن جوريون » فى ذلك الوقت وزيرا للدفاع ولكنه أيضا العقل المفكر والفيلسوف التنفيذى ـ اذا صح التعبير ـ للدولة القائمة على العدوان .

واعتنق تلميذه المخلص « موشى ديان » نفس المبدأ بحماس ، وقام فى عام ١٩٥٤ بجولة فى الدول الغربية للحصول على مزيد من الخبرة الفنية والمساهمة فى المساعى الرامية للحصول على الأسلحة وعاد من الولايات المتحدة مزودا بكافة المعلومات عن تدريب القوات وخاصة بالنسبة لاعداد الطيارين المقاتلين . كما أمكن عقد صفقة مع فرنسا للحصول على طائرات حديثة من طراز « مستير » النفاثة ، وكذا طائرات النقل « نورد أطلس » .

وشرع « موشى ديان » فى تطوير القوات الجوية الاسرائيلية على أسس جديدة وبطائرات حديثة ويعتبر هذا العمل من الأحداث العسكرية الهامة فى تاريخ هذا الرجل .

وفى عام ١٩٥٥ استغلت اسرائيل تدهور العلاقات السياسية بين مصر وفرنسا نتيجة لمساعدة مصر لثورة التحريرالجزائريةواستطاعت أن تعقد صفقة سلاح جديدة للحصول على المزيد من طائرات « المستير » وقاذفات فرنسية من طراز « فوتور » . واعتبارا من أبريل ١٩٥٦ بدأت تتدفق الطائرات على اسرائيل من فرنسا كما أمكن توقيع صفقة ثانية مع فرنسا فى نفس الشهر شملت ٧٢ طائرة نفاثة من طراز « مستير ٤ ـ أ » .

وفى يوليو ٥٦ تم توقيع اتفاق آخر للاسراع فى دفع الطائرات والأسلحة الى اسرائيل ونظرا لضخامة وسرعة تدفق الأسلحة اطلقوا على هذه الاتفاقية الاسم الرمزى « فيضان » .

* الفلسفة الجديدة

القوات الجوية الاسرائيلية من ٥٦ حتى ٦٧

شكلت أحداث ونتائج العدوان الثلاثى على مصر فى عـــام ١٩٥٦ نقطة تحول هامة فى بناء الجيش الاسرائيلى ، وعلى ضوء ذلك تبلورت السياسة الحـربية الاسرائيلية أســاسا فى مبدأ الاعتماد على القــدرة الذاتية وذلك لتفادى ماترتب على ربط عجلة اسرائيل بالقوى العسكرية الكبرى من محاذير مختلفة أدت الى انسحاب اسرائيل من سيناء ، كما أثارت اشمئزاز الرأى العام العالمى .

وكان مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية يعنى أن تقوم اسرائيل ببناء قوات مسلحة قوية تتمتع بالقدرة على العمل المستقل الحاســـم ضـــد الدول العربية وبالتالى تحقيق استراتيجية اسرائيل الهجوميـــة التى تتلخص فى المبدأ القائل بأن الهجوم هو الشـكل الرئيسى للعمليــــات الحربيــة . وهذا يحتاج الى خلق قوة ضاربة للقوات المسلحة الاسرائيلية يكرس لها الجانب الأعظم من الجهد والمال .

وعقدت عدة اجتماعات فى رئاسة الأركـــان العــامة حضرها « بن جــوريون » و « موشى ديان » و « دان تلـكوفسكى » قــائد القــوات الجوية و « عازر وايزمان » الذى خلف « تلـكوفسكى » فى قيــــادة

القوات الجوية ، وشيمون بيريز وغيرهم . وفى هذه الاجتماعات كان الاتفاق تاما على ضرورة نقل المعركة بأسرع مايمكن الى أرض « العدو » واقترح احدهم الاعتماد على الصواريخ أرض/أرض فهى فى الواقع تمثل سلاحا رادعا قويا ، الا أن هذا الاقتراح رفض من الجميع لأن تكاليفه باهظة ، ولان اسرائيل ليست فى حاجة الى سلاح بعيد المدى فحسب ، بل هى أيضا تحتاج الى سلاح ذى قوة نيران كبيرة قادرة على حسم الحرب وتحقيق النصر ، وهو مالا يتوفر للصواريخ ارض/أرض طالما انها مزودة فقط برءوس تقليدية وليست ذرية .

واتفق فى النهاية على التركيز على ثلاثة عناصر أساسية هى القوات الجوية ، والقوات المدرعة ، وقوات المظلات . الا أن القوات الجوية قد حظيت بالاهتمام الأكبر وللدلالة على ذلك أسوق بعض آراء القادة العسكريين فيما يلى :

قال « حاييم لاسكوف » الذى عين رئيسا للاركان بعد « موشى ديان » فى عام ١٩٥٨ : « نحن الآن بصدد وضع برنامج لردع الدول العربية ومن الطبيعى أن هذه المهمة تتطلب قوات على درجة عالية من الكفاءة القتالية ، وقوة استراتيجية هجومية ضاربة ، تتميز بعنف الصدمة وسرعة الحركة والقدرة على الحسم . ولهذا فلابد من التركيز على القوات الجوية لحسم الموقف فى الجو ، وعلى القوات المدرعة لحسمه على الأرض . كما أن التقييم الصحيح للأهمية الحاسمة للمرحلة الافتتاحية للحرب يقتضى ضرورة تحقيق السيطرة الجوية منذ بداية القتال ، وكذا توفير الدعم الجوى الكبير الذى يمكن بواسطته ضمان النجاح السريع للقوات البرية ، اذ أن عدم تحقيق السيطرة الجوية قد يؤدى الى تحويل الحرب الخاطفة الى حرب استنزاف طويلة غير مضمونة العواقب » .

وقال شيمون بيريز فى عام ١٩٦٢ « ان الموضـــوع الرئيسى الذى يشغل أذهاننا وتفكيرنا حول أمن اسرائيل هو تدعيم القــوات الجويــة فان الجانب الذى سيفاجىء خصمه من الجو سوف يفوز بتفوق حاسم يحدد فى الواقع مصير الحرب منذ البداية ، والمعركة الفاصلة ستتحقق بالطائرات فى الجو وبالمدرعات على الأرض » بينما حدد « عازر وايزمان » فلسفته كقائد للقوات الجوية الاسرائيلية فى عــــام ١٩٦٣ فى الآتى : « ان افضل أساليب الدفــاع فى حالة الحرب مع العـــرب ، هو تجنب العمليات فوق أرض اسرائيل ، والعمل على تهديد دمشق ، واحتـــلال الضفة الغربية ، والاندفاع بسرعة نحو قناة السويس . أما لو اكتفت اسرائيل بالدفاع عن « تل أبيب » فسيكون ذلك انتحارا جماعيا ، اذ لن يكون أمامها أى مجال للعمليات الاستراتيجية البرية ، لذلك فــان العمل الاستراتيجى يجب ان يكون هو العمق الجوى . » وهكذا حــدد « وايزمان » فى عام ١٩٦٣ الاستراتيجية الأساسية لجولة يونيو ١٩٦٧ قبل بدء الحرب بأربع سنوات .

أمــا عن تنظيم وتسليح القوات الجــوية الاسرائيلية فقد بدأت مناقشتها فى عام ١٩٥٦ ، وكان من الواضح ان اسرائيل لا تســتطيع الاحتفاظ بثلاثة انواع من الطائرات فى وقت واحد ، الأول للمعـــاونة الجوية التكتيكية ، والثـــانى للدفـــاع الجــوى ، والثـــالث للقصف الاستراتيجى فى عمق العدو ، ولذلك تم استبعاد القاذفات من تنظيــم القوات الجوية ، بل ان الجنرال « ديان » كان اكثر تطرفا ورأى الاكتفاء بالمقاتلات فقط ولكنه مالبث أن اقتنع بضرورة توفير المقاتلات القاذفـــة الحديثة أيضا ، القادرة على نقل الحرب الى أرض الخصم .

وبدأ الاهتمام باختيار الطائرات المناسبة لمهــام القوات الجــوية الاسرائيلية باعتبار أن هذا الاختيار يشكل احــــد العوامــل الهامة فى تحقيق النصر ، لذلك حددت للطائرات المطلوبة مواصفات معينة وقدرات خاصة كان اهمها طول المدى والقدرة على اختراق الــدفاع الجــوى

المعادى ، والقيام بقصف الأهداف العربية بحمولة كبيرة من القنابل والصواريخ ، وأخيرا القدرة على الطيران المنخفض بسرعة عالية والافلات من أسلحة الدفاع الجوى العربية .

ومن ثم قامت اسرائيل باستعراض أسواق السلاح المتيسرة امامها وبناء على ذلك قررت شراء طائرات « ميراج » الفرنسية واتفقت مع مصانع « داسو » المنتجة لها على اجراء بعض التعديلات اللازمة لزيادة المدى واضافة بعض المعدات الالكترونية لمعاونة الطيار فى تنفيذ مهامه القتالية بسهولة ، ووصلت طائرات « الميراج » الى اسرائيل وتم تدريب الطيارين على استخدامها .

ووضعت الخطط المناسبة لتنفيذ السياسة الجوية الاسرائيلية وتم تدقيقها وتعديلها اولا بأول بناء على معلومات دقيقة عن أهداف الهجوم وعن وسائل الدفاع الجوى العربية ، وبما يخدم خطة العمليات البرية . وتم أعداد الطيارين وتدريبهم بكافة المعلومات اللازمة .

وهكذا وبعد احد عشر عاما من التخطيط والتدريب أصبحت القوات الجوية الاسرائيلية على الصورة التى وضعتها لها المؤسسة العسكرية الصهيونية فى عام ١٩٥٦ .

ثم كانت الجولة الثالثة فى يونيو عام ١٩٦٧ .

* غزو القطب الشمالى

الفترة من يونيو ٦٧ الى اكتوبر ٧٣ .

بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وقف الجنرال « اسحق رابين » قائلا فى غرور : « بواسطة قواتى الجوية أستطيع غزو اى مكان فى العالم حتى ولو كان القطب الشمالى » .

واخذت المجلات المختصة فى العالم تتحدث عن القوة الجوية الأسطورة والطيار الاسرائيلى الذى يحقق المعجزات وقال بعض الملقبين العسكريين أن الطيار الاسرائيلى هو أكفأ طيار فى العالم .

واستغلت اسرائيل هذا النجاح وتعاقدت مع الولايات المتحدة على صفقة جديدة من طائرات «الفانتوم» و « اسكاى هوك »وكانت صفقة تلتها صفقات أخرى حتى وصل عدد الطائرات لدى اسرائيل قبل اكتوبر ٧٣ الى ٦٠٠ طائرة منها حوالى ٤٠٠ طائرة من طائرات القتال الحديثة وهى بالتحديد « الفانتوم وسكاى هوك والميراج » وبعض هذه الأخيرة تم تصنيعه فى إسرائيل واستطاعت اسرائيل أن توفر عددا من الطيارين الأكفاء سواء من سكان اسرائيل أو من اليهود الأجانب الذين امكنهم الجمع بين جنسيتهم الأصلية والجنسية الاسرائيلية حتى أصبحت

نسبة الطيارين الى الطائرات ٣ : ٢ ، وكل من هؤلاء الطيارين كـــان قادرا على القيام بأربع طلعات يوميا . فاذا كانت حمولة الطـــائرات الفانتوم على سبيل المثال تصل الى حوالى ستة اطنان من المواد الشديدة الانفجار فاننا بعملية حسابية بسيطة (٤٠٠×٥ر١ × ٤ × ٦ تســاوى ١٤٤٠٠ طن) نجد أن تلك القوات الجوية تستطيع فى أقـــل من يومين ان تلقى حمولة من المواد الشديدة الانفجار تعادل القنبلة الذرية الأولى التى القيت على « هيروشيما » فى نهاية الحرب العالمية .

هذا من حيث عدد الطائرات وحمولتها ولكن ذلك ليس كل شيء فما زال هناك الكثير حتى تصبح القوات الجوية « الذراع الطويلـــة » لاسرائيل كما كان يطيب لهم أن يطلقوا عليها .

ويمكن أن نلخص ملامح التطور الأخرى فى الآتى :

الطيران المنخفض

كلنا نعلم أن الأرض كروية .. وكلنا نعلم أيضا أنهـا جســـم صلب يعكس الطاقـــة الكهرومغناطيسية وفى نفس الوقت فهى ــ أى الأرض ــ موصل جيد لهذه الطاقة .. ولهذه الأسباب ولعوامل أخـرى فنية عديدة فان اكتشاف الطائرات راداريا على الارتفاعات المنخفضـة وعلى المسافات المطلوبة مازال مشكلة علمية عالمية لم تجد حلا حتـى الآن .

ومن هنا فقد ركزت القيادة الاسرائيلية على تدريب طياريها على الطيران على ارتفاعات منخفضة ومنخفضة جـــدا لاتزيد عن عشرات الامتـــار « Top - tree altitude » مع استخدام الهيئات الطبيعية من جبال ووديان وما الى ذلك .. بل وحتى موجات البحر وبذلك فانها تستطيع أن تتسلل الى اهدافها بسرعات كبيرة دون أن تكتشف باجهزة

الرادار المصرية ثم تسقط حمولتها فوق الهدف وتقفل راجعـة دون عقاب .. وحتى لو استطاع الدفاع الجوى المصرى أن يكتشفها فـى اللحظات الأخيرة فلن يتوفر له الوقت اللازم للاشتباك ، فالمعروف أن كل سلاح أو معدة يحتاج الى زمن ما لكى يستعد ولكى يقوم باجـراءات الاشتباك المعقدة حتى لحظة الاطلاق ثم متابعة الطائرة لحين تدميرها .. اما أن يتواجد الدفاع الجوى فى حالة استعداد فورية دائمة فـان ذلـك يعنى استنزافا كاملا للبشر وللمعدات ولاتقدر عليه حتى أغنى واقـوى دول العالم . واصبح الطيران المنخفض هو الشكل الرئيسى والأوحـد تقريبـا للعمليات الجوية الاسرائيلية وتفوق طياروها بالفعل بمسـاعدة النوعيات المتطورة من الطائرات فى هذا المجال .. وبالرغم من نجاحهـم فى تنفيذ الأسلوب ، الا أن الأسلوب نفسه فشل فشلا ذريعا فى حـرب اكتوبر كما سوف نرى فى فصل آخر ..

* اغنية سـام

ولنأخذ فكرة موجزة عن احدى الطائرات الاسرائيلية ولتكن « الفانتوم » وهى طائرة أسرع من الصوت وتتميز بمدى كبير يحقق لها الوصول الى اى هدف فى عمق الدولة حتى لو اقتربت اليه على ارتفاع منخفض جدا (والمعروف أن الطيران المنخفض يزيد من استهلاك الوقود) . كما أن لها كفاءة عالية فى الطيران على الارتفاعات المنخفضة ولها قدرة كبيرة على المناورة بتغيير ارتفاعها او اتجاهها أو سرعتها . والطائرة « الفانتوم » مزودة بجهاز ملاحة الكترونى يساعد الطيار مساعدة كاملة فى الوصول الى هدفه ، والاهم من ذلك جهاز التحذير الموجود بالطائرة والذى ينذر الطيار عند دخوله فى المجال الرادارى لدفاعنا الجوى ثم يبلغه بأن صاروخا قد أطلق من أحدى قواعدنا ثم يخطره بأن الصاروخ يتجه نحوه ثم يجرى بعض الحسابات التى تشمل سرعة واتجاه الصاروخ والطائرة والخواص الايروديناميكية لكل منهما ثم فى اللحظة المناسبة يصدر أزيزا معينا يطلق عليه الطيارون الاسرائيليون « اغنية سام Sam Song » وعند ذلك يقوم الطيار باجراء مناورة حادة يتخلص بها من الصاروخ .

هل هذا هو كل شىء ؟ الواقع أننا لم نتحدث بعد عن تسليح

الطائرة وعن أجهزة الاعاقة والشوشرة الالكترونية فى هذه الطائـرة .. ولنأخذ فكرة سريعة عنهما :

أما عن التسليح فهو متعدد الأشكال ، فيمكنها أن تحمل قنابل عادية شديدة الانفجار ويمكنها أن تطلق قنابل زمنية موقوتة تنفجر بعد زمن محدد وبذا تغلق الطريق من والى هدفها طوال فترة بقاء هذه القنابل فى منطقة الهدف الذى قصفته .. كما تحمل أيضا أنواعا مختلفة من الصواريخ منها مثلا « الصاروخ شرايك » وهو صاروخ موجه يطلق من الطائرة نحو أجهزة الرادار أو أى معدات الكترونية تشع طاقة كهرومغناطيسية فى الجو وما أكثر هذه المعدات فى الدفاع الجوى الحديث ، والتى تعتبر فى الواقع روح الدفاع الجوى . المهم أن هذا الصاروخ «شرايك» مجهز بعنصر له حساسية خاصة نحو الطاقة الكهرومغناطيسية فتظل تجذبه نحوها وبذا فان توجيه الصاروخ من هذا النوع يتم فى الواقع بواسطة الهدف الذى يطلق نحوه (جهاز الرادار مثلا) . والأكثر من ذلك أن بعض الأنواع من هذا الصاروخ مزودة بذاكرة الكترونية تحتفظ له بالمعلومات الأخيرة عن مصادر الاشعاع وبذا يستمر فى توجيه نفسه نحو هدفه حتى ولو أوقف تشغيل هذا الجهاز .

هذا هو أحد أنواع الصواريخ وهناك أنواع أخرى مثل الصواريخ الحرارية التى تتجه ذاتيا نحو مصادر الحرارة اذ المعروف أن المعدات الالكترونية تحتاج الى أجهزة لتوليد الطاقة الكهربية اللازمة لتشغيلها وهذه الأجهزة هى أحد المصادر الحرارية التى تبحث عنها هذه الأنواع من الصواريخ .. وليس هذا أيضا هو كل شىء ، فثمة أنواع أخرى من الصواريخ والقنابل التى توجه تليفزيونيا حيث يزود الصاروخ أو القنبلة بكاميرا تليفزيونية تلتقط صورة الهدف ثم يقوم حاسب الكترونى صغير بتصحيح مسار الصاروخ ليطابق الصورة

الأولى مع الصور الملتقطة بعد ذلك حتى يصل الصاروخ أو القنبلة الى الهدف .

اما عن أجهزة الشوشرة الموجودة بالطائرة الفانتوم فيكفى أن نلخصها فى نوعين رئيسيين :

أولهما : وسائل الاعاقة والشوشرة السلبية وهى اما عواكس أو رقائق معدنية تلقى من الطائرات بكثافة كبيرة فى هيئة سحابة كبيرة تختفى خلفها الطائرة فيتعذر رؤيتها على شاشات رجال الدفاع الجوى سواء فى اجهزة الرادار او فى محطات توجيه الصواريخ أرض / جو .

ثانيهما : ما يسمى بمستودعات الاعاقة الايجابية وتقوم هذه المستودعات باشعاع طاقة كهرومغناطيسية موجهة نحو أجهزة الدفاع الجوى فتظهر على شاشاتها سحب او خطوط بيضاء تتكون من آلاف النقاط البيضاء الساطعة ، فاذا علمنا أن الطائرة هى الأخرى تظهر على تلك الشاشات فى هيئة نقطة واحدة بيضاء مضيئة فاننا ندرك مدى صعوبة اكتشافها ولا أقول استحالة ذلك لأن رجالنا استطاعوا رغم ذلك أن يكتشفوا هذه الطائرات وأن يدمروها .

*مزيد من الحرب الالكترونيــة

لم تكتف اسرائيل بهذا القدر الهائل من وسائل الاعاقة الالكترونية الموجودة بالطائرات .. فقامت بانشاء مركز كبير للحرب الالكترونيــة فى سيناء وبالتحـــديد فى منطقة ام خشيب ، وجهزتــه بأحــــــدث المعدات ، بغرض القيام بأعمال الاعاقة على معدات الدفاع الجـــوى الالكترونية على اختلاف نوعيتها وترددداتها لمنعها من اكتشـاف ومتابعـة الطائرات المعادية .

كما قامت القوات الجوية الاسرائيلية بتجهيز عدد من الطـــائرات « الاستراتوكروزر » « والهليوكوبتر » بمعدات اعاقة الكترونية للعمــل كداوريات اعاقة طائرة تستطيع القيام بالتشويش الايجابى وهى خــارج مدى نيران اسلحة الدفاع الجوى .

وقبل ان نترك هذا المجـــال نذكر ايضا طائرات الاســـتطلاع الالكترونية التى كانت تقوم برحلات يومية بمحاذاة شاطىء البحـــــر المتوسط وقناة السويس ذهابا وعودة لاستطلاع ترددات اجهزة الدفــاع الجوى الالكترونى وكانت هذه الرحلات تتم دائمــا من مسافات بعيدة تزيد عن ١٠٠ كيلو متر من سواحلنا .

ورغم كل ماتقدم .. ورغم كل ماكدسه العـدو من معدات الحرب الالكترونية ، ورغم تخطيطه السليم لاستخدامها ، فقد كان لدينا تصميم اكيد على تدمير طائراته ، وشل ذراعه الطويلة .. وكنت أقول دائمـا للمقاتلين« **ليس هناك جهاز رادار لايمكن اعاقته ، وليست هنـاك اعاقة لايمكن التغلب عليها »** .

طائرات بلا طيـــار

اصبح الحصول على طيار مقاتل جيد عملا فى غاية الصــــعوبة فليس كل فرد يصلح ليكون طيارا وانما نسبة ضئيلة من الناس تتوافر فيهم مؤهلات خاصة نفسية وذهنية وبدنية لهذا العمل . هذا من حيث اختيار الشخص الصالح للاعداد كطيار .. ثم يمر بعد ذلك بمراحـــل عديدة تتدرج من السهل الى الصعب الى الأصعب حتى يستطيع أن يقود طائرة مقاتلة حديثة ، وبعد ذلك ينتقل الى مرحلة الطيران القتالى اى أن يقود ويسيطر على طائرته فى معركة جوية بكل ماتتميز بـه هذه المعركة من سرعة وعنف وتعقيد .. لهذا فان نسبة ضئيلة من هـــؤلاء الذين يبداون طريق الطيران القتالى الطويل هم الذين يصـــلون الى نهاية الطريق ويمكن أن يصبحوا طيارين مقاتلين يعتد بهم .. ولكـــن هذا يحتاج الى وقت طويل والى تكاليف كثيرة .. ورغم هذه الصعوبة وهذا الوقت الطويل الذى يحتاج لاعداد الطيار ، فان فقد هـــذا الطيـــار قد يحدث فى لحظة أثناء المعركة واثناء التدريب أو ما الى ذلك ..

ومن هنا فقد اتجه التطوير فى صناعة الطيران نحو انتاج الطائرات الموجهة بدون طيار .. اى أن الطائرة تجهز بمعدات خاصة يمكنها أن تســـتقبل الأوامر من الموجـــه الموجود على الأرض أو فى طائرة (التى

يطلق عليها الطائرة الأم) فى أمان ويستطيع بواسطة شاشة رادار وبعض الأجهزة ان يسيطر على خط سير الطائرة وسرعتها وارتفاعها واتجاهها ويصدر لها الأوامر بالمناورة عند اللزوم .. ليس هذا فقط بل أن هـذا الموجه يستطيع ايضا ان يصدر الأوامر من مكانه الى الطـائرة لمهاجمة هدف ما معاد وقصفه بالقنابل فى اللحظة المناسبة ثم اعـادة الطـائرة الى قاعدتها . وتعارف الغربيون العسكريون على تسـمية هـذا النوع من الطائرات باسم « Remotely piloted vehicles-RPVs »

ويوجد العديد من هذه الأنواع فى العالم حاليا .. وقـد استطاعت اسرائيل أن تحصل من الولايات المتحدة قبل الحرب على عـدد مـن هذه الطائرات من نوعين مختلفين احدهما من طراز « فايربى ـ رايان » والثانى من نوع « شَكَرْ » . ويمكن اجمال خواص هـذه الطـائرات فى الآتى :

* صغر الحجم مما يقلل الى حد كبير من احتمال رؤيتهـا راداريا أو بصريا .

* سرعة تصل الى ٩٠٠ كم/ساعة .

* ارتفاع يتراوح ما بين ٥٠٠ م ــ ١٢ كم .

* يمكنها أن تجهز بأنواع مختلفة من القنابل .

* يمكنها أن تحمل مستودعات اعاقة الكترونية سواء ايجـابية أو سلبية بكاميرات بغرض الاستطلاع بالصور الجوية .

* يمكن اطلاقها من قاذف على الأرض أو من طائرة أخـرى أو مـن السفن ، كما يمكن استعادتها سالمة بسهولة .

وعلى هذا فقد خططت القوات الجوية الاسرائيلية لاسـتخدام هذه الطائرات فى الآتى :

* الاستطلاع بالتصوير على الارتفاعات المنخفضة باستخدام الطائـرات



استطاعت اسرائيل أن تحصل قبل الحرب على عـدد من الطائرات الموجهة بدون طيـــار وبالرغم من كل المميزات التى تتوافر لهذه الطائرات نجح الدفاع الجوى المصرى فى اسقاطها وهاهى احداها فى معرض الغنائم تكاد تكون سليمة تماما .. !

والصورة التى على اليسار لقطة من بداية الفيلم الذى وجد بداخل هذه الطائرة والتى اسقطتها وسائل دفاعنا الجوى بعد ظهر يوم ١٣ ديسمبر وواضح بها الجندى الاسرائيلى المشرف على تجهيز الطائرة فى موقع الاطلاق .

أما كيف اسقط دفاعنا الجوى الطائرة وحصل على الفيلم سليما فلها قصة لم يحن الوقت بعـد لاذاعتهـا ..

من نوع « شكر » أو على الارتفاعات العالية باستخدام الطائرات « فايربى ـ رايان » .

* الاعاقة الالكترونية بتزويدها بمعدات تداخل ـ شوشرة ايجـــابية أو سلبية .
* قصف بعض أهدافنا بالقنابل .
* مشاغلة وحدات الصواريخ حيث تقترب من هذه القواعد اما بهدف لفت الأنظار بعيدا عن اتجاه الهجمة الجوية الحقيقية أو لاستنزاف الصواريخ والدخائر .

والطائرات الموجهة اصبح شكلها معروفا لدى المدنيين والعسكريين على السواء ، اذ تم عرض واحدة منها فى معرض الغنائم وهى الطائـرات التى نجح الدفاع الجوى المصرى فى اســـقاطها فى حــــرب العاشر من رمضـــان .

الفصل الثالث

الجولات والمعارك التى خاضها الدفاع الجوى المصرى حتى عام ١٩٦٧

- الجولة الأولى (١٩٤٨)
- الجولة الثانية (١٩٥٦)
- الجولة الثالثة (١٩٦٧)

الجـولات والمعـارك الـتى خـاضـها الـدفاع الجـوى المصرى حتى عـام ١٩٦٧

* الجولة الأولى ١٩٤٨

انتهت الحرب العالمية فى عام ١٩٤٥ وبدأ العالم يستمتع بنسمات السلام بعد سنوات طويلة من الحرب والدمار . ولم يخطر ببال أحد ان هناك قتالا جديدا وشيكا فى أى منطقة من العالم . فقد عانت شعوب العالم قاطبة من آلام الحرب العالمية الثانية ، سواء تلك الشعوب التى اشتركت بطريق مباشر او غير مباشر فى تلك الحرب .

ولكن السلام لم يستمر طويلا ، ففى الشرق الأوسط عادت المشكلة الفلسطينية الى الظهور .. ولم تكن مشكلة جديدة فى الواقع بل ترجع الى أيام الحرب العالمية الأولى حيث استطاعت الحركة الصهيونية العالمية أن تحصل من « اللورد بلفور » وزير خارجية الامبراطورية البريطانية فى ذلك الوقت على وعد باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين . ومنذ ذلك التاريخ والصراع دائر فى فلسطين فى شكل ثورات وطنية قام بها الفلسطينيون ضد الادارة البريطانية التى تعاظم تعاطفها مع الصهيونية حتى سمحت ليهود الشتات بالهجرة الجماعية الى فلسطين .

وما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى استغل الصهاينة كراهية العالم لألمانيا النازية فركزوا على الاضطهاد الهتلرى لليهود فى ألمانيا وضخموا من تلك الأحداث واضافوا اليها الكثير من الأساطير واظهروا للعالم بذكاء بأنه ــ أى العالم ــ مسئول عن الاضطهاد العنصرى لهذه الأقلية المشردة المسكينة !! واستطاعوا الى حد كبير أن يخدعوا العالم بهذه الأكاذيب .

واستمرت الهجرة اليهودية بأعداد كبيرة الى فلسطين ثم بدأ الصراع بين الفلسطينيين واليهود المهاجرين يزداد ضراوة داخل فلسطين التى كانت تحت الانتداب البريطانى فى ذلك الوقت . وكان الحل الأسلم من وجهة النظر البريطانية هو عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة التى كانت غالبيتها فى ذلك الوقت من الدول التى عانت من الحروب والاعتداءات النازية .

.. وصدر قرار التقسيم المعروف بأغلبية ضئيلة ، ورفضته الدول العربية . وأعلنت بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من فلسطين فى تاريخ انتهاء الانتداب فى الرابع عشر من مايو عام ١٩٤٨ .

واصبح واضحا أن هناك صراعا مسلحا سوف يدور فى المنطقة فقد استطاعت الصهيونية أن تهرب كمية لابأس بها من الأسلحة المختلفة بما فى ذلك بعض الطائرات والدبابات من مخلفات الحرب العالمية الثانية ، وقامت المنظمات الصهيونية المسلحة بعمليات ارهاب ومذابح ضد المواطنين الفلسطينيين،وطردت العديد منهم واستولت علىأراضيهم عنوة وقررت اعلان مولد دولة اسرائيل فى فلسطين بمجرد انتهاء الانتداب البريطانى .

وعلى الطرف الآخر أعلن الملوك والرؤساء العرب أن الجيوش العربية سوف تتدخل لانقاذ الأرض العربية من أيدى الصهيونية . ولكن هذا الاعلان لم يكن يعنى شيئا بالنسبة لتدعيم هذه الجيوش بالأسلحة الحديثة أو الكافية لهذه العملية .

ومع بداية شهر مايو ١٩٤٨ صدرت الأوامر للعديد من وحدات الجيش المصرى بالتوجه الى الحدود الشرقية استعدادا للمهمة . وكان من ضمن هذه القوات عدد من وحدات المدفعية المضادة للطائرات المصرية . ودخلت المدفعية المضادة للطائرات الجولة العربية الاسرائيلية الأولى ، ولم يقتصر دورها على حماية المدن الرئيسية كما كان فى الحرب العالمية الثانية ، بل تعداه الى ماهو أكثر من ذلك ، فقد رافقت المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات وحدات المشاة لتوفر لها الوقاية ضد أى هجمات جوية تقوم بها القوات الاسرائيلية كما دفعت بعض وحدات المدفعية المضادة للطائرات المتوسطة العيار لنفس الواجب .

ونجحت المدفعية المضادة للطائرات فى تنفيذ دورها كاملا فلم يتمكن الطيران الاسرائيلى من التأثير على سير المعارك ، حتى أن طلائع القوات المصرية وصلت الى قرب « اللد » وكانت قاب قوسين أو أدنى من الوصول الى تل ابيب .

أما اسرائيل فقد كانت تعد لهذه الجولة منذ زمن بعيد ، وشمل هذا الاعداد فيما شمل تكوين قوة جوية محدودة ، من عدد من الطائرات الألمانية التى تمكنت من الحصول عليها بوسائلها الخاصة من مخلفات الحرب العالمية الثانية وتهريبها الى فلسطين تحت سمع وبصر الادارة البريطانية .

وقامت هذه الطائرات بمهاجمة القوات المصرية فى محاولة لمنعها من التقدم الا أن وحدات المدفعية المضادة للطائرات تصدت لها بقوة وتأثير فباءت هجمات الطائرات الاسرائيلية بالفشل وتكبدت خسائر كبيرة .

والواقع أن اشتراك المدفعية المضادة للطائرات المصرية فى الحرب العالمية الثانية اكسبها خبرة قتالية جيدة فالحرب تصقل الجندى الجيد وتصنع منه مقاتلا ماهرا ، لذا فقد اعتبرت مدفعيتنا من أكفأ المدفعيات المضادة للطائرات فى العالم ، وتشهد على ذلك اعمالها والبطولات التى حققتها فى جميع المعارك التى خاضتها والتى سجلتها أقلام المعلقين العسكريين فى حينه .

وازاء الخسائر التى حاقت بالطيران الاسرائيلى المحدود العدد فى ذلك الوقت ، اصبح فى امكان المدفعية المضادة للطائرات المصرية أن تقدم المعاونة للقوات البرية فى مهام أخرى عدا الحماية الجوية . ومن ثم بدأ استخدامها كمدفعية مضادة للدبابات ، أو مدفعية ميدان وخاصة فى قصف الدشم المحصنة وخزانات مياه المستعمرات الصهيونية . ولقد كان لها فى هذا المضمار دور رائع أدى الى سقوط كثير من المستعمرات فى يد القوات المصرية . وما زال الكثيرون يذكرون معركة التبة « ٨٦ » حيث تمكنت المدفعية المضادة للطائرات من احداث خسائر كبيرة بالعدو الذى حاول أكثر من مرة مهاجمة هذه التبة واستطاع

فى احدى المرات أن يستولى على نصفها الا ان المدفعية المضادة للطائرات ردته على اعقابه بعد أن كبدته خسائر فادحة فى الأرواح جعلته يقلـــع عن التفكير فى مهاجمة هذه التبة مرة ثانية .

ولم يقتصر دور المدفعية المضادة للطائرات خلال هذه الجولة على وقاية القـوات البرية من الهجمات أو معاونتها كمدفعيـــة ارضية ، بل قامت رغم عددها المحدود بالدفاع عن المدن الرئيسية مثـــل القــاهرة والاســـكندرية والســـويس والعريش وحمايـــة المرافق والمنشــئات الاقتصـــادية بها .

وقبل أن نترك الجولة يجب علينا ان نذكر ذلك المثل العـــالى للتضحية والفداء الذى ضربته احدى وحـــدات المدفعيـــة المضـــادة للطائرات الصغيرة بقيادة الملازم عبدالحميد أبوزيد ذلك البطـــل الـــذى افتتح أولى صفحات الفداء والتضحية وكان أول شهداء المدفعية المضادة للطائـــرات .

فقد كانت وحدته التى تتكون من مدفعين فقط من عيـــار ٤٠ مم تتمركز جنوب العريش عندما حاولت مجموعة من المدرعـــات الاسرائيلية ان تتسلل عبر الوديان الموصلة اليها فى محاولة للالتفـــاف من خلـــف القوات المصرية لتهديدها واجبارها على الانسحاب والارتداد للخلف ، ولكن الملازم ابو زيد كان لها بالمرصاد ــ وكانت وحدته هى القـــــوة الوحيدة فى طريق هذه الدبابات ــ فما ان ابلغت نقط المراقبـــة عـــن اقتراب طابور الدبابات الاسرائيلية حتى ركز جهوده للسيطرة عـــلى العرفاء قادة المدافع اذ أن كلا منهم كان يتحرق شوقا لاطلاق مدفعه على هذه الدبابات ولكن اصطياد الدبابات يحتـــاج الى تكتيك خاص ، اذ يجب امساك النيران حتى تصل هذه الدبابات الى ما يطلق عليـــه عسكريا اسم منطقة القتل المؤكد ، ثم يتم الاشتباك معها حسب الاسبقيات التى

تحدد لها . وعندما وصل طابور الدبابات الى المسافة المحددة أصدر القائد أوامره وفتحت نيران المدافع واشتعلت النيران فى دبابتى المقدمة ، وحاولت الدبابات التى خلفها أن تشق طريقها الى الأمام الا أن عرض الوادى لم يكن يسمح بمرور اكثر من دبابتين وقد دمرتا وسدتا الطريق هـذا فى الوقت الذى لاتسمح فيـه الأرض خـارج الوادى بمـرور الدبابات . وساد الهرج والارتباك باقى القوة المهاجمة مما اعطى الفرصة للملازم ابى زيد لتدمير المزيد من هذه الدبابات التى اضطر ما تبقـى منها الى العودة ثانيا .

واستشهد البطل اثناء تبادل النيران ، ولكنه استطاع أن يجعل العدو يدفع ثمنا غاليا مقابل استشهاده .

* الجـــولة الثانية ١٩٥٦

حاولت مصر بعد نهاية الجولة الأولى أن تزيد قواتهـا العســكرية وتعيد تسليحهـا بمعـدات حديثة بعـد أن أوضحت التجربة أنه لا حياة للدولة الضعيفة فى هذا العالم الا أن عـدم الاستقرار الســـياسى الذى كانت تمـر به البلاد أدى الى تعثر جميع المحـاولات التى بذلت لتطوير القـوات المسلحة المصرية .. واستمر الحال على هذا المنـوال حتى انبلج فجـر الثورة فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ ، حيث بدأت مصر تدخل عهدها الجديد . وأعلنت الشـورة مبادئهـا الستة المشهورة ، ومنها اقامة جيش وطنى قوى . ورأت الثورة أنه ينبغى أولا انهاء الاحتلال البريطانى واستكمال الســيادة والاســتقلال ، وتوالت الأحداث كما هى معروفة الى أن وقعت اتفاقية الجلاء فى عام ١٩٥٤ ، ومن ثم بدأت عملية بنـاء الجيش الوطنى القوى .

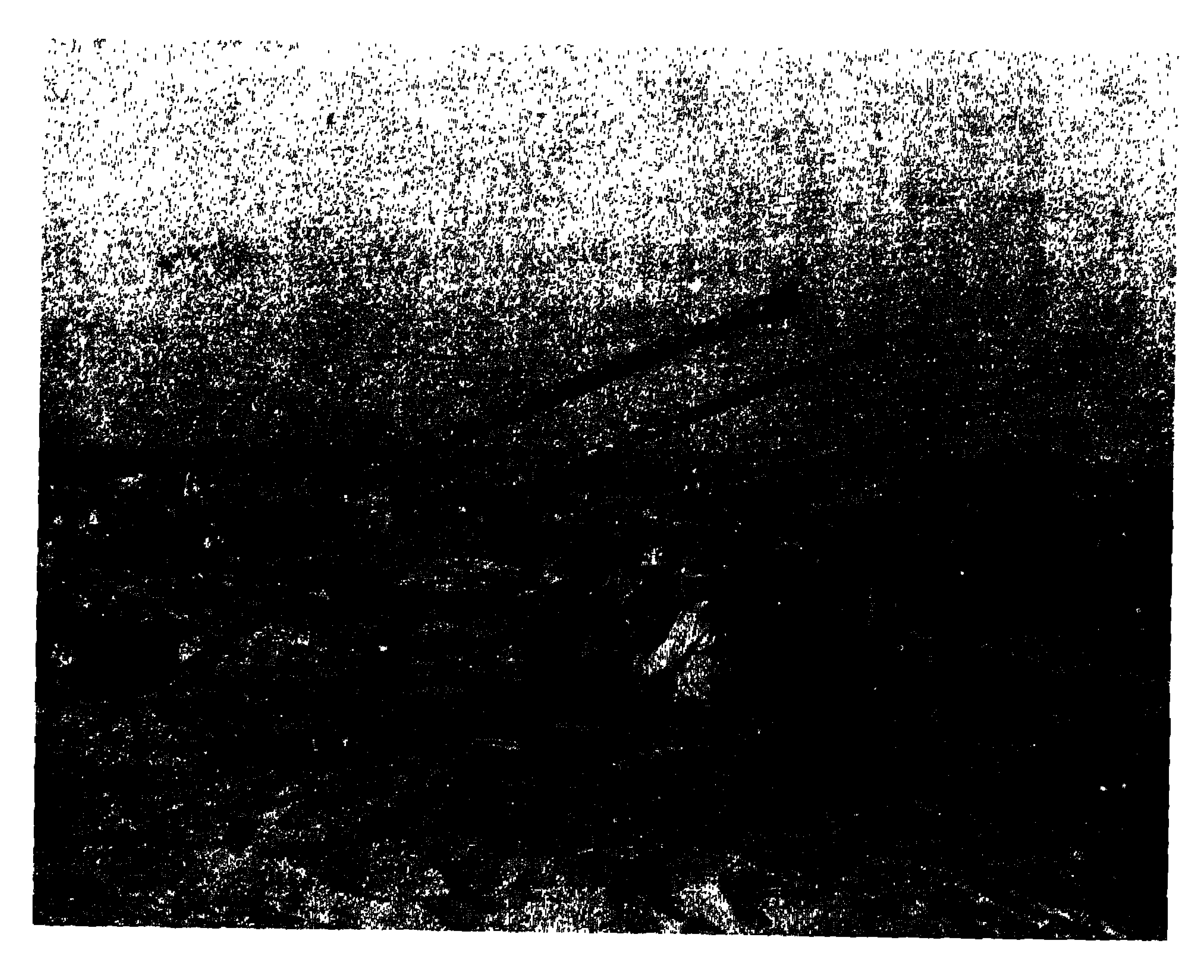
وادى هذا الاتجاه الى دخول المدفعية المضادة للطائرات الى عصر الرادار الذى استخدمته انجلترا لأول مرة فى العالم فى الحرب العالمية الثانية . وباستخدام الرادار أصبح من الممكن استخدام المدفعية المضادة للطائرات فى الاشتباك ليلا ونهارا على السواء وكـذا فى ظروف الرؤيـة الصعبة بكفاءة أكثر مما لو استخدمت الأنوار الكاشـفة لاضـــاءة

الطائرات ليلا . هذا بالاضافة الى أن اكتشاف الطائرات المعادية أصبح يتم على مسافات أبعد .

وتوالت الأحداث بعد ذلك ، وفشلت محاولاتنا للحصول على السلاح من الغرب وعقدت صفقة الأسلحة الشرقية الشهيرة .. وبدات طلائع هذه الصفقة تصل الى مصر فى أواسط عام ١٩٥٦ . وبدأ تشكيل وتدريب عدد لاباس من وحدات المدفعية الخفيفة والمتوسطة المضادة للطائرات بالمقارنة بالأعداد التى كانت متوفرة فى ذلك الوقت ، ولكنها على أى حال لم تكن كافية لتوفير الدفاع الجوى عن المدن الهامة والأهداف الحيوية ذات الأهمية العسكرية مثل الموانى والمطارات ، بالاضافة الى توفير الوقاية الجوية للقوات البرية التى تعمل فى مسرح عمليات متسع مثل سيناء . أما من حيث النوع فقد كانت الأسلحة المضادة للطائرات التى تضمنتها تلك الصفقة من تلك الأنواع التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية .. وقامت مصر بتأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ وتوتر الموقف الدولى وهددت كل من انجلترا وفرنسا باستخدام القوة لاعادة سيطرتهما على القناة وانتهزت اسرائيل هذه الفرصة وتواطأت معهما للهجوم على مصر .

وبذل رجال المدفعية المضادة للطائرات جهودا خيالية لتشكيل وتدريب الوحدات الجديدة فى أسرع وقت ممكن ولوضع الخطط المناسبة للدفاع عن أهم المدن والأهداف الحيوية بمصر .

وبدأ العدوان الثلاثى .. وكان شيئا جديدا تماما بالنسبة للمدفعية المضادة للطائرات ، فالطائرات المعادية من أحدث الأنواع الانجليزية والفرنسية وأعدادها كبيرة لدرجة أن الطائرات كانت تتعقب العربات والجنود قاصفة اياهم بمدافعها الرشاشة . وكانت الغارات الجوية تستمر دون فواصل تذكر منذ أول ضوء حتى آخر ضوء وغالبا



في عام ١٩٥٦ كانت المدفعية المضادة للطائرات المصرية أكثر الأسلحة كفاءة
وسببت معظم خسائر اسرائيل في الطائرات ..

ما تكون على الارتفاعات المنخفضة . اما الهجمات الليلية فكانت تتم على ضوء المشاعل على الارتفاعات المتوسطة .

وهكذا كان على المدفعية المضادة للطائرات المصرية التى لم يتوفر لها سوى أشهر قليلة من التدريب والاعداد أن تقاتل الطيران الحديث لثلاث دول منها اثنتان من أقوى خمس دول فى العالم .. فهل نجحت ؟

نعم نجحت نجاحا أدهش الجميع ففى سيناء وفى منطقة القناة اسقطنا العديد من الطائرات أما فى القاهرة فقد شاهد كل سكان العاصمة وربما لأول مرة ـ كيف كانت تصاب الطائرات الانجليزية والفرنسية وتهوى وهى مشتعلة . أما فى الاسكندرية فقد قامت المدفعية المضادة للطائرات بتوفير وقاية كاملة للمدينة وللميناء ضد الطائرات التى كانت تقلع من حاملة طائرات بريطانية على مسافة ٨٠ كم من الاسكندرية ، وأسقطت منها أعدادا كبيرة فوق منطقة الاسكندرية ، بينما سقطت جميع قنابل الطائرات اما فى مياه البحر المتوسط أو فى بحيرة مريوط عدا قنبلة واحدة سقطت على احدى الكنائس .

وفى سيناء قامت المدفعية المضادة للطائرات التى كلفت بالدفاع عن القوات البرية بالحاق خسائر فادحة بالقوات الجوية الاسرائيلية ، رغم الفترة الوجيزة التى أتيحت لها لكى تقاتل فى سيناء . ففى رفح وأبى عجيلة فشلت محاولات الطيران الاسرائيلى لأيام عديدة فى معاونة قواته البرية نتيجة لعظم الخسائر التى لحقته من النيران الدقيقة للمدفعية المضادة للطائرات المصرية .

اما فى منطقة قناة السويس فقد كانت دول العدوان الثلاثى تعلم أن الكبارى التى اقيمت على القناة تمثل شريان الحياة الرئيسى الذى يصل سيناء بوادى النيل . وعلى ذلك فقد بنى العدو خطته على أساس عدم قصف هذه المعابر فى أيام القتال الأولى كى لا يحول

دون عبور وتدفق القوات المصرية الى سيناء وبذا تقع فى الفخ الذى أعده لها . وبمجرد أن شعر العدو ببدء ارتداد القوات للخلف راح يركز على قصف المعبرين الوحيدين فوق القناة . عشرات من الطائرات حاولت بكل أساليب القصف والهجوم الممكنة دون انقطاع نهارا وليلا للنيل من هذين المعبرين ولكن بفضل المدفعية المضادة للطائرات ظلت هذه الكبارى سليمة وتعمل طوال القتال .

ومن الطريف انها فى الواقع أصبحت فخا لهذه الطائرات فقد كان التشكيل البرى (مشاة او مدرعات) الذى يعبر غربا يترك جزءا من مدفعيته المضادة للطائرات لتكثيف الدفاع عن هذا الكوبرى ، وبذا استطاعت هذه الدفاعات الكثيفة المضادة للطائرات أن تسقط عددا ضخما من الطائرات المعادية .

وفى بورسعيد كانت هناك صورة أخرى من صور البطولة فقد استطاعت المدفعية المضادة للطائرات أن تصمد لعدة أيام أمام الهجمات الجوية الكثيفة التى ركزها العدو ــ تمهيدا لاسقاط جنود المظلات ــ وأصابت العدو بخسائر كبيرة فى موجات الهجوم هذه .

ثم اشترك رجال المدفعية المضادة للطائرات بعد ذلك فى عمليات المقاومة الشعبية واستشهد منهم العديد من الأبطال وعلى رأسهم الشهيد الرائد / عز الدين حافظ .

وتوقف القتال وانتهت الجولة الثانية وكالعادة يبدأ تحليل المعارك بعد توقف القتال . وفى هذا المجال ظهر كتاب فى المملكة المتحدة بعنوان « حملة سيناء عام ١٩٥٦ » للمؤرخ والمحلل العسكرى « ادجار أوبالانس » .

وقد استقى المؤلف معلوماته من مراجع اسرائيلية وهو لذلك ملىء بالتحيز الواضح ومع ذلك فان المؤلف لم يستطع الا أن يمجد

المدفعيـة المضادة للطائرات المصرية بالرغم منه فى أسطر قليلة وبطريقة غير مباشرة نورد منها ما يلى :

- فى صفحة ١٨٠ :

ان معظم خسائر اسرائيل فى الطائرات كانت بسبب نيران المدفعيـة المضادة للطائرات المصرية .

- فى صفحة ١٨٩ :

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار رجال المدفعية المضادة للطـائرات المصرية . فلقد تجلت شجاعتهم الفائقة .. وكفـاءتهم العـاليـة وبالرغم من قصر فترة التدريب التى أتيحت لهم كانت نيرانهم دقيقة بدرجة ملحوظة أدت الى أغلب خسـائر الطائرات الاسرائيلية .

- وفى صفحة ٤٢ :

لقد كانت المدفعيـة المضادة للطـائرات المصرية أكثر الأسـلحة كفاءة دون شـك . لقد كانت الروح المعنوية لرجالها عـالية وقـد وقفت فى ندية كاملة للطيران البريطانى ، رغم أن القـوات البريطانية هى التى وضعت الأساس للمدفعية المضـادة للطـائرات المصرية .

- وفى صفحة ١٧٥ :

لقد كانت شجاعة وكفاءة وايجابية ودقة رجال المدفعيـة المضادة للطائرات شيئا مثيرا للدهشـة . ان المدفعيـة المضـادة للطائرات المصرية كانت تعتبر دائمـا واحدا من الأسلحة الممتازة .

وهكذا قالت أبواق الدعاية المعادية ..

هذا وقد كان من السمات البارزة للهجمة الجـوية الأولى فى عمليات العدو الجوية عام ١٩٥٦ الهجوم على القواعد الجوية ليلا عـلى ضـوء المشاعل من الارتفاعات المتوسطة مع القاء القنابل الزمنية بغرض منـع استعادة الموقف أو القيام بأى أعمـال مضـادة لتقليـل آثار الضربـة الجوية ثم استئناف الهجمة فى أول ضـوء بالضرب المؤثر لتدمير الطائرات وتعطيل الممرات .

* الجولة الثالثة ١٩٦٧

تتميز الجولة الثالثة بين العرب واسرائيل بالدور البارز المؤثر الذى لعبته القوات الجوية الاسرائيلية ويقودنا ذلك بطبيعة الحال الى التساؤل .. وأين كان الدفاع الجوى وقتها ؟ وأبادر بالرد على الفور : بأنه لم يكن لدينا دفاع جوى بالمعنى العصرى المتكامل .. ولم يكن ذلك خافيا على أحد .. ولقد أشرت الى ذلك تفصيلا فى محاضرة ألقيتها عام ١٩٦٦ بعد عودتى من بعثة دراسية فى أكاديمية « كالينين » بالاتحاد السوفيتى ، وحضرها القادة والقائد العام للقوات المسلحة وقتئذ .

ولقد ابرزت فى هذه المحاضرة أن الهجمات الجوية السائدة فى فنون الحرب الحديثة ستكون على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جدا، وشرحت التكتيكات الجوية المختلفة لمهاجمة الأهداف على هذه الارتفاعات ، وأبرزت أن معدات الدفاع الجوى يجب أن تتطور لكى تقابل مثل هذا التهديد المنتظر لتكون قادرة على تدمير الطائرات المهاجمة على هذه الارتفاعات .

وهكذا يتضح أن توقيت المعركة عام ١٩٦٧ لم يكن مناسبا على الاطلاق للدفاع الجوى فقد كنا لم نزل على بداية طريق طويل شاق

فقد كنا قد حصلنا على بعض قواعد الصواريخ المضادة للطائرات ، من روسيا وأرسلت البعثات الدراسية الى الاتحاد السوفيتى، ورغم الدعاية الضخمة التى صاحبت ذلك ، الا أننا كنـا نعلم بأن ذلك لا يشكل الا خطوة واحدة فى طريق طويل ، فالصواريخ المضادة للطائرات بأنواعها المختلفة ما هى الا احدى الوسائل الايجابية التى تشترك فى الـدفـاع الجوى مع المقاتلات الاعتراضية والمدفعية المضادة للطائرات بأعيرتهـا المختلفـة .

والصواريخ فى داخليتها تختلف هى الأخرى من حيث المدى فهناك أنواع قصيرة المدى وهناك المتوسطة والبعيدة المدى أيضا . كـذا بالنسبة للارتفاع فتوجد صواريخ مخصصة للتعامل مع الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة وصواريخ للارتفاعات المتوسطة وأخـرى للارتفاعات العالية .. ويجب أن تتكامل كل هذه الأنواع مع بعضهـا البعض حتى تتحقق التغطية كاملة على الارتفاعات والمسافات المختلفة بحيث تضمن وقوع الطائرة المعادية التى تحاول أن تخترق مجالنـا الجوى فى منطقة نيران أى من هذه الصواريخ المضادة أو المقاتـلات الاعتراضـيـة .

وهذه الوسائل الايجابية التى قلنا أنها تشمل المقاتلات والصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات ما هى الا بعض من عناصر الدفاع الجوى . فيجب لكى تشتبك هذه الأسلحة بكفاءة أن يتوافر لها انذار مبكر وسيل من المعلومات المستمرة عن الهجمات الجوية المعادية حتى تتمكن مـن اتخاذ الاجراءات الطويلة المعقدة اللازمة لتحقيق اشتباك ناجح علما بأن هذه الاجراءات تزداد تعقيدا ويزداد بالتالى الوقت اللازم لهـا كلمـا ازداد تطور السلاح المستخدم . ولتوفير هذا الانذار المبكر والمعلومات المستمرة يجب انشاء شبكة انذار متكاملة تغطـى ليس فقط المجـال الجوى للجمهورية وانما تتسع لتشمل أقصى مسافة ممكنة خـارج

اراضينا حتى يمكن أن نكتشف الطائرات المعادية وننذر قواتنا ونستعد لملاقاتها ـ على طرق الاقتراب البعيدة للأهداف الحيوية ـ ونحاول أيضا أن ندمرها قبل أن تخترق مجالنا الجوى .

ولتحقيق وصول المعلومات فى الوقت المناسب ولتوفير السيطرة المناسبة على القوات يلزم توفير وسائل اتصال مستمرة مختلفة تغطى الجمهورية بالكامل .

كما ان بناء نظام دفاع جوى حديث يحتاج الى عمليات حصر ودراسة للأهداف الحيوية بالدولة وتحديد أسبقياتها وحساب الأنواع والأعداد المختلفة من الأسلحة اللازمة للدفاع عنها .

وبعد توفير المعدات على ضوء ما سبق شرحه يتم تدريب القادة والأطقم المختلفة للعمل على هذه المعدات والأسلحة وتجهيز المواقع وبناء التحصينات اللازمة ..

وباختصار فان الدراسة كانت تسير فى سبيل بناء نظام دفاع جوى متكامل ـ تنظيما وتسليحا وتدريبا ـ قادرا على تنفيذ مهام العمليات بالكفاءة المطلوبة .

.. وقبل أن ترى هذه الدراسات النور تحرك العدو بتخطيط مسبق فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وضرب ضربته الجوية مستغلا نواحى القصور فى نظام الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية وقتئذ .

فلقد اقتربت الطائرات المعادية على ارتفاعات منخفضة مستغلة الثغرات الموجودة فى الحقل الرادارى والذى كان لا يزال فى دور التكوين .

اما قواعد الصواريخ المضادة للطائرات فعلاوة على عددها المحدود ، فلم تكن مصممة للاشتباك ضد الطيران المنخفض وجميع هجمات العدو الجوى كانت على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جدا .

وهكذا لم يواجه الطيران المعادى الا المدفعية المضادة للطائرات التى كانت هى الأخرى على قلتها من الانواع التى كانت مستخدمة فى الحرب العالمية الثانية ولا تصلح للتعامل بكفاءة مع الطائرات الحديثة ذات السرعة العالية ومعدلات التغير الكبيرة . هذا ورغما عن ذلك فقد تمكنت هذه المدفعيات من اسقاط بعض من الطائرات المعادية الا أن ذلك فى الواقع لا يخفف من نتيجة الحرب بأى حال من الأحوال ورغم النتيجة المؤلمة لحرب عام ١٩٦٧ فان اليأس لم يتطرق أبدا الى قلوبنا فتاريخ الحرب بالنسبة لكثير من الدول لم يبدأ بالانتصارات ولكن بدأ بالفشل والهزائم .

وحرب ١٩٦٧ لم تكن بالنسبة لنا الا جولة فى حربنا ضد اسرائيل وكان علينا أن نستوعب دروسها القاسية كى نخطط لجولة قادمة ناجحة ..

الدروس المستفادة :

وكان من أبرز الدورس المستفادة التى خرجنا بها من نكسة ١٩٦٧ :

ـ ان نظام الدفاع الجوى نظام متكامل بعناصره المختلفة من رادار وانذار ومقاتلات ومدفعية وصواريخ مضادة للطائرات بمختلف أنواعها وحرب الكترونية ويجب أن تخضع جميعها لقائد واحد .

ـ يجب أن يكون نظام الدفاع الجوى قادرا على مقابلة ثلاثة انواع من التهديدات :

* الهجمة الجوية المتعددة الاتجاهات
«Multi directional attacks»

* الهجوم الجوى على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جدا .

* التداخل والشوشرة بجميع انواعها .

ـ ضرورة تواجد حقل رادارى مستمر يكفل التغطية المستمرة على الارتفاعات المختلفة وبدون ثغرات وخاصة على الارتفاعات المنخفضة وقادر على تأمين أعمال قتال المقاتلات والصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات مع توفير الانذار المبكر للقوات المسلحة ولجميع الأجهزة المدنية للدولة .

ـ توفير الدفاع الجوى المتكامل بعناصره المختلفة لجميع الأهداف الحيوية حسب اهميتها مع مراعاة « الكم والنوع » لهذه العناصر على ضوء اهمية الهدف وطبيعة أعمال القتال المنتظرة للعدو الجوى .

ـ أهمية الأعمال الهندسية والاخفاء والتمويه والخداع فى صمود نظام الدفاع الجوى فى المعركة .

« Survivability of air defense means »

ـ اهمية وجود نظام قيادة وسيطرة كفء مستمر يضمن القيادة المركزية واللامركزية مع وجود نظام تعاون يضمن التنسيق التام المستمر لأعمال قتال عناصر الدفاع الجوى فى المعركة .

ـ اهمية وجود نظام للصيانة والاصلاح قادر على سرعة استعادة الموقف ميدانيا اثناء المعركة .

ـ مهما كان السلاح قادرا على تنفيذ المهمة فلن يمكنه ذلك الا بوجود الفرد الذى يمكنه استخدام هذه المعدة بكفاءة تامة ليلا ونهارا وتحت ظروف المعركة البالغة التعقيد .

ـ ان الضربات الجوية المفاجئة لها تأثير حاسم على الحرب ككل وسيحاول كل طرف فى اى جولة أن يمتلك زمام المبادرة بتوجيه الضربة الأولى . ومن الطبيعى أن يكون الاجراء الرئيسى لتقليل تأثير هذه الضربة هو أن تكون وسائل الدفاع الجوى الأرضية والمقاتلات

الاعتراضية على أعلى درجة من الاستعداد القتالى ، وهو الأمر الذى يتعذر عمليا تحقيقه بصفة دائمة ، فتشغيل معدات الدفاع الجوى بصفة مستمرة يعنى سرعة استهلاكها ، كما لايمكن لدولة أيا كانت امكانياتها الاحتفاظ بمقاتلاتها الاعتراضية فى وضع المظلة بصفة دائمة . والخلاصة اننا أمام محاولة صعبة ، فلا يمكن المخاطرة بتلقى ضربة جوية دون استعداد كامل ، وفى نفس الوقت يتعذر عمليا الاحتفاظ بوسائل الدفاع الجوى الأرضية والمقاتلات فى أعلى درجة استعداد بصفة مستمرة .

واوضح للقراء ان السطور السابقة ليست حصيلة التجربة الأليمة التى خضناها فى يونيو ١٩٦٧ ولكنها تلخيص امين لبداية نقاش طويل دار بينى وبين أحد الأساتذة فى أكاديمية الدفاع الجوى بكالينين بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٥ ورغم أن هذه المناقشة تمت قبل يونيو ١٩٦٧ الا اننى وجدت انه من المناسب أن اسجلها فى هذا الجزء من الكتاب والخاص بالدروس المستفادة من جولة يونيو ١٩٦٧ ..

استمع الأستاذ فى هدوء لكل ما قلته وأدهشنى انه لم يختلف معى فى اى من النقاط التى ذكرتها ولكنه اختلف معى فى النتيجة ، فقد كان رايه أنه لاتوجد معادلة صعبة ، لأنه ليس مطلوبا من وسائل الدفاع الجوى أن تكون فى أعلى درجات الاستعداد بصفة دائمة ولكن ذلك مطلوب فقط فى الوقت الذى ينتظر أن يقوم العدو فيه بتوجيه ضربة جوية مركزة .. وعندما ابديت دهشتى قائلا « وكيف لى أن أعرف بهذا التوقيت ؟ » اجابنى : « ان ذلك من أولى مهام أجهزة الاستطلاع الاستراتيجى والمخابرات » واستطرد قائلا : « ان القيام بضربة جوية مركزة ليس بالأمر الهين أو البسيط ، وهو أمر يحتاج لعديد من الاجراءات والتحركات ، ومهما حاولنا أن نجريها فى سرية وكتمان ، قد ننجح فى خداع البسطاء ولكن لايمكن أن تخفى هذه التحضيرات

والاجراءات على الخبراء » وواصل الأستاذ حديثه قائلا : « ولابد ان لكم عملاء داخل اسرائيل أو على الأقل فلابد ان لكم اتصالات وثيقة مع دول صديقة لها ملحقين عسكريين فى اسرائيل يمدونكم بالمعلومات المطلوبة » وانهى الأستاذ حديثه قائلا « أما اذا كنتم لا تملكون الوسائل التى تحصلون بها على المعلومات عن تحضيرات عدوكم لضربة جوية مفاجئة فنصيحتى لكم الا تدخلوا الحرب .. » .

القسم الثانى

حرب الاستنزاف

---

* الفصل الرابع : القوة الرابعة .
* الفصل الخامس : اضواء على دور الدفاع الجوى فى حرب الاستنزاف .

ان الامة العربية لم تمت .. بل ان النكسة
والهزيمة والالم والمرارة تجدد من حيويتها ،
وتبعث فيها دمـا جديدا واندفاعة اكبر .

انور الســادات

الفصل الرابع

القوة الرابعة

- على الطريق الصحيح .
- معركة العدو هى أول الطريق الى هزيمته .
- القادة والقيادات .
- تطوير المعدة واسلوب الاستخدام وقواعد الرمى .
- التدريب .
- شبكة الانذار .

القوة الرابعـة

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة »
صدق الله العظيم

* على الطريق الصحيح

بقدر ما كانت النكسة فى يونيو ١٩٦٧ مؤلمة . . بقدر ما كـان للدروس المستفادة منها فضل كبير فى تطوير الدفاع الجوى المصرى ، فقد تعلمنا من هذه التجربة الأليمة الكثير من الدروس العمليـة .. دروس الحـرب .

لقد اتسمت هذه الحرب بالدور البارز الذى لعبته القوات الجوية الاسرائيلية وكان هذا الدور هو التطبيق العملى للاستراتيجية التى يعتنقها عدونا . وكان علينا ونحن نعيد بناء القوات المسلحة بعد النكسة أن نمتلك القوة والوسيلة التى يمكننا بها مواجهة هذه الاستراتيجية .

وكان القرار بانشاء قوات الدفاع الجوى المصرى كقوة مستقلة قائمة بذاتها لتصبح القوة الرابعة ضمن القوات المسلحة المصرية التى تشمل القوات البرية والبحرية والجوية ..

وقبل هذا القرار كانت وسائل الدفاع الجوى تعتبر جـزءا مـن سلاح المدفعية وتحت القيادة للعمليات للقوات الجوية .. وهو الأسلوب المعمول به فى أغلب دول العالم .. ولكن رأينا كان ينحصر فى أنـه طالما أن وسائل الهجوم الجوى مركزة فى يد قائد واحد ولها خطـة موحدة ، تشترك فيها جميع اسـلحة ومعدات الهجوم الجوى المختلفة ، فمن المنطقى والطبيعى أن نركز جميع الأسلحة والمعدات المضادة لها ، والمكلفة بصد هذا الهجوم فى يد قائد واحد ضمانا للتنسيق وتوحيـدا للمسئولية وتحقيقا للنجـاح .

أما عن باقى دول العالم فان ظروفها تختلف اقتصاديا وسياسيا وكثير منها توقفت خبرة القتال الفعلية لديها عند نهاية الحرب الثانية عام ١٩٤٥ ، وما أكثر التطورات التى حدثت منـذ ذلك التاريخ فـى استراتيجية الحرب وفن القتـال واسـلحته خصوصا بالنسبة لأسلحة الهجوم والدفاع الجوى .. حيث ظهرت الطائرات النفاثة وفاقت سرعتها سرعة الصوت بمراحل .. وظهرت الصواريخ التى تطلقها الطـائرات والتى يطلق عليها صواريخ جـو/سـطح .. واصبحت الصـواريخ الأرضية التى تطلق ضد الطائرات هى العمود الفقرى لأى قـوات دفاع جوى .. وانتشر الرادار الذى ظهر ابان تلك الفترة (٣٩ ـ ١٩٤٥) ولعب دورا كبيرا فيها .. واصبحت الأجهزة الأليكترونيـة المعقدة كالملح فى الطعام لا يخلو منها موقع أو معدة أو سـلاح .. واصبحت الأليكترونيات هى أبجدية مقاتل الدفاع الجوى .

وينبغى فى هذا المجال ان اسجل للتاريخ أن القرار بانشاء قوات الدفاع الجوى كفرع رئيسى مستقل ضمن أفرع القـوات المسـلحة

جاء متأخرا كثيرا مما اضاع على القوات المسلحة المصرية سنوات غالية لا يمكن تعويضها ، فلقد تضمن تقرير البعثة الذى رفعته الى القيادة العامة للقوات المسلحة عام ١٩٦٥ عقب عودتى من دراستى فى اكاديمية الدفاع الجوى بكالينين بالاتحاد السوفيتى مقترحات محدودة لانشاء قوات الدفاع الجوى كقوة مستقلة وارفقت بالتقرير هيكلا تنظيميا كاملا مقترحا لقيادة وقوات الدفاع الجوى ، ولم تر هذه المقترحات النور الا بعد النكسة بحوالى عامين عندما تشكلت قوات الدفاع الجوى كفرع رئيسى مستقل فى يونيو ١٩٦٩ .

وفى ٢٣ يونيو ١٩٦٩ تعينت قائدا لقوات الدفاع الجوى .. اول قائد للقوة الرابعة .. وسط موقف بالغ الصعوبة بالنسبة لهذه القوات التى كانت نواجه أقوى وافضل أسلحة العدو .. قواته الجوية ، ذراعه الطويلة والعصا الغليظة التى يعربد بها فى المنطقة .. هذا فى الوقت الذى كانت فيه قواتنا الجوية ما زالت فى مرحلة اعادة التنظيم والتسليح عقب ما تكبدته من خسائر فى نكسة ١٩٦٧ .

وفى أول لقاء مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عقب تعيينى مباشرة قال لى فى سياق حديثه وتوجيهاته انى أشفق عليك يا محمد من المسئولية .. كما أن زملائى من القادة فى أجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة كانوا يتندرون فيما بينهم عقب تعيينى قائدا للقوات « بأننى سحبت الشايب ! » (١) .

ولقد كنت فعلا اشعر بضخامة المسئولية التى أتحملها فى أحرج وأدق الظروف التى تمر بها مصرنا ولكن ايمانى كان شديدا بأننى بعون الله سأوفق فى تحقيق الكثير كما أن ثقتى كانت كبيرة وكبيرة جدا

---

(١) لعبة الكارت الشعبية المعروفة بلعبة «الشايب» .

فى الرجال الذين اقودهم فانا أعرف معدنهم ونشأت منهم وبينهم وعايشتهم منذ بداية ميلاد المدفعية المضادة للطائرات فى مصر فهم يحق خير اجناد الأرض .. أقولها لا تحيزا وانما احقاقا للحق لأن أمجادهم التى سجلوها فى كل ما خاضوه من معارك كانت تشهد لهم بذلك ..

ولكن كان هناك شيء واحد يقلقنى .. فنحن بلد لا يصنع السلاح الذى تتطلبه معركة الدفاع الجوى .. السلاح بالكم والنوع القادر على تحقيق مهامنا القتالية بنجاح .. وكنت اشعر أن تشرشل كان محقا عندما حاقت بالحلفاء الهزائم فى مطلع الحرب العالمية الثانية ومن اقواله المشهورة فى هذا المجال ، « أعطونى السلاح أعطكم النصر » (١) ، « لقد كنا نستعد للحرب الماضية ! » (٢) .

ولكننى كنت مع ذلك متفائلا لأننى كنت ارى انه لا تعوزنا العزيمة او تنقصنا العقول أو الرجال لتهيئة كل أسباب النجاح لمعركة الدفاع الجوى اذا ما توافر لها السلاح . وكان واضحا لى ان قيادتنا السياسية تركز مجهودها الرئيسى لتوفير السلاح وتبذل قصارى جهدها للتغلب على ما يصادفها من مصاعب جمة فى هذا المجال وقد كانت كثيرة ومتعددة ..

ولذا كان على كرجل عسكرى أن أركز جهدى ــ وبحصيلة خبرتى الطويلة .. خبرة ثلاثين عاما فى مجال تخصصى ــ لاعادة تنظيم القوات وتدبير الكوادر وتدريب الأفراد والارتفاغ بمستواهم التعبوى والتكتيكى والفنى لاجادة استخدام مافى أيديهم من اسلحة مع تكوين

---

(١) لان الحلفاء دخلوا الحرب العالمية الثانية وكان ينقصهم الكثير من السلاح وخاصة الدبابات والطائرات .

(٢) قالها تشرشل « تهكما على نوعية السلاح الذى كان مع الحلفاء فى بدء الحرب العالمية الثانية وكان لايناسب طبيعة ومتطلبات المعركة وقتئذ » .

قاعدة تكنولوجية عريضة جاهزة وقادرة على استيعاب الجديد من أسلحة الدفاع الجوى الحديثة فى أسرع وقت ممكن لأننى كنت أعلم ان عامل الوقت هام وحيوى بالنسبة لمعركتنا القادمة مع العدو .

حددت المهمة لقوات الدفاع الجوى وكانت تتلخص فى خمس كلمات هي « حرمان العدو من تفوقه الجوى » ورغم بساطة الكلمات التى تعبر عن المهمة فان ما وراء هذه الكلمات كان عملا شاقا ولكنه لم يكن مضنيا لأننا كنا دائمى الايمان فى النصر .. لقد كانت المهمة تعنى قهر العدو فى أقوى ما لديه .. كانت تعنى شل ذراع اسرائيل القوية .. أو بعبارة أكثر وضوحا حرمان القوات الجوية من حرية العمل ومن التأثيرعلى أعمال قتال قواتنا المسلحة وحماية المجال الجوى للجمهورية ضد القوات التى قالوا انهم بواسطتها قادرون على غزو أى مكان فى العالم حتى ولو كان فى القطب الشمالى ! .. تلك القوات التى توافر لها الوقت والسلاح والأفراد .. الخ ، وقال عنها « ديان » فى يوم من الأيام انها يمكنها أن تحسم المعركة لأمريكا فى فيتنام ان هى طلبت مساعدتها .

ولم تمض بضعة اشهر على قرار تشكيل قوات الدفاع الجوى حتى بدأنا حرب الاستنزاف .. ثم بدأت اغارات الطيران الاسرائيلى على جبهة القناة ثم على القاهرة وبعض الأهداف الحيوية فى العمق المصرى .. ومرت بنا ظروف صعبة ولكنها ابدا لم تكن حالكة .. وكان الجميع يذكرون قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

والصبر لايكون الا على مكروه ولايمكن أن يكون الصبر على الانتصارات ، ولو كانت الحرب كلها انتصارات لهانت ، والواقع

اننا تعلمنا دروسا كثيرة من حرب الاستنزاف . وان كنا فى الواقع قد دفعنا دماء ذكية وجهدا وعرقا من أجل ذلك . ولكننا أيضا أسرعنا فى بناء دفاعنا الجوى . وبدأ العدو يشعر بذلك فأصبح يختار أكفأ طياريه فى عملياته ضدنا ،ووصلنافى أوائل عام ١٩٧٠ الى مستوى الندية معه ، ثم تفوقنا عليه فى شهر يوليو من نفس العام فى تلك الفترة الشهيرة التى سميت بأسبوع تساقط الفانتوم . وتباكت اسرائيل وأعلن «ايبان» فى الكنيست وقتئذ أن السلاح الجوى الاسرائيلى بدأ يتآكل مما أثار حفيظة « ديان » ضده لقوله هذا .

ثم قدمت مبادرة « روجرز » بناء على الحاح اسرائيل على الولايات المتحدة لايقاف مذبحة الطائرات الاسرائيلية بواسطة الدفاع الجوى المصرى .

ولكن كيف تحقق ذلك ؟ ..

بالتأكيد لم يحن الوقت لاماطة اللثام عن كل ما فعلناه ، وحسبنا الآن أن نمر سريعا ببعض ملامح بناء قوات الدفاع الجوى .

* معرفة العدو هي أول الطريق الى هزيمته

كان هذا هو احد مبادئنا الهامة التى حافظنا عليها منذ البداية . ولذلك كان علينا أن ندرس القوات الجوية الاسرائيلية دراسة تفصيلية؛ وان نتابع هذه الدراسة باستمرار ، لمعرفة مايطرأ عليها من تطور نوعا وكما .. حتى أصبح عدونا كتابا مفتوحا مقروءا أمام أعيننا ، وكانت هذه هى الخطوة المنطقية الأولى لنحدد ما يجب علينا عمله .

وتبين لنا من هذه الدراسة ما ذكرناه ببعض التفصيل فى فصل سابق ، ونلخصه فى الآتى :

١ ــ العدو لديه طائرات حديثة وبأعداد كبيرة .

٢ ــ التخطيط لعمليات السلاح الجوى الاسرائيلى وضع بأساليب متطورة .

٣ ــ الطيارون مدربون جيدا على استخدام طائراتهم .

٤ ــ اسرائيل تركز على استخدام الطيران المنخفض تجنبا للكشف الرادارى بواسطة دفاعنا الجوى ولحرماننا من زمن الانذار اللازم للاشتباك الناجح ضد هذه الطائرات .

٥ ــ اسرائيل لديها أسلحة حرب الكترونية حديثة .

٦ ـ القوات الجوية الاسرائيلية مجهزة بأحدث أسلحة الخمـــد المضادة للدفاع الجوى (جو/أرض) من صواريخ موجهة وقنابل ومـا الـى ذلك .

وكان لزاما علينا أن نتخذ الاجراءات المضادة الكفيلة بمواجهة هذا العـــدو .

* القـادة والقيـادات

الواقع أن الحرب هى صراع بين العقـــول بالدرجـــة الأولى . والقيادة بالنسبة للقوات هى بمثابة العقل بالنسبة للانسان . فاذا صح العقل فان تصرفات الانسان تكون دائما سليمة وآراؤه صائبة .

لذلك فاننا لم نأل جهدا فى اختيار القادة الأكفاء وانشاء القيادات الصالحة مدعمة بضباط ذوى أفق متفتح وتفكير مرن ، يتحلون بثقافة عسكرية عميقة ، وعلى درجة كبيرة من الثقافة العامة ، وكان هذا أحد العوامل الهامة فى تحقيق ما وصلت اليه قوات الدفاع الجوى من نجاح فى هذه المدة القصيرة وسط تلك الظروف القاسية .

ثم بدأنا نخطط للتغلب على نقاط القوة لدى العـدو الجوى ..

* تطوير المعدة واسلوب الاستخدام وقواعد الرمى

اذا لم نكن قادرين على صنع السلاح فهل نستطيع أن ندخل عليه بعض التعديلات لنزيد من كفاءته القتالية .. ؟

طرحنا هذا السؤال على مهندسينا وبينا لهم أهداف التعديلات التى يريدها المقاتل وأثبتت الدراسات أن أغلب هـــذه التعديلات يمكن

تنفيذها فى مصر وبالامكانيات المتوفرة ، ولم نتوان عن ذلك ، وبسرعة بدا مهندسونا فى وضع التصميمات اللازمة . وكان اختبار نجاحهم يحتاج الى قتال فعلى ، وافدنا من حرب الاستنزاف فى ذلك الوقت . ولما ثبت نجاح تلك التجارب قمنا بتعميم هذا التطوير .

هذا عن السلاح وماذا عن أساوب استخدامه ؟ يحضرنا هنا قول « ليدل هارت » عندما كان يتحدث عن معارك أوروبا الخاسرة أمام الزحف النازى فى أوائل الحرب العالمية الثانية .. « ان المشكلة لم تكن كائنة فى نوع السلاح وانما فى طريقة استخدامه » . وهو قول صحيح بلا شك ، لذا ركزنا جهودنا للبحث عن أفضل وأحدث أساليب الاستخدام القتالى لمعداتنا حتى نحقق بها أكبر قدر من الخسائر فى العدو وأقل خسائر من جانبنا . واخذنا نطور من أساليبنا يوما بعد يوم فى ثبات وثقة بالدراسة والتحليل السليم لنشاط القتال اليومى والأسبوعى والشهرى .. وهكذا .

والواقع أن الدفاع الجوى يتميز عن باقى القوات الأخرى فى انه تقريبا فى حالة قتال دائمة .. لأن عليه أن يحمى المجال الجوى للجمهورية أربعا وعشرين ساعة يوميا دون تفرقة بين قتال مسلح أو قتال دبلوماسى ــ اذا جاز التعبير .

والعدو هو الآخر يريد أن يعرف دائما ما يحدث على الجانب الآخر .. وأسهل وأسرع وسيلة لذلك هى الاستطلاع الجوى بالطائرات .. وهذا يجب أن يتم يوميا وعلينا نحن رجال الدفاع الجوى أن نمنعه من ذلك ، وقد أسقطنا فعلا فى فترات وقف القتال المختلفة عددا من طائرات الفانتوم المجهزة خصيصا لواجب الاستطلاع الجوى ، والتى غالبا ما يخصص لقيادتها أكفأ طيارى القوات الجوية الاسرائيلية .

وقد ساعدتنا هذه الظروف الى حد كبير فى اختيار انسب الأساليب لاستخدام اسلحتنا فنيا ، وتكتيكيا ، وتعبويا .

* التدريب

العرق يوفر الدم

مثل عسكرى شهير تؤكده الحروب دائما . ولكن الأسلحة الحديثة معقدة وصعبة الاستخدام وتحتاج الى انسان ذى دراسة تخصصية عالية والمعركة تعقدت هى الأخرى واشترك فيها العديد من الأسلحة . تتميز معركة الدفاع الجوى على وجه الخصوص بسرعة تغير المواقف لأنها تتعامل مع أهداف قد تزيد سرعتها عن سرعة الصوت . وعلينا مع ذلك ان نعد المقاتل من البداية الى أن يصل الى مرحلة اجادة استخدام سلاحه ومعداته المتطورة . ولكن أين الوقت اللازم لكل هذا ومعركة الدفاع الجوى مستمرة منذ ١٩٦٧ ، والقتال يدور ليلا ونهارا ضد الطائرات المعادية .. والمعركة تطلب المزيد من السلاح والجنود والضباط المدربين .

لهذا لم يكن العرق وحده كافيا لتوفير الدم .. وانما البطولة . تلك الكلمة التى تحوى فى داخلها معانى الشجاعة والصمود ، والصبر الايجابى والعمل المستمر الدءوب والاصرار على النجاح والايمان .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

وبدأنا التدريب على اسس جديدة بعد أن أعدنا دراسة المناهج المختلفة واساليب التدريب . وكانت المعركة الدائرة تضغط علينا لاختصار الوقت الى اقل زمن ممكن ، واستفدنا نحن أيضا من مواقف التدريب الحقيقية ــ التى هيأتها المعركة لنا ــ للاسراع فى رفع مستوى الأفراد .

ومنذ عام ٧٠ واسرائيل دائمة الدهشة مما يحدث فى مصر ولكنها لا تعرف طبيعة الانسان المصري وربما تناست أن حضارة مصر من أقدم

حضارات العالم . أما عن المقاتل المصرى فيكفيه فخرا قــول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا فتح الله عليكم بمصر ، فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فان فيها خير اجناد الأرض . قال ابو بكر ولم يارسول الله ؟ قال : لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة »

وكنت اقول للمقاتلين :

« ان السلاح والفرد شيئان متلازمان ، يجب ان يكون كلاهما معدا اعدادا كاملا من جميع النواحى للمعركة .. ولقــد اثبتت ولسوف تثبت الاسلحة الحديثة فى أيديكم قدرة عالية فى المعركة .. تلك المعركة التى سيركز فيهــا العدو اقــوى واحدث اسلحته معززة بالتكنولوجيا والخبرة العلمية .. انى اعتبر معركة الدفاع الجوى معادلة صعبة ، وعليكم ايجاد الحلول السليمة لها . فالأسلحة ذات تكنولوجيا معقدة ، وسريعة التطور ، حتى تتمشى مع تكتيكات واسلحة العدو ، ويجب علينا ان نستوعب هذه الاسلحة ونحسن استخدامها بالسرعة التى تحقق مفاجاة العدو وبالتالى احراز النصر فى المعركة » .

وعلى هذا يمكن أن نرجع نجاحنا فى التدريب الى الأسباب الآتية :

* تنظيم عملية التدريب .. والتنظيم يوفر الوقت والجهد ، ويضــع كل شىء فى مكانه الصحيح .
* دراسة وتطوير مستمرين لأساليب ومناهج التدريب .
* المقاتل المصرى الذى يملك امكانيات هائلة قد لاتبدو عــلى السطح ولكنها تظهر بوضوح فى المواقف الصعبة .

وقد استجاب الجندى بسرعة للتدريب وأصبح سيدا للسلاح بحيث أمكنه استغلال جميع امكانياته وقدراته تحت الظروف الجوية المعقدة للهجمات الجوية الكثيفة ، وتحت أعمال الاعاقة والشوشرة المعادية بجميع انواعها .

* شبكة الانذار

ان شبكة الانذار هى سمع وبصر الدفاع الجوى . ولكى نغطى مجالنا الجوى ، علينا أن نمد أشعة راداراتنا الى مسافات بعيدة خارج الدولة لاكتشاف اى طائرة معادية تقترب من أراضينا ونحذر الدفاع المدنى عنها ، كما نحذر قواتنا وقواعد الصواريخ ومواقع المدفعية ، ونؤمن لها فى نفس الوقت تيار المعلومات المتدفق اللازم لكل منها حتى تقاتل بكفاءة .

وهذا يتطلب اعدادا كبيرا ومتنوعا من وسائل الانذار واستخدامها فى تنسيق وتعاون كاملين ، وتعزيزها بشبكة من نقط المراقبة بالنظرة وتجهيزها بشبكة مواصلات مرنة ومستمرة وتوفير الصمود لها حتى لا يستطيع العدو أن يدمر اى جزء منها أو يعميها بأسلحة حربه الألكترونية .

ونجحنا فى ذلك فلم تفلت منا طائرة واحدة دون إنذار مناسب ومعلومات كافية لكى يشتبك السلاح المخصص بكفاءة .

الفصل الخامس

أضواء على دور الدفاع الجوى في حرب الاستنزاف

- قوات الدفاع الجـوى تحمى وتدعـم صمود جيش وشعب مصر .
- اسرائيل تحاول نقل الصراع الى عمـق مصر وقوات الدفاع الجوى ترده الـى جبهة القنـــاة .
- حائط الصواريخ .
- الدفاع الجـوى المصرى وراء ســعى اسرائيل لوقف اطلاق النار .

عاهدت الله وعاهدتكم على ان جيلنـــا لن يســـلم اعلامــه الى جيل سوف يجىء بعده منكســـة او ذليلة وانمـــا سوف نسلم اعلامنا مرتفعة هاماتها عزيزة صـــواريها . . وقـــد تكون مخضبة بالدماء .. ولكننا ظللنا نحتفظ برؤوسنا عالية فى السماء ، وقت أن كانت جباهنا تنزف الدم والألم والمرارة .

انور السادات

اضواء
على دور الدفاع الجوى فى حرب الاستنزاف

* قـــوات الدفـــاع الجـــوى تحمى وتـدعم صمود جيش وشـعب مصر

لم يدر بخلد احد وقت صدور القرار بانشاء قوات الدفاع الجوى أن هذه القوة الجديدة التى شاء القدر أن يتم انشاؤها فى أصعب الظروف واقساها .. ستتمكن خلال شهور قليلة من الوقوف بجدارة فى مواجهة أقوى ما تملك اسرائيل وتفخر به وهو قواتها الجوية .

وبقدر ما كان الصراع مرهقا وعنيفا .. فقد كان مفيدا وحـافزا على الاسراع فى التطوير والبناء ودافعا للاجادة والاتقان ، ومجـــالا

خصبا للتفانى والتضحية والفداء . فلقد رفضنا نحن رجال الدفاع الجوى المصرى أن نعيش فى كابوس وأحلام الماضى أو ننظر للخلف وقررنا أن ننظر للأمام .. الى المستقبل متسلحين بعبر الماضى ودروس الحاضر وكنا دائما نردد فيما بيننا« أن ساعة النصر سوف تغسل كل مرارة الفشل »

لقد تميز الصراع بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجوى المصرية بالتغيير والتصاعد المستمر من كلا الجانبين ، وينبغى قبل أن نستعرض مراحل تطور هذا الصراع أن نلقى الضوء على الخلفية التى دار هذا الصراع فى ظلها .

ففى سبتمبر ١٩٦٨اعلنت مصر عن سياستها الحربية الجديدة التى عرفت باسم ((**الدفاع الوقائى**)) ، واعلنت مصر انها لن تسمح لاسرائيل ان تحول خطوط المواجهة الى خطوط للبقاء تقوم بتحصينها وحشد القوات فيها وتثبيت اقدامها فوقها .. وهكذا بدات مزايا الاحتفاظ بالخطوط الممتدة تتحول ـ تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية ـ الى عبء مرهق للعدو اخذ يتزايد بمقدار تزايد النشاط المسلح على جبهة القتال .

ومع استمرار تصاعد العمليات العسكرية وتزايد حجم الخسائر فى القوات الاسرائيلية ، ادركت اسرائيل أن مصر وأن كانت قد خسرت معركة عسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ، الا أنها لم تفقد الارادة والتصميم علىّ القتال ، وايقنت اسرائيل أن القتال سيستمر ما لم تقهر هذه الارادة عن طريق الردع الجسيم ، فكان قرار اسرائيل باستخدام قواتها الجوية او كما يسمونها الذراع الطويلة لجيش الدفاع الاسرائيلى التى تتميز بخفة الحركة والقدرة العالية على توجيه وتركيز الضربات الى جميع الأهداف التى يقع الاختيار عليها أيا كان موقعها على امتداد رقعة الأرض المصرية .

وقد بدا واضحا وقتها أن العدو يهدف من عملياته الجوية التي تركزت على جبهة القناة وساحل خليج السويس الى تحقيق الأهداف التالية :

ـ تدمير وسائل وعناصر الدفاع الجوي بجبهة قناة السويس للحصول على السيطرة الجوية بغرض منع اى تحضيرات من جانبنا للهجوم ولتحرير سيناء .

ـ اعاقة اعادة بناء قواتنا المسلحة وتدريبها واحباط تطلعات القوات المصرية فى عبور القناة وحرمانها من المناورة .

ـ ضمان السيطرة الجوية وعدم التدخل من وسائل الدفاع الجوى فى حالة قيام العدو بأى عمليات هجومية خاطفة على قواتنا .

ـ تنعيم دفاعاتنا وفتح ثغرة فيها تسمح لطائراته بالوصول الى الأهداف الحيوية بالعمق .

ـ التأثير على صمود القوات المسلحة والجبهة الداخلية واضعاف حماسها بالنسبة لحل المشكلة عسكريا .

ـ القيام بعمليات غير ذات قيمة من الناحية العسكرية لاستغلالها فى الدعاية داخل وخارج اسرائيل .

ولقد مرت عمليات العدو الجوية بمراحل متتالية يمكن تقسيمها على الوجه التالى :

اولا ـ مرحلة الجس « Probing » (من يوليو ١٩٦٨ حتى ١٩ يوليو ١٩٦٩)

وفى هذه المرحلة قام العدو بجس قدرتنا الدفاعية ضد أعماله الجوية لتحديد اسلوب وحجم ونوعيات وقدرات اسلحة الدفاع الجوى المصرية القائمة بالدفاع عن الأهداف المختلفة ، وكذا لتحديد مدى ونوع

وحجم الأعمال الايجابية التى قد تواجهها قواته الجوية عند قيامها بأى عمليات هجومية . وكانت ابرز الأعمال التى قامت بها القوات الجوية الاسرائيلية لتحقيق هذه الأهداف هى :

ـ اعمال الاستطلاع الجوى :

وقد اخذت اعمال الاستطلاع الجوى فى هذه المرحلة الأشـــكال التـــاليـــة :

*** استطلاع تعبـوى :**

على الارتفاعات المختلفة شمل الجبهة بالكامل وساحل البحـر الأحمر بعمق حتى ٥٠ ـ ٧٠ كم ، وشمل كذلك استطلاع بعض القواعد الجوية والمطارات بغرض الحصـول على المعلومات المطلوبة عن تمركـز ونظام الدفاع للقوات البرية وعن تجميع وتشكيل قتال عناصر الدفاع الجوى المخصصة للدفاع عن هذه القوات أو عن الأهداف ذات الأهميـة الحيـــويـة .

*** استطلاع الكترونـى :**

باستخدام الطائرات المجهزة لذلك وكان هذا النوع من الاستطلاع يتم فى منطقة البحر الأبيض المتوسط بطلعات تطير بموازاة الساحل على عمق ٥٠ ـ ٧٠ كم داخل البحر وتغطى المواجهـــة من بورسعيد الى مطروح ، علاوة على طلعات اخرى فى منطقة وســـط سيناء من المليز الى جنوب سيناء ، وكان الفرض من هذا النوع من الاستطلاع هوتحديد أماكن محطات الاستطلاع اللاسلكى والرادارى المصرية وتوقيتـــات عملها وتردداتها تمهيدا للاجراءات المضادة لها ، سواء لمهاجمتها وتدميرها أو للشوشرة عليها وافقادها لفاعليتها .

* **استطلاع طبيعة الأرض :**

ومسرح العمليات وطرق الاقتراب الى الأهداف الحيوية فى العمق تمهيدا لعمليات الاغارة عليها بقوات الكوماندوز أو لقصفها من الجو .

* **استطلاع مستمر يومى :**

بواسطة الطائرات البطيئة من الجانب الشرقى للقناة بغرض وضع قواتنا بالجبهة « تحت الميكروسكوب » بصفة دائمة للحصول على المعلومات التفصيلية عن تحركاتها وأوضاعها وتجهيزاتها الهندسية وجميع أوجه نشاطها القتالى والتدريبى .

ـ الدخول مع المقاتلات المصرية فى معارك جوية مدبرة فى مناطق تحقق له التفوق من ناحيتى الكشف الرادارى ومدى عمل الطائرات بغرض احداث اكبر خسائر ممكنة فى مقاتلاتنا وافقاد الطيارين المصريين الثقة فى أنفسهم وفى معداتهم ، وتضخيم اسطورة القوات الجوية الاسرائيلية التى لاتقهر ، وبذا يمكن تنحية الطيران المصرى عن سماء المعركة فى المرحلة التالية .

ـ الاغارة بواسطة الطائرات الهليكوبتر وقوات الكوماندوز المحمولة جوا على بعض الأهداف المدنية بوادى النيل (قناطر وكوبرى نجع حمادى ـ قناطر اسنا ـ محطة محولات الضغط العالى بنجع حمادى ـ معسكرات اسيوط) ، وقد تمت جميع هذه الاغارات فى الليالى القمرية وتنوعت فى أسلوب الهجوم مابين زرع الألغام والعبوات الناسفة أو القصف بالهاونات والصواريخ أرض/أرض .

ـ مهاجمة موقعى الرادار المصريين بالأردن فى ٢٢ أبريل ١٩٦٩ ، وهى المواقع التى تم انشاؤها عقب النكسة لتحقيق انذار مبكر عن أى هجوم اسرائيلى مباغت . ويعتبر الهجوم على موقعى الرادار بالأردن أول عملية جوية مباشرة ضد قوات مسلحة مصرية بعد عمليات ١٩٦٧ ، وفضلا

عن الاهداف السياسية الظاهرة لهذا الهجوم فقد كان العدو يهدف الى اختبار وتجربة أسلوب مهاجمة هدف منعزل مدافع عنه بامكانيات محددة من عناصر الدفاع الجوى الايجابية .

ـ فتح العدو الجوى الاسرائيلى فى شهر يونيو ١٩٦٩ ميدانا جديدا للصراع هو ميدان الحرب الالكترونية فمنذ ذلك الوقت صاحبت جميع اعماله الجوية اعمال الاعاقة الالكترونية والشوشرة ضد محطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ ، وان كانت قد اقتصرت فى ذلك الحين على بعض الأنواع فقط من محطات الرادار .

ثانيا : مرحلة الاستنزاف المضاد (من يوليو ١٩٦٩ حتى يناير ١٩٧٠)

اعتمدت القوات الجوية الاسرائيلية فى تنفيذ اعمال قتالها خلال تلك المرحلة على المعلومات التى توفرت لديها خلال مرحلة الاستطلاع والجس ، وقد بدات اسرائيل هذه المرحلة بعد ما استكملت تحسين وتجهيز مطارات سيناء ، واتمت تدريب طياريها على الطائرات « سكاى هوك » التى لعبت الدور الرئيسى فى هذه المرحلة . وتميزت هذه المرحلة بتوجيه الضربات الجوية ضد قواتنا المسلحة بعمق ١٥ ــ ٢٠ كم غرب القناة وساحل البحر الاحمر مركزة المجهود الرئيسى ضد قواعد الصواريخ المضادة للطائرات بالجبهة ومواقع الرادار بالنسق الاول بمنطقة القناة وساحل البحر الاحمر .

ولقد تمثل تنفيذ الطيران الاسرائيلى للاستنزاف المضاد فى الأعمال الآتية :

ـ مهاجمة قواعد الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات بمنطقة القناة والتى كانت قد كبدت العدو خسائر مستمرة فى طائراته المروحية والعمودية التى كانت تقوم بالاستطلاع من الجانب الشرقي للقناة

او تقوم بتصحيح نيران مدفعية الميدان ، ولقد تم الهجوم على قواعد الصواريخ المضادة للطائرات فى منطقة القناة على ثلاث فترات : الأولى خلال شهر يوليو ١٩٦٩ والثانية خلال شهر سبتمبر ١٩٦٩ والثالثة خلال شهر ديسمبر ١٩٦٩ . ولجأ العدو فى جميع هذه الهجمات الى البدء بمهاجمة قواعد الصواريخ على الأجناب ثم مهاجمة القواعد فى منتصف التشكيل .

ـ مهاجمة مواقع رادار الانذار بمنطقة الجبهة وخليج السويس بغرض فتح ثغرات فى مجال الكشف الرادارى تمكنه من الاختراق دون اكتشافه فى الوقت المناسب .

ـ قصف القوات البرية بمنطقة القناة مع التركيز على وحدات مدفعية الميدان والمدرعات اساسا ، مع استمرار اعمال القصف ليلا بغرض عرقلة اعمال استعادة الموقف وارهاق وازعاج القوات .

ـ القيام بعمليات ابرار جوى او معاونة عمليات الإبرار البحرى ذات الطابع الدعائى التى حاول العدو القيام بها خلال هذه الفترة فى مناطق الجزيرة الخضراء والزعفرانة وراس غارب .

ـ القيام باختراق حاجز الصوت فوق القاهرة بغرض احداث تاثير معنوى سياسى .

ـ استمرار اعمال الاستطلاع الجوى بشتى صوره السابق ذكرها ، علاوة على القيام بطلعات استطلاع خاصة للأهداف التى سيتم مهاجمتها وذلك قبل الهجوم بحوالى ٣ ـ ٦ ساعات بغرض الحصول على آخر معلومات عن تفاصيل واوضاع الأهداف والدفاعات واى تغييرات قد تكون طرات عليها ليمكن تاكيد خطة الهجوم وتلقين الطيارين عن افضل طرق ووسائل مهاجمة الهدف . وكذلك فقد اشتمل النشاط الاستطلاعى للعدو الجوى على اعمال استطلاع نتائج القصف

وكان ذلك يتم اما بواسطة طائرات مشتركة فى نفس الهجمة أو بواسطة طائرات الحماية أو عن طريق تنفيذ طلعات استطلاع خاصة لهذا الغرض بعد الهجوم بفترة قصيرة لتأكيد نتائج الهجمة ولتحديد مدى الحاجة الى تكرار الهجوم .

ثالثا ـ مرحلة الضغط العسكرى والتصعيد (من يناير الى مارس ١٩٧٠)

مع وصول الجزء الاول من صفقة طائرات الفانتوم واتمام تدريب الطيارين عليها بدأ العدو فى الاختراق العميق مستفيدا بنتائج المراحل السابقة ، حيث قام بعمليات قصف جوى على الأهداف العسكرية غير المدافع عنها « Soft skin objectives » المحيطة بالعاصمة بغرض جس قوة وسائل الدفاع الجوى فى العمق توطئة للانتقال الى مرحلة « تليين» أو اضعاف وسائل الدفاع الجوى فى العمق Softening Air Defence Means لاكتساب حرية العمل فى المرحلة التالية والأخيرة وهى مرحلة التصعيد الشامل أو مرحلة الجولة الأخيرة والتى يمكن أن تضع حدا لحرب الأيام الستة ، التى كانت تعتبر من وجهة النظر العسكرية مستمرة حتى ذلك الحين .

وهنا ينبغى أن نتوقف قليلا فلقد كان عام ١٩٧٠ منعطفا هاما فى مسيرة الصراع الرهيب بين قوات الدفاع الجوى المصرى والقوات الجوية الاسرائيلية . فقد كان عام ١٩٧٠ بحق بداية مرحلة خالدة فى تاريخ الدفاع الجوى المصرى . لذلك نستأذن القارىء فى وقفة قصيرة ننتهى فيها من تلخيص أبرز أساليب وتكتيكات القوات الجوية الاسرائيلية من يوليو ١٩٦٨ وحتى يناير ١٩٧٠ ثم نعود مرة اخرى الى الصراع الرهيب خلال عام ١٩٧٠ .

فلقد تباينت أساليب وتكتيكات العدو الجوى خلال الفترة من يوليو ١٩٦٨ وحتى يناير ١٩٧٠ تبعا لاختلاف اهداف الهجوم وطبقا

للتطور فى تسليحه والتطور المقابل فى أساليب واجـراءات الدفـــاع الجوى المصرى ، ويمكن بصفة عامة حصر السمات الرئيسية لأســاليب وتكتيكات العدو الجوى خلال هذه الفترة على الوجه التالى :

ـ لجأ العدو الى أسلوب الاقتراب على ارتفاع منخفض فى جميع عملياته الجوية تجنبا للكشف الرادارى تحقيقا للمفاجأة ، مع الحرص على الاقتراب من اتجاه الشمس بالنسبة للأهداف المدافع عنها بوسائل دفاع جوى تعتمد على التنشين البصرى .

ـ حرص العدو فى معظم عملياته الجوية على اتمام عملية القصف من خارج مدى عمل وسائل الدفاع الجوى . وعند مهاجمـــة مواقع الصواريخ المضادة للطائرات كان يتبع أسلوب الهجوم الغاطس فى أغلب الأحيان بأن يقترب الى الهدف على الارتفاع المنخفض ثم يرتفع فجأة مع زمن تعرض قليل ثم يقوم بالقصف من الغطس باعتباره أدق وسيلة ـ وهو أسلوب ألمانى معروف منذ الحرب العالمية الثانية ـ ثم الابتعاد على ارتفاع منخفض جدا مع الالتفاف الى اتجاه الشرق لضمان ســقوط الطيار ، فيما لو تمت اصابة الطائرة ، فى الأرض المحتلة وذلك لحرصه المستمر على حياة الطيار الذى هو أهم بكثير من الطائرة نفسها .

ـ لجأ العدو عند مهاجمة الأهداف ذات الأهميــة الى تشــكيل القوة المكلفة بالمهمة فى مجموعات أربع :

* مجموعة المشاغلة : وهى تطير على الحدود الخارجية لمناطق نيران وسائل الدفاع الجوى لجذب نيرانها وتشتيت جهودها .

* المجموعة الضاربة : وهى المجموعة الرئيسية التى تقـــــــوم بالقصف .

* مجموعة الحماية : وهى الطائرات المكلفة بالتصدى لمقاتلاتنـــا فـى حالة اشتراكها فى صد الهجمة .

* مجموعة الانقاذ : وتتكـون مــن عــدد من طائـرات الهليوكوبتر لالتقاط الطيارين الذين يتمكنون من القفز بالمظلة عند اصـــابة طائراتهم .

وكانت تصاحب اعمال هــذه القوات باستمرار أعمال الاعاقـة والشوشرة الرادارية ضد وسائل الدفاع الجوى وذلك من مصدر اعاقة ارضى أو محمول جوا أو من كليهما معا حسب أهمية وطبيعة الهجمـة والهدف الذى يتم مهاجمته .

اتبع العدو عـدة أساليب وتكتيكات للتغلب على وسائل الدفـاع الجوى وتقليل خسائره منها ، فلجأ الى أسلوب الهجوم المتعـــدد الاتجاهات « Multi directional attacks » وهو نفس الاسلوب الالمانى الذى كان يطلق عليه الانجليز أبان الحرب العالمية الثانية اسم « Star raid » أو « الهجمة النجمية » وذلك بغرض تشتيت نيران وسائل الدفـــاع الجوى واربكاها ، كما حرص العدو دائما فى جميع هجماته على تقليل زمن التعرض فوق الهدف وأثناء تواجده فى مناطق النيران الى أقل زمن ممكن تجنبا للاصابة . كذلك اتبع العدو أسلوب التخلص من المعركـــة على الارتفاع المنخفض مع المناورة بالاتجاه والارتفاع والسرعة بعد القــاء الحمولة لتصعيب عملية الاشتباك به بواسطة وسائل الدفاع الجـوى .

ومن الطبيعى أن يتساءل القارىء .. ترى ماذا فعلت قوات الدفاع الجوى المصرى ازاء هذه الأساليب والتكتيكات ؟ .. وليسمح لنـــا القارىء أن نغفل ذكر تفاصيل الاجراءات التى اتخذتها قوات الدفـاع الجوى فى هذا المجال ، ويكفى أن نقــول انه منـــذ أن بدأ الصراع تشكلت فى قيادة قـوات الدفاع الجوى مجموعة عمليات خاصــة مــن نخبة مختارة من الضباط أطلق عليها « مجموعة التحليل » كانت مهمتها رصد وتجميع كل المعلومات عن العدو الجوى وأعمال قتاله وتحليل الأساليب والتكتيكات التى يتبعها فى كل هجمة والخـروج بالدروس

المستفادة والاجراءات المضادة الواجب اتخاذها . ولقد مكننا هـــذا الأسلوب من استنباط الأعمال المضادة وحققنا نجاحات كثيرة تشـــهد بها اعداد الطائرات المعادية التى تم تدميرها خلال هـذه الفترة ، وفى هذا المجال سنتعرض لموقعتين حققت فيهما قوات الدفاع الجوى نصرا ساحقا على العدو :

الموقعة الأولى : كانت على أرض الأردن الشقيق عندما هـــاجم العدو الجوى موقعى رادار مصريين يقتصر الدفاع الجوى عنهما عـــلى عدد محدود من الرشاشات المضادة للطائرات ، ولقد تجلت فى هـــذه الموقعة بسالة وشجاعة المقاتل المصرى ، فقد أمكن لمقاتلى الدفاع الجوى الأبطال بامكانياتهم المحدودة فى هذين الموقعين ان يسقطوا للعدو الجوى فى الموقعة ثلاث طائرات كانت احداها طائرة قائد السرب المهـــاجم الذى قتل محترقا داخل حطام طائرته التى هوت داخل أحـد هـذه المواقـــع .

أما الموقعة الثانية ، فقد تجلت فيها قدرة المخطط المصرى عـــلى الايقاع بعدوه الذى اشتهر عنه الدهاء والخبث .. وكان ذلك يوم ١٩ سبتمبر ٦٩ عندما اتخذت قرارا بالمناورة باحدى قواعد الصـــواريخ الموجهة المضادة للطائرات من موقع قتالها الرئيسى فى منطقة الســويس الى موقع تبادلى آخر بعيد على اثر استطلاع جوى قام به العـــدو عصر ١٨ سبتمبر ، وتم فى نفس الوقت احتلال موقع القتال الرئيسى بمعدات هيكلية مع حشد كميات هائلة من المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات حول الموقع لحمايته ، وفى صباح يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٩ كانت جميع الاجراءات قد تمت على الوجه الأكمل ولم يكن ممكنا لأى شخص حتى ولو سمح له بالتجول حول الموقع أن يكتشف ما اذا كانت هـــذه القاعدة حقيقية أم هيكلية وفعلا وقع العدو فى الفخ عندما أتى كما توقعنا ليهاجم الموقع بعنف وضراوة ولكنه خسر فى ذلك الهجوم ثلاث طائرات حقيقية فى مقابل تدميره لبعض الهياكل الخشبية ..

* اسرائيل تحاول نقل الصراع الى عمق مصر ، وقوات الدفاع الجوى ترده الى جبهة القناة

نعود الآن لاستئناف استعراضنا لمراحل حرب الاستنزاف من حيث توقفنا عند بداية عام ١٩٧٠ وكالعادة سنلقى نظرة سريعة على الخلفية التي دار في ظلها الصراع عام ١٩٧٠ معتمدين في ذلك على ما نشر بالمصادر الاسرائيلية والأجنبية .. فها هي مجلة جويش أوبزرفر البريطانية تعلق في عددها الصادر في ٢٣ اغسطس ١٩٦٩ على سير الأعمال العسكرية على الجبهة المصرية بقولها « تؤكد العمليات الجوية التي بدات في يوليو ١٩٦٩ أن مصر تخوض غمار حرب استنزاف ضد السلاح الجوى الاسرائيلى . وأن استمرار الصدام الجوى مع استمرار الغارات الجوية الاسرائيلية على الجبهة المصرية وتصدى وسائل الدفاع الجوى المصرى لها انما يعنى انه من الممكن القضاء على التفوق الجوى الاسرائيلى في المدى الطويل ، بفرض أن اسرائيل لن تستطيع تعويض خسائرها » .

ولقد كان لتزايد خسائر اسرائيل على جبهة السويس تأثير بالغ على مستوى الثقة الاسرائيلية بالنفس فضلا عن التأثير المادى المباشر .. وتصور صحيفة التايمز البريطانية الموقف داخل اسرائيل في هذه الفترة قائلة ، « لقد أصبح الواقع مفهوما تماما وهو بعيد جدا

عن تلك الأيام التى كانت مليئة بالزهو عقب حرب الأيام الستة مباشرة حينما قال « ديان » ببساطة انه ينتظر اتصالا تليفونيا لعقد الصلح ولكن هذا الصلح لن يتم الآن » .

هكذا كانت الحال فى نهاية عام ١٩٦٩ .. وكالعادة لجأت اسرائيل الى قواتها الجوية التى مازالت تعتبرها الذراع القوية لاسرائيل والدرع الذى يمكن ان ترتفع الثقة وراءه من جديد .. لذلك قررت اسرائيل زيادة الاعتماد على هذه القوات واضافة أبعاد جديدة لمدى وأسلوب عملها خاصة بعد وصول باكورة صفقة طائرات الفانتوم .. وكان من الضرورى أن تكون هذه الابعاد الجديدة أكثر فاعلية وأعمق أثرا وقادرة على تحقيق نتائج استراتيجيةحاسمة ، وعلىهذا الأساس قررت اسرائيل مد غاراتها الجوية الى عمق الأرض المصرية وحتى مشارف القاهرة بهدف استراتيجى وسياسى واضح ، هو شل القدرة العسكرية المصرية تماما وتهديد الجبهة الداخلية تهديدا مباشرا . ولقد حدد «موشى ديان» وزير الدفاع الاسرائيلى فى ذلك الوقت سياسة « غارات العمق » وابعادها المعنوية والسياسية والعسكرية فى حديث أدلى به فى نهاية يناير ١٩٧٠ كالآتى :

« ــ ليس هناك خطر يمكن أن يوقف اسرائيل عن التوغل الى داخل مصر طالما كان بوسعها ذلك والى أبعد عمق تستطيع ، فالدفاع عن عمق اسرائيل يكون فى سماء القاهرة .

ــ ان الأهداف السياسية من غارات العمق هى المحافظة على معنويات الشعب فى اسرائيل وتقويض الزعامة السياسية والعسكرية فى مصر .

ــ اما الأهداف العسكرية فهى منع مصر من بدء حرب شاملة أخرى وتمكين القوات الاسرائيلية من الصمود على طول جبهة القناة »

وفى ٧ يناير ١٩٧٠ بدأ الهجوم الجوى الاسرائيلى فى عمق الأراضى المصرية بغارات جوية على مناطق التل الكبير وانشاص ودهشور واستمر بعد ذلك ضد الأهداف العسكرية والمدنية فى مناطق مختلفة من وادى النيل وشمال الدلتا . وفى شهر فبراير عام ١٩٧٠ قصف جوا أحد المصانع المدنية فى « منطقة ابو زعبل » شرق القاهرة كما ضرب فى شهر ابريل من نفس العام مدرسة للأطفال فى « منطقة بحر البقر » شرق الدلتا وتسبب الحادثان فى وقوع خسائر كبيرة فى الأرواح بين المدنيين .

وقد اتسمت الغارات الجوية الاسرائيلية فى عمق الأراضى المصرية بسمات خاصة نلخصها فيما يلى :

ـ اختيار أهداف عسكرية تقع عادة بالقرب من العاصمة أو على مشارفها .

ـ تطعيم سلسلة الغارات الجوية بعدد آخر من الغارات ضد اهداف مدنية أو عسكرية بالقرب من التجمعات السكنية .

ـ اقتراب الطائرات الى اهدافها على ارتفاع منخفض مع استغلال طبيعة الارض لتجنب الكشف الرادارى واقتصار الطائرات المهاجمة على طائرتى فانتوم فى كل مرة مع اتباع اسلوب الهجوم الخاطف الذى لا يستغرق اكثر من ثوان قليلة فوق الهدف بما يضمن عدم التعرض لوسائل الدفاع الجوى لتحقيق أكبر قدر من النتائج المادية والأعباء المعنوية بأقل قدر من التضحيات .

ولم تتوان مصر عن اتخاذ الخطوات السريعة الكفيلة باحباط هذا العدوان الاسرائيلى وجعله عملا باهظا لاتتحمله اسرائيل طويلا ..

وتقدمت قيادة قوات الدفاع الجوى المصرى الى القيادة السياسية بخطة طموحة لتطوير شبكة الدفاع الجوى المصرى وتدعيمها بأنواع

حديثة من الأسلحة والمعدات الألكترونية والصواريخ المضادة للطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة ..

وكان من نتيجة الجهود التى بذلتها القيادة السياسية أن تزايد الدعم السوفيتى لمصر خاصة فى مجال الدفاع الجوى .

وواصل رجال الدفاع الجوى المصرى العمل ليلا ونهارا لاستيعاب الأسلحة الجديدة ووضع خطط الدفاع الجوى عن مختلف الأهداف الحيوية بالدولة ، فتم فى فترة قياسية استطلاع وتحديد المواقع على الطبيعة ، وتابع رجال الدفاع الجوى انشاء المواقع الحصينة على اتساع رقعة الدولة من أسوان الى الاسكندرية ومن بورسعيد الى مطروح وكرست الدولة امكانياتها المادية والهندسية لبناء هذه المواقع فى أقصر وقت .. وسارت أعمال تجهيز الطرق واقامة المواصلات السلكية واللاسلكية جنبا الى جنب مع عملية انشاء المواقع ومراكز القيادة .. واخذت خطط الدفاع الجوى عن مختلف الأهداف الحيوية تتكامل واحدة وراء الأخرى .

ولقد احدث تطوير الدفاع الجوى المصرى أثرا معنويا سيئا فى اسرائيل فقد خلق شعورا بأن استراتيجية الردع الاسرائيلى قد فقدت جدواها ، فقد كانت هذه الاستراتيجية قائمة أساسا على العامل النفسى بنقل اخطار الحرب الى عمق الأراضى المصرية لخلق شعور بالعجز بين المصريين .

وبالفعل أدركت اسرائيل النتائج الهائلة التى ستترتب على نجاح مصر فى تدعيم دفاعها الجوى واعتبرت ذلك من وجهة نظرها اختلالا فى موازين القوى العسكرية فى المنطقة ، ولقد ترك ذلك آثاره المباشرة العميقة على استراتيجية الحرب الجوية التى خططت لها اسرائيل وحددت أهدافها العسكرية والسياسية النهائية . ويمكن القول بأن التحرك العسكرى والسياسى المصرى قد أضعف من أمل اسرائيل فى تحقيق

هذه الأهداف فبعد أن أصبح من الضرورى اعادة النظر فى الاستراتيجية الاسرائيلية وادخال تعديلات جذرية عليها . وقد مهد قادة اسرائيل لهذا التغيير أو التراجع وتوقفوا عن لهجة التهديد المستمر باختراق سماء مصر المفتوحة ورجع موشى ديان عن تحديه بالتوغل داخل مصر الى ابعد وأعمق ماتستطيع اسرائيل وراح يدلى بتصريحات جديدة كانت جميعها تدور حول النقاط التالية :

* ان تزويد مصر بالصواريخ الحديثة سيجعل الأمور صعبة امام اسرائيل بعد أن فقدت حريتها فى اختيار الأهداف التى تقوم بالاغارة عليها فى عمق الأراضى المصرية .

* ان المناطق الداخلية فى مصر لاتعتبر مناطق حيوية لأمن اسرائيل ولا ترغب القوات الجوية الاسرائيلية فى العمل ضدها .

* ان اسرائيل ستحاول منع وضع الصواريخ الجديدة فى مناطق تعتبر حيوية بالنسبة لمركزها العسكرى فى قناة السويس .

وحول النقطة الأخيرة تركز كل اهتمام قادة اسرائيل .. وها هى تصريحاتهم تعكس بوضوح مدى الجزع الذى أصابهم من احتمال نجاح مصر فى تعزيز الدفاع الجوى فى منطقة قناة السويس .. فها هو « حاييم بارليف » يصرح فى تصريح له نشرته التايمز الأمريكية فى٢٩مارس ١٩٧٠ ، « على المرء الا يقع فى تصور أن صواريخ سام دفاعية انها قد اقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية . ان مجرد اقامة هذه الصواريخ سيخلق فى مصر شعورا بالحرية لفعل ماتريد . لذلك لايصح أن نتخيل ان هذه الصواريخ دفاعية . وها هو « موشى ديان » يحدد فى وضوح فى ٥ ابريل ١٩٧٠ المهام الاستراتيجية لاسرائيل قائلا : « أن هدفنا هو التمسك بخطوط وقف اطلاق النار ، الى أن يتم استبدالها بحدود سلام ، ولهذا يتطلب الأمر ضرورة القيام بعمليات داخل الأجواء المصرية

وقد تم تخطيط النشاط الجوى الاسرائيلى لضمان تحكم اسرائيل فى خطوط وقف اطلاق النار واستمرار قبضتنا على جبهة القناة طالما أن الحرب ماضية فى طريقها .. آمل أن يكون هذا التمييز واضحا .. التمييز بين القاهرة والاسكندرية واسوان وبين قناة السويس »

وهكذا تحددت مهام القوات الجوية الاسرائيلية ضد جبهة قناة السويس على الوجه التالى :

* تدمير المواقع العسكرية المصرية تدميرا منظما وشاملا مع اعطاء أسبقية خاصة لمصادر النيران الأساسية كمرابض مدفعية الميدان .

* منع اقامة قواعد جديدة للصواريخ المضادة للطائرات المصرية فى منطقة القناة وضرب كل المحاولات التى تهدف الى تحقيق ذلك .

* عزل بعض المناطق الهامة فى الجبهة المصرية وشل أى تحركات تهدف الى ادخال قوات او حشدها فى المنطقة ، وذلك بواسطة ضرب الطرق وقطع طرق المواصلات الحيوية وخاصة الكبارى الرئيسية وترع المياه العذبة .

* حائط الصواريخ

وقبلت قوات الدفاع الجوى المصرى التحدى لتسطر فى تاريخهـا اروع الصفحات وتضع فى عام ١٩٧٠ اللبنة الأولى فى صرح الانتصـــار العظيم للجيش المصرى فى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .

وهكذا دار الصراع رهيبا بين ارادتين .. العدو يركز كل مجهـود سلاحه الجوى لمنعنا من انشاء التحصينات والمواقع تمهيـدا لادخـال الصواريخ المضادة للطائرات فى منطقة قناة السويس .. ونحن فى مقابل ذلك نحشـد كل مانملك من أسلحة المدفعية المضادة للطائرات حول مواقع العمل لتوفير الحماية لها .. ولكن ورغم التضحيات الخارقة التى تحملها رجال المدفعية المضادة للطائرات كان العدو ينجح فى معظم الأحيان فـى هدم ما أمكن تشييده .. ولم نيأس وزادنا ذلك تصميما واخـــذت أجهزة التخطيط فى قوات الدفاع الجوى تبحث عن مخرج .. ولم يكـن الوقت الذى استغرقته محاولاتنا لبناء مواقع الصواريخ ضائعا ، فبينما كان المهندسون يحاولون بتضحيات بطولية انشاء المواقع ، كان رجـال الصواريخ فى عمل مستمر لتحسين أداء معداتهم واستيعاب الأســلحة الجديدة وتطوير أساليب التدريب .

وتبلور الفكر فى قيادة قوات الدفاع الجـوى فى وجهتى نظـــر . وجهة النظر الأولى ترى القفز بحائط الصواريخ المضادة للطائرات دفعـة

واحدة للأمام واحتلال مواقع ميدانية متقدمة دون تحصينات وقبول الخسائر المتوقعة لحين اتمام انشاء التحصينات تحت حماية هذه القواعد بينما ترى وجهة النظر الاخرى أن يتم الوصول بحائط الصواريخ الى منطقة القناة على وثبات أو ما اطلق عليه حينئذ « اسلوب الزحف البطىء » وذلك بأن يتم انشاء تحصينات كل نطاق واحتلاله تحت حماية النطاق الخلفى له وهكذا . وكان لكل وجهة نظر مزاياها وعيوبها .. وجرى نقاش شامل لكل من وجهتى النظر واشترك فى هذا النقاش كل القادة على أعلى المستويات واستقر الرأى والمفاضلة على الأخذ بوجهة النظر الثانية .. الزحف البطىء .. وفعلا تم انشاء مواقع النطاق الأول شرقى القاهرة وتم احتلالها دون أى رد فعل من العدو ، واستغلالا للنجاح قررنا انشاء ثلاثة نطاقات جديدة تمتد الى منتصف المسافة بين القاهرة وجبهة القناة ، ووضعت لذلك خطة دقيقة وطموحة فعلى مدى ليلتين فقط كان علينا أن نقوم بعديد من الأعمال .. فقد كان علينا أن نقيم التحصينات الميدانية اللازمة لعدد ٢٤ قاعدة صواريخ ، وتجهيز مراكز القيادة والسيطرة والمواقع بوسائل الاتصال اللازمة وتمهيد الطرق والمدقات ، وتحريك قواعد الصواريخ واحتلالها لمواقعها ومعها وسائل الدفاع المضاد للطائرات المباشر عنها ووسائل الانذار اللازمة . كما شملت خطة الاحتلال دفع مجموعات من مهندسى الالكترونيات لضبط واختبار وتجهيز هذا العدد الكبير من المعدات وكان من الضرورى أن تتم معظم هذه الأعمال بنجاح تام فى تناسق كامل وبدقة مثالية وفى التوقيت المحدد كسمفونية لا نشاز فيها ..

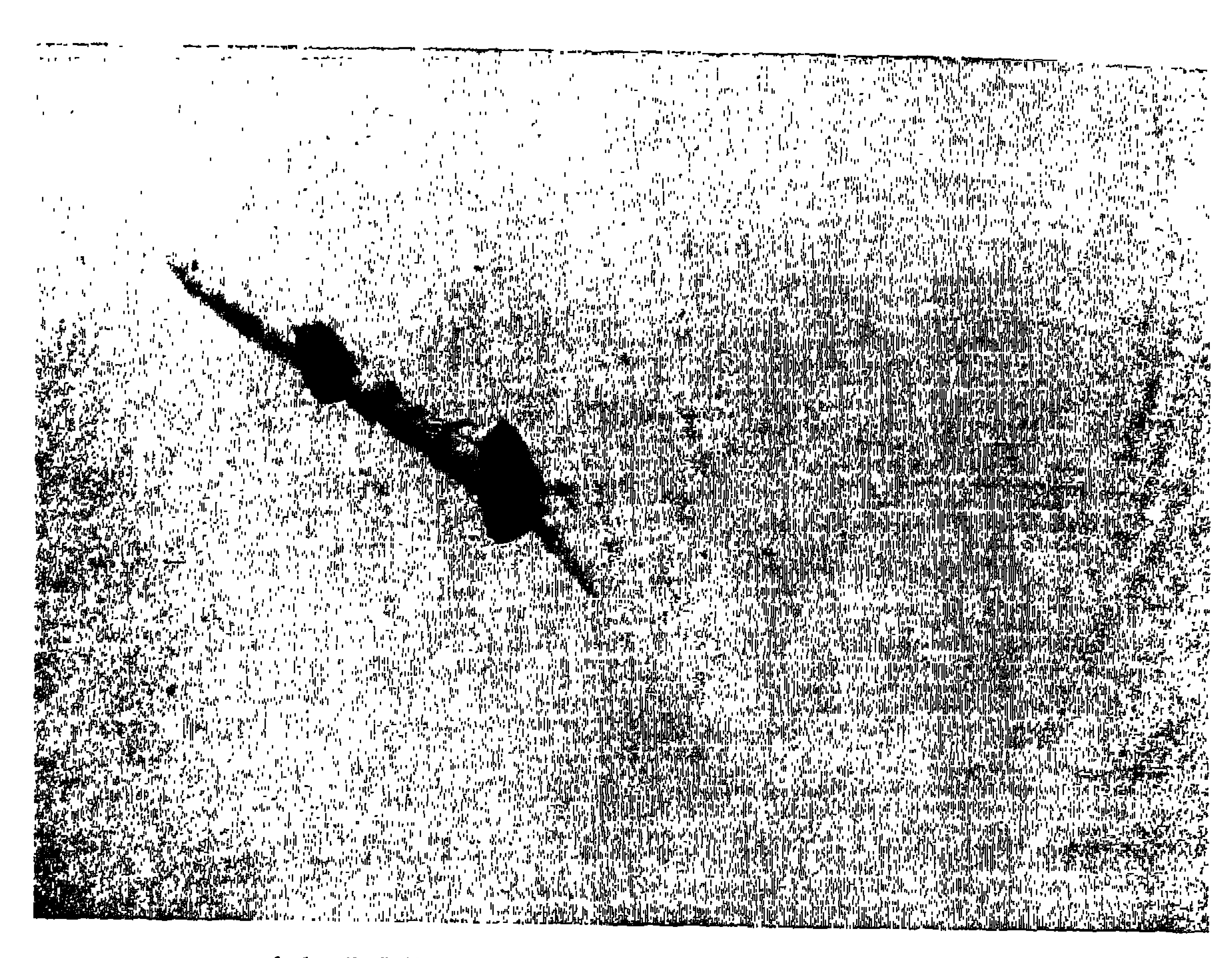
وفى صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية وتكبد السلاح الجوى الاسرائيلى خسائر فادحة لم تكن فى الحسبان .. وجن جنون قيادة السلاح الجوى الاسرائيلى ولم ترد أن تصدق أن حائط الصواريخ أصبح حقيقة واقعة

فدفعت خلال الأيام التالية بمزيد من الطائرات فى محاولة يائسة لاختراق هذا الحائط وتدميره وبالرغم من أن السلاح الجوى الاسرائيلى ألقى فى المعركة بكل ما يملك من امكانيات سواء فى مجال الحرب الالكترونية أو باتباع أحدث التكتيكات المضادة للصواريخ والتى حصلت عليها اسرائيل من الخبرة الأمريكية فى فيتنام فقد كانت النتيجة دائما مزيدا من الخسائر فى الطائرات ومزيدا من الطيارين الأسرى فى أيدى المصريين .

واثمرت خطط الخداع التى نفذناها جنبا الى جنب مع خطة انشاء واحتلال حائط الصواريخ ، وامتصت المواقع الهيكلية معظم الضربات الجوية المعادية ، ولم يفطن العدو الى حقيقة ما يحدث .. فصرحت « جولدا مائير » رئيسة وزراء اسرائيل فى حيرة : « ان كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا احداها نبتت بدلها أخرى »

واخذت اسرائيل تتباكى ، فوقف وزير خارجيتها « أبا ايبان » فى الكنيست يصرح « لقد بدأ الطيران الاسرائيلى يتآكل » ، كما أكدت « مسز مائير » ذهولها وحيرتها عندما صرحت : « ان المصريين زرعوا كل الأرض غرب قناة السويس بالصواريخ ، والله وحده يعلم أين سيجد المصريون مكانا لزراعة أعداد أخرى بالمنطقة » .

وقد يلاحظ القارىء اننا قد اغفلنا خلال استعراضنا للصواريخ بين قوات الدفاع الجوى المصرى والسلاح الجوى الاسرائيلى خلال حرب الاستنزاف التعرض لأعداد الطائرات التى تم اسقاطها فى كل مرحلة ..ولم يكن ذلك سهوا منا بل هو تعمد مقصود فنحن مصابون بعقدة نفسية حيال هذا الموضوع من تأثر البيانات العسكرية التى كانت تذيعها القيادة المصرية خلال حرب ١٩٦٧ . ولا ننوى أن نحيد عن الالتزام ولكننا نستثنى تلك الفترة التى واجهت فيها اسرائيل حائط الصواريخ لما يكمن وراءها من معنى ربما يؤيد وجهة نظرنا فى اغفال ذكر خسائر



في صباح ٣٠ يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المغيرة بالصواريخ
المصرية تكبد السلاح الجوى الاسرائيلى خسائر فادحة ..

العدو فلقد كانت خسائر العدو خلال الفترة من ٣٠ يوليو الى ٨اغسطس ١٩٧٠ طبقا للبلاغات الرسمية المصرية ١٦ طائرة ، الا أن «برجس» المشرف على المصالح الأمريكية بالقاهرة ابدى دهشته لأحد كبار المسئولين المصريين ـ بعد وقف اطلاق النيران ـ وتساءل عن السر الذى يدعو مصر الى التقليل من الخسائر التى انزلتها باسرائيل ، ورد عليه المسئول المصرى مازحا : « لنوقع بينهم وبينكم فعندما يتقدمون لكم بطلبات الاستعاضة ستتهمونهم بالكذب والمغالاة من واقع أرقام الخسائر التى نذيعها » .. ولكن يبدو أن « برجس » كان على حق فقد نشرت مجلة «افيشن ويك» فى عددها الصادر فى ١٦ نوفمبر ٧٠ حصرا لخسائر اسرائيل بواسطة حائط الصواريخ المصرى بلغ ٥١ طائرة منها ١٧ طائرة تم تدميرها تماما و ٣٤ طائرة أصيبت ، كما ذكرت المجلة أن هذه الخسائر تم تعويضها بالكامل بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية ، وعندما حملت الى وزير الحربية هذا العدد من المجلة ليطلع عليه جال بخاطرى حديث سابق معه فى هذا المجال عندما دمرنا احدى الطائرات المعادية وسقطت فى خليج السويس ، ورفض حينئذ أن يحتسب هذه الاصابة مادام حطام الطائرة أو جثة الطيار ليس فى متناول أيدينا ، وهما الدليلان الوحيدان اللذان يمكن على أساسهما ـ من وجهة نظره ـ احتساب خسائر العدو من الطائرات ، حيث قال « ياما نفسى يامحمد اجفف خليج السويس علشان نشوف الطيارات اللى وقعت فيه .! » ولعل فى هذا القول دليلا اكيدا ـ رغم مالدينا من وسائل علمية ـ على مدى حرصنا على عدم المغالاة فيما نحققه من انتصارات على العدو الجوى .

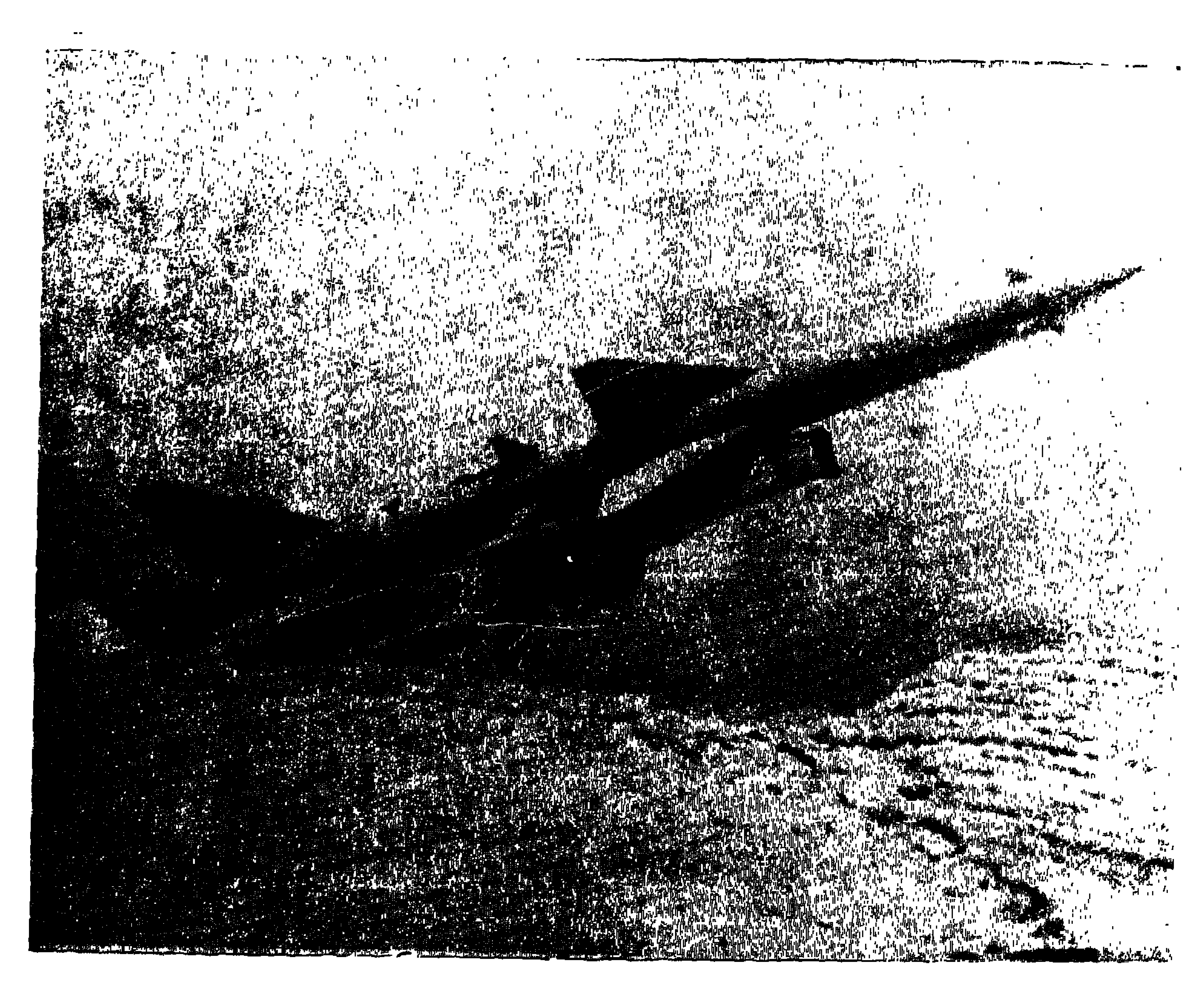
* الدفـاع الجـوى المصرى وراء سعى اسرائيل اوقف اطلاق النار

ان ديناميكية قوات الدفاع الجوى المصرى والتى كان دستورها العمل والعمل .. والسرعة والاتقان .. هو ما جعل العدو الاسرائيلى فى متاهة بالنسبة لماهية حائط الصواريخ ، فلقد كان حائطا فعلا فى مدلول قوته ومنعته واسراره ..

ولقد كان لعملية بناء حائط الصواريخ وغيرها من الأعمـــال التى تمت فى هذه المرحلة نتائج عديدة غير النتائج المباشرة المؤثرة على مســـار الصراع ، فلقد اكتسبت قيادات الدفاع الجوى خبرة فائقة فى التخطيط والتفكير وادارة اعمال القتال وسرعة التصرف بذكاء فى المواقف الطارئة ، واكتسبت القوات خبرة عملية فى استخدام المعدات الالكترونية المعقــدة كما تم تطوير أساليب التدريب بطريقة مبتكرة وفعالة بعيــدة عــن الأساليب التقليدية .

اما عن النتائج المباشرة فقد كان لها دلالات خطيرة قلبت موازين الخطط الاسرائيلية رأسا على عقب ويمكن حصر ابرز هــذه الــدلالات فيما يلى :

ـ أن اسقاط الطائرات الاسرائيلية فوق جبهـــــة الســـويس بالصواريخ ، قد عكس تطورا جــذريا بالغ الخطورة ، ســوف يجبــر



كانت القوات الجوية الاسرائيليه فى حيرة وارتباك شديدين وهى تفاجأ
كل يوم بمزيد من المواقع الجديدة ..

اسرائيل على اعادة النظر ليس فى استراتيجيتها العسكرية فحسب ولكن فى سياستها العامة كذلك .

ـ أن النجاح فى اقامة قواعد الصواريخ هو دليل قاطع على أن الهجمات الجوية الاسرائيلية المركزة قد فشلت فى منع اقامة هذه القواعد بمنطقة الجبهة . ويزيد من خطورة هذا الموقف أن هذه المهمة كانت المهمة الأولى والأساسية للقوات الجوية الاسرائيلية .

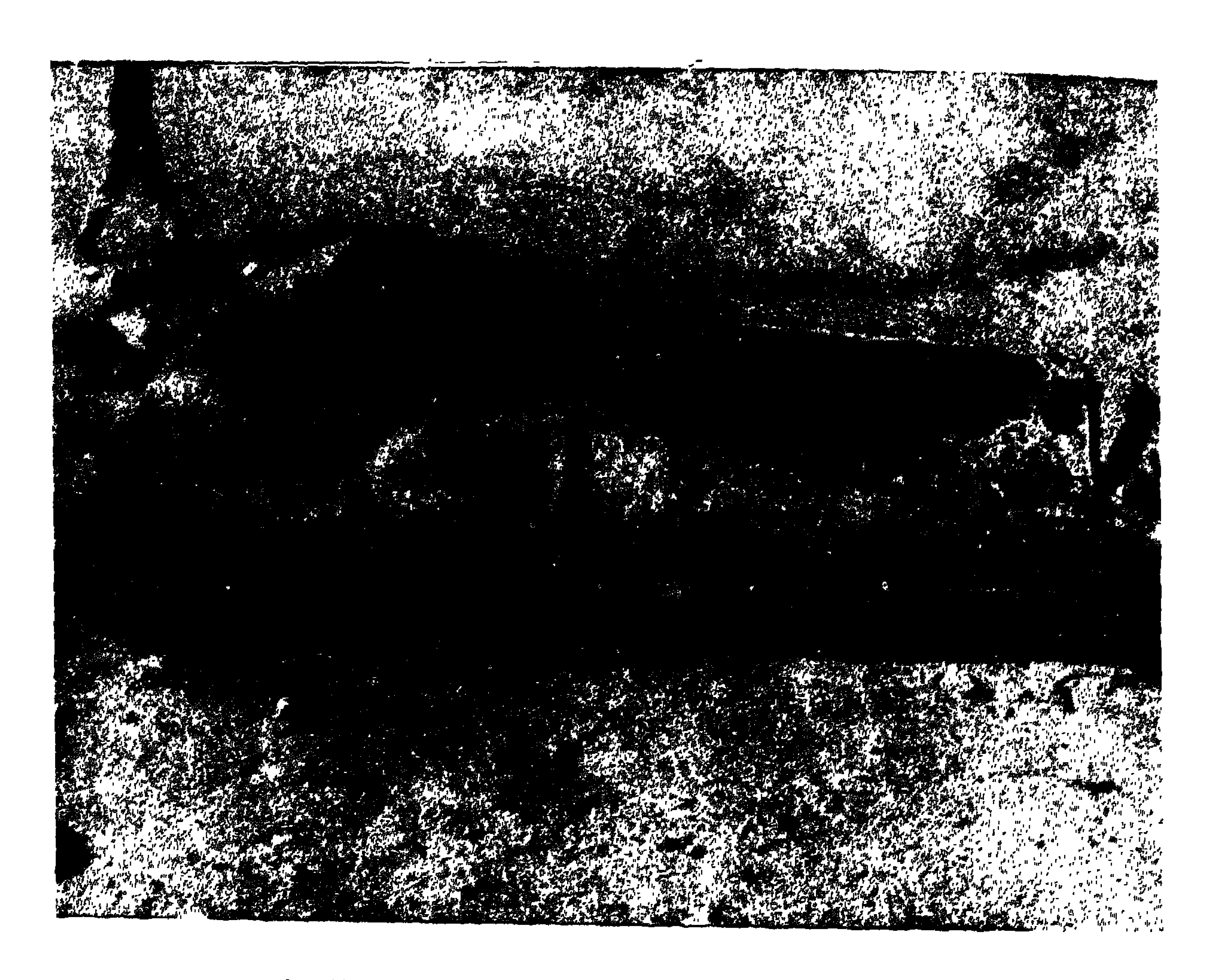
ـ أن وجود قواعد الصواريخ المصرية يمثل تحديا اساسيا لأبرز الوسائل الحيوية التى تمثل قوة الردع الاسرائيلية ، وهى القوات الجوية ويحرمها من تفوقها الجوى فوق منطقة القناة بعد أن نقص هذا التفوق بالفعل عندما اضطرت اسرائيل الى ايقاف هجماتها الجوية فى عمق الأراضى المصرية .

ـ ان فقد القوات الاسرائيلية لتفوقها الجوى فوق القناة سوف يضعها فى موقف دفاعى صعب على الضفة الشرقية للقناة ضد قصف المدفعية المصرية أو حشد قوات مصرية قادرة على العبور وتدمير خطوطها الدفاعية .

ولقد كانت هذه النتائج ودلالاتها الخطيرة الحافز الرئيسى لاسراع الولايات المتحدة الى تقديم مشروع جديد للسلام وهو ماعرف باسم « المبادرة الأمريكية » ولعل فى تصريح أبا ايبان التالى أبلغ دليل على مدى تأثير نجاح الدفاع الجوى المصرى فى انشاء حائط الصواريخ فى اجبار اسرائيل على السعى وراء وقف اطلاق النار وقبول المبادرة الأمريكية ، فلقد قال أبا ايبان يوم ٢٩ اغسطس ١٩٧٠ فى اجتماع لحزب العمل « لولا وقف اطلاق النار لواجهت اسرائيل تصاعدا فى الحرب مع مصر ، وبالتالى زيادة القتلى والجرحى ، وتآكل التفوق الجوى الاسرائيلى .. ان رفض وقف اطلاق النار يضع اسرائيل فى موقف أخطر وأشد صعوبة مما هو الآن » .

وفى الساعات القليلة التى سبقت تنفيذ وقف اطلاق النار مع الدقيقة الأولى من يوم ٨ اغسطس ١٩٧٠ تمكنت قوات الدفاع الجوى فيما يشبه المعجزة من استكمال حائط الصواريخ على الصورة النهائية له والتى كان مخططا الوصول اليها فى شهور عديدة . فقد تم ابلاغ قيادة قوات الدفاع الجوى صباح يوم ٧ اغسطس ١٩٧٠ أن مصر قررت قبول وقف اطلاق النار وسيسرى الاتفاق اعتبارا من الدقيقة الأولى من يوم ٨ اغسطس ١٩٧٠ وينص الاتفاق على تسكين الموقف فى جبهة القتال ، اى انه لن يسمح بعد تنفيذ الاتفاق بادخال مزيد من قواعد الصواريخ أو تقريب حائط الصواريخ الى قناة السويس .. وتحول الصراع فى الساعات القليلة الباقية على بدء سريان الاتفاق من صراع مع السلاح الجوى الاسرائيلى الى صراع مع الزمن .. وتمكن رجال الدفاع الجوى خلال هذه الساعات القليلة من تحقيق ما يشبه المعجزة ، فلقد امكنهم مضاعفة عدد القواعد المكونة لحائط الصواريخ وامتد الحائط ليغطى بظله كل منطقة القناة ويفرض سيطرته تماما عليها .

وهكذا تنتهى حرب الاستنزاف لتبدأ مرحلة أخرى خطيرة وحاسمة مرحلة الاعداد لمعركة العبور والتحرير .



وبدات اسرائيل تتباكى ووقف وزير خارجيتها يعلن فى الكنيست « لقد بدأ الطيران الاسرائيلى يتآكل »

القسم الثالث

حرب اكتوبر ٧٣

* الفصل السادس :

  الدفاع الجوى يحطم اسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى .

* الفصل السابع :

  الدروس المستفادة ونظرة الى المستقبل .

ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على اى مقياس عسكرى ، لقد اعطت نفسها بالكامل لواجبها واستوعبت العصر كلـــه تدريبا وسلاحا بل وعلما واقتدارا .

انور الســادات

الفصل السادس

الدفاع الجوي المصري يحطم أسطورة التفوق الجوي الإسرائيلي

- القتـــال .
- تنظيم التعاون .
- الاعـــداد .
- التخطيط .

الــدفاع الجــوى المصرى يحطم
اسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى

هناك جنــود مجهولون وراء كل عمل ناجح . وعملية التخطيط والاعداد ومتابعة اعمال القتال هذه التى نتعرض لها فى هذا الفصل مثلها مثل اى عمل آخر ناجح وراءها هؤلاء الجنود المجهولون . ويكتب هذا الفصل احد هؤلاء الجنود الذين عاشوا الأحداث بكل دقائقها وتفاصيلها .

* الاعــداد

اذا قدر لأحد من خارج القوات المسلحة المصرية أن يزور مبنــى قيادة قوات الدفاع الجوى فى الأيام التى تلت وقف اطلاق النار فى ٨ أغســطس ١٩٧٠ ، لخرج وهو على يقين تام أن مصر على وشك أن تخرق وقف اطلاق النار ولابد أنها تعد لعمل عسكرى عاجل ، فهذه الاجتماعات المكثفة المستمرة للقادة وهيئات الأركان والحركــة المحمومــة لضبــاط العمليات وهم يحملون خرائطهم ولوحاتهم وهذا التحفز الذى تنطق بــه العيون ، لابد وأن وراءه شــيئا خطيرا .. ولــم يــكن صحيحا أن مصر كانت تنوى خرق وقف اطلاق النار ولا كانت تعد لعمل عسكرى عاجــل .. ولكن هناك بالفعل شىء خطير بدأ الاعداد له .

ففي صباح يوم ٩ اغسطس ١٩٧٠ وهو اليوم التالي لوقف اطلاق النار دعا قائد قوات الدفاع الجوى لاجتماع فى مكتبه يحضره قادة التشكيلات وهيئة الأركان فىقيادة قوات الدفاع الجوى .. وراح البعض منهم يؤكد للآخرين وهم فى انتظار بدء الاجتماع أن هذا الاجتماع لابد وان يكون بغرض توجيه الشكر وتبادل التهنئة على الانتصارات التى حققتها قوات الدفاع الجوى قبل وقف اطلاق النار .

ودخل القائد الى قاعة الاجتماع ورغم الابتسامة التى صاحبت توجيه التحية الى القادة وكبار معاونيه الا أن قسمات وجهه كانت تنطق بالجدية والاحساس بالمسئولية ، وشعر الجميع على الفور أن هذا الاجتماع ليس لمجرد توجيه الشكر وتبادل التهانى ، واختفت الابتسامة من على الوجوه وتحفز الجميع فى ترقب .. وبدأ القائد فى الحديث فشرح أبعاد الموقف سياسيا وعسكريا على ضوء وقف اطلاق النار ، وانطلاقا من هذا اخذ يحدد فى وضوح دور ومهام قوات الدفاع الجوى فى هذه المرحلة مؤكدا على ضرورة اليقظة والاستعداد القتالى العالى فى مواجهة عدو غادر .. ثم قام القائد بتحليل أعمال قتال العدو وأعمال قتال قواته خلال حرب الاستنزاف وأوضح الدروس المستفادة ونقاط القوة والضعف وحدد الاجراءات الواجب اتخاذها لتطبيق هذه الدروس وتلافى نقاط الضعف وكعادته دائما حدد لكل اجراء المسئول عن تنفيذه والتوقيت الذى ينبغى أن يصله فيه تقرير بتمام التنفيذ .. الى هنا ولم يكن هناك شيء جديد أو مستغرب .. وظن الجميع أن الاجتماع قد انتهى وتهيأ البعض منهم للانصراف .. ولكن القائد استمر فى حديثه ولكن فى شكل مخالف ... فقد اخذ يدير حوارا مع القادة والمعاونين ، وكان موضوع الحوار مفاجئا ومثيرا لكل الاهتمام ، فقد طلب القائد من أحد معاونيه أن يتقدم الى الخريطة التى تتوسط القاعة ويشرح طبوغرافية سيناء ومدى تأثيرها

على اعمال قتال الـدفاع الجوى ، وطلب القـائد من احـــد قـادة التشكيلات أن يتحدث من معدلات التحرك لكتائب الصواريخ والوقت اللازم لتجهيز المعدات للاشتباك . واخذ القائد بعـد ذلك يوجـه أسئلة عديدة أثارت دهشة المجتمعين فقد كانوا على يقين انـه يعرف الاجـابة عنها تماما .. ولكن مع استمرار الأسئلة والحوار بدات الصورة تتبلور وتحدد القصد من هذا الحوار . ان هذا الحوار كان ايذانا ببدء مرحلة شاقة وفى غاية الأهمية .. مرحلة الاعداد لمعركة العبور والتحرير .

ولم يشأ القائد هذه المرة أن يعلن مهام محددة لكل من معـاونيه ولكنه طلب من كل منهم اعداد دراسة تفصيلية كـل فيمـا يخصه عن المشاكل والصعوبات المنتظر أن تلاقيها قوات الدفاع الجوى فى معركة العبور والتحرير واعداد المقترحات لحلها .. وكان الأمر المثير للدهشة فى هذه المرة أن القائد بدلا من أن يحدد التوقيت للتنفيذ سأل مرءوسيه عن الوقت الذى يحتاجونه لاعداد هذه الدراسـة .. وكان الأكثر غرابة انه استجاب لطلبهم لاعداد الدراسات المطلوبة خلال ثلاثة شهور .

وكانت الكلمات التى اختتم بها القائد الاجتماع معبرة أصـــدق التعبير عن عظم المسئولية التى شـاء القدر ان يحملها هؤلاء الرجال وهم يغادرون قاعة الاجتماع .. فقد اختتم حديثه قائلا :

« ان التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب ان نعتـرف بها ، ولكن ينبغى ايضا ان لا ننسى اننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خـلال حـرب الاستنزاف بل واستطعنا تحقيق بعض الانتصارات عليه ، وفى معركتنا المقبلة لـن يقتصر دورنا على مجرد تحدى هذا التفوق ، بل سيكون علينا ان نهزم هذا التفوق ونحطم الاسطورة » .

وانطلق قادة التشكيلات وضباط هيئة الأركان كل يعد الدراســـة المطلوبة منـــه .

وجاء موعد الاجتماع المقرر واخذ القائد يستمع الى تقارير القادة المرءوسين وضباط هيئة الأركان ، وكانت الصورة قاتمة فالمشاكل والمصاعب لاحصر لها وبعضها خطير ومعقد أشد التعقيد .. وبالرغم من ذلك استمر القائد يستمع باهتمام بالغ الى التقارير ويناقش القادة وضباط هيئة الأركان فى ادق التفاصيل ولم يبد عليه ولو للحظة أن اليأس قد تطرق الى نفسه . وعندما انتهى من الاستماع الى التقارير اخذ القائد يقلب فى أوراقه الى أن وجد ما يريد وأخذ يقرأ .

« ان لكل مشكلة مهما عظمت حلا ، وينبغى وضع السيناريو كاملا لكل موقف حتى نكون على بينة بمراحله وتطوراته المنتظرة واحتمالاته المختلفة ونقدر لكل قدم موطئها » ..

لقد كانت هذه نص كلمات القائد الأعلى والزعيم انور السادات سجلها قائد قوات الدفاع الجوى فى اول اجتماع للرئيس بقيادة القوات المسلحة بعد توليه مسئولية قيادة المسيرة .

واختار القائد نخبة من ضباط الأركان ليشكلوا ما سماه لجنة اعداد القوات وطلب منهم استلام نسخة من الدراسات التى تم الاستماع اليها ومناقشتها خلال الاجتماع ووضع خطة اعداد القوات لمعركة العبور والتحرير شاملة لكل التفاصيل مع تحديد المسئول عن تنفيذ كل اجراء وتوقيت تمام التنفيذ ، واختتم القائد الاجتماع قائلا :

« اتمنى لكم جميعا التوفيق وأكرر على مسامعكم قول قائدنا الأعلى : ان لكل مشكلة مهما عظمت حلا ، ولا تنسوا فى اى لحظة ان المعدة والفرد شيئان متلازمان يجب أن يكون كلاهما معدا اعدادا كاملا للمعركة » .

وواصل ضباط الأركان العمل ليل نهار لانهاء خطة الاعداد ولم يكن الأمر سهلا فقد تطلب منهم اجراء العديد من الاتصالات والدراسات مع مختلف اجهزة وهيئات القيادة العامة للقوات المسلحة والتنسيق معها للاستفادة من امكانياتها فى ايجاد الحلول للمشاكل



قررنا ان نطوع المعدات التى فى أيدينا ..

والمصاعب وحتى تجىء الخطة واقعية تماما وقابلة للتنفيذ فى التوقيت المحـــدد .

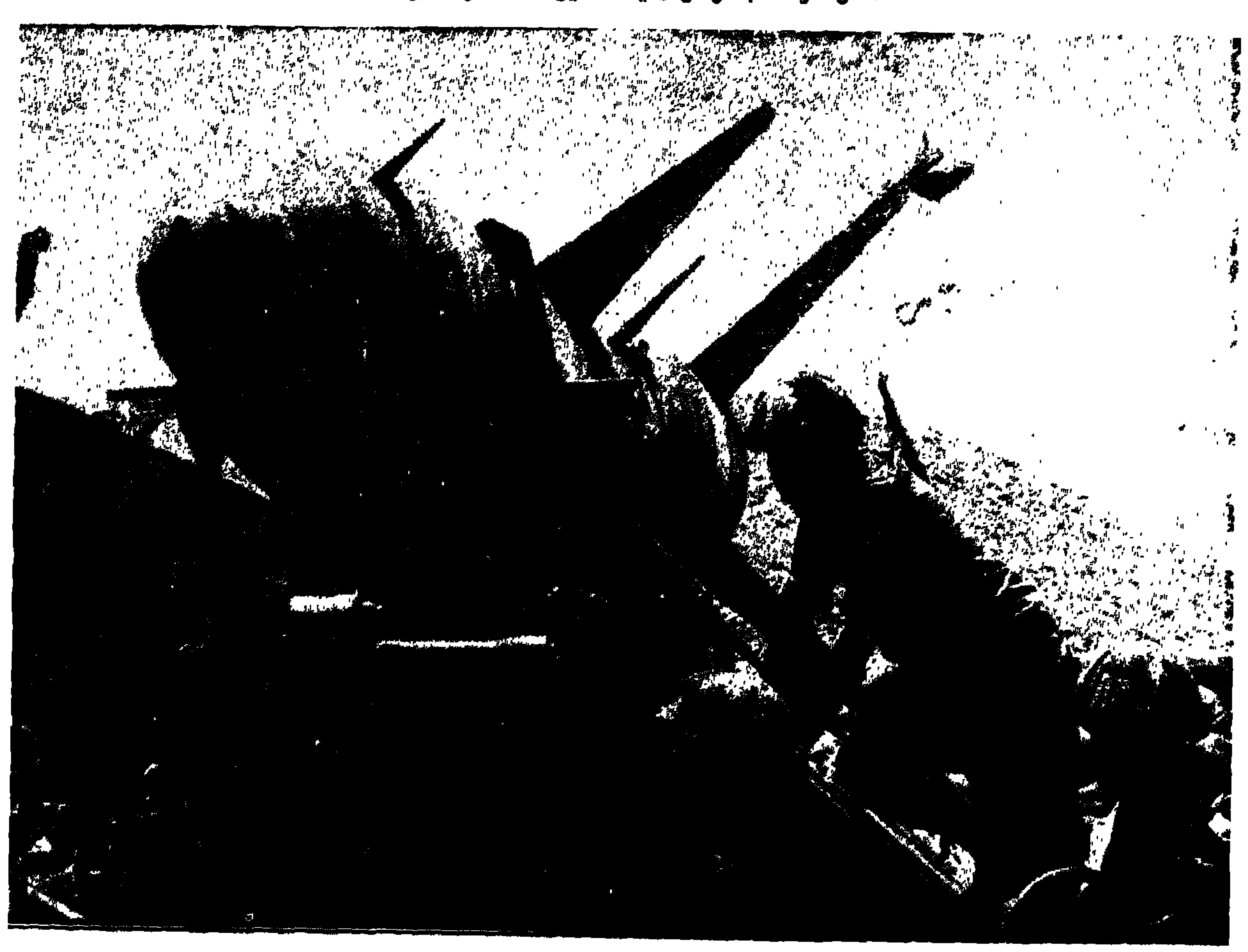
ولا يسمح المجال هنا لاستعراض مفصل لخطة اعداد قوات الدفاع الجــوى لمعركة العبور والتحرير فقد شملت عشرات الموضــوعات التى تغطى مختلف النشاطات بما يضمن اعداد القادة والقيادات والمقاتلـــين وتهيئة المعدات والأسلحة ووسائل الاتصالات ومسرح العمليات ليؤدى كل دوره فى المعركة المنتظرة بأكبر قــدر من الكفاءة والاتقــان مـــع تكوين الاحتياطيات والتكديسات اللازمة من الذخائر والمعدات وقطـع الغيــار لضمــان الاستمرار فى المعركة تحت جميع الظروف .. لذلك سنقتصر هنا على القاء الضوء على احدى المشاكل التى عــالجتها خطة اعداد قوات الدفاع الجوى كمثال حتى يتصور القارىء ماذا كان يعنى وضع وتنفيذ خطة لاعداد قوات الدفاع الجوى لمعركة العبور ..

كانت المشكلة أن معظم قواعــد الصــواريخ مــــن تلك الأنواع المصممة أصلا للدفاع عن أهداف حيوية ثابتة وبالتالى فهى تستغرق وقتاطويلا لاعدادها للتحرك أو لتجهيزها للاشتباك كما انها تتميز بضخامة الحجم وبالتالى فنسبة تعرضها للاصابة أكبر ، الأمر الــــذى يتطلب ضرورة اقامتها فى مواقع محصنة لتوفير أكبر قدر من الوقاية لها ... وكــل ذلك يتعارض تمــاما مع احتياجــات المعركة المقبلة فالهــدف المطلوب الدفاع الجوى عنه فى هذه الحالة هو الحشود الرئيسية للقوات البرية وهى بطبيعة المهمة الهجومية المكلفة بها هدف متحرك يتــطلب حماية متحركة .. تلك كانت المشكلة وهى فى الواقع مشكلة خطـــيرة فهى تعنى ببساطة انه مادام الدفاع الجوى غير قادر على متابعــة تقدم القوات البرية اثناء العمليات الهجومية فستصبح هذه القوات دون غطاء جوى ، الأمر الذى يتركها فريسة سهلة لطيران العدو المتفوق .

اذا ما هو الحل ؟ . وانبرى أولئك الذين يفضلون الحلول الجاهزة

يقترحون رفع الأمر للقيادة السياسية لتدبر لنا اسلحة دفاع جوى هجومية بما يتفق مع احتياجات المعركة المقبلة .. ولكن لم يكن ذلك هو الحل فلم تكن القيادة السياسية غافلة عن احتياجات المعركة ، وجهودها لتوفير هذه المطالب مستمرة .. ولكن هل نقف مكتوفى الأيدى فى انتظار هذه الأسلحة التى ربما لن تجىء أبدا ! .. وقررنا التركيز على الحل الصعب ، قررنا ان نطوع المعدات التى فى أيدينا لتتمشى مع متطلبات عملياتنا المقبلة ، وسلكنا اتجاهات متعددة لتحقيق هذا الهدف .. وكان تركيزنا الرئيسى على الفرد سيد المعدة وتمكنا فعلا فى نهاية الأمر عن طريق التدريب الشاق المتواصل ان نفجر الطاقات الهائلة الكامنة فى الفرد المصرى العريق وأن نصل بالأزمنة اللازمة لتجهيز المعدات للتحرك أو للاشتباك الى أقل من ربع الأزمنة المحددة بواسطة صانع السلاح فى تعليمات الاستخدام . ولم يقتصر الأمر على على ذلك فلقد تمكن مهندسوا الدفاع الجوى من ادخال بعض التعديلات الفنية على المعدات لتسهيل عملية التجهيز للتحرك والاشتباك وتقليل الوقت اللازم لذلك . وعكفت مجموعة اخرى من الأخصائيين تبحث عن اسلوب يوفر تحقيق اكبر قدر من الوقاية لهذه المعدات ذات نسبة التعرض الكبيرة عند اشتراكها فى عمليات هجومية طابعها السرعة واستمرار الانتقالات .. وانتهت الدراسة الى ضرورة تشكيل مجموعات خاصة من وحدات الانشاءات ترافق قواعد الصواريخ فى انتقالاتها . وزودت هذه المجموعات بمعدات هندسية خاصة وامكن عن طريق التجهيز الجيد لهذه المجموعات والتدريب المتواصل أن تنتهى من تجهيز موقع قاعدة الصواريخ فى ساعات قليلة وهو الأمر الذى جعل اشتراك هذه القواعد فى حرب اكتوبر المجيد ممكنا وجعل القوات الجوية الاسرائيلية فى حيرة وارتباك شديدين وهى تفاجأ كل يوم بمزيد من المواقع الجديدة وكأنها نبات شيطانى لا تعرف من اين يجىء ومن الذى يضع بذرته فى الأرض .

كلف المقاتل الواحد بأكثر من وظيفة لتقليل عدد الأفراد الى الحد الأدنى .



ولم تكن تلك فقط هى أبعاد المشكلة فهذه القواعد بحكم تصميمها يتم السيطرة عليها وادارة نيرانها من مراكز قيادة ثابتة ولم يكن ذلك ممكنا فى العمليات الهجومية .. وكان الحل هو اعداد مراكز قيـــادة متحركـــة .

وعلى الفور قام الاخصائيون بوضع رســومات مبتكرة لتجهيز هذه المراكز محليا وتم تصنيع عينة منها حققت نجاحا اكيـــدا عنـــد تجربتها وصدرت التعليمات بتعميمها .. ولاننوى ان نثقل على القارىء بمزيـــد من التفصيلات الفنية الاخرى التى استلزمها حل هذه المشكلة ونختصر ونقول أن الأمر تطلب جهودا شاقة لايجاد حلول مبتكرة فيمـــا يختص بالامداد بالصواريخ وقطع الغيار والاحتياجات الادارية والمعيشية والمياه والوقود وانشاء قواعد أمامية للاصلاح لضمان سرعة استعادة الموقف بل ان الأمر تطلب اعادة النظـــر فى تكويـــن الطاقم القتالـــى لقـــاعـــدة الصواريخ وكلف المقاتل الواحد بأكثر من وظيفة لتقليل عـــدد الأفراد الى الحد الأدنى توفيرا لكل مقومات خفة الحركة .

وهكذا وعلى نفس المنوال عالجت خطة الاعداد جميع المشاكـــل وحددت الاجراءات وصدرت التعليمات بالبدء فى تنفيذ الخطـــة تحت اسم خطة رفع الكفاءة القتالية ضمانا للسرية ، ودارت العجلة وكـــانت تقارير النجاح التى تعرض دوريا على القائد وزياراته المتكررة للتشكيلات والوحدات تؤكد انتظام العمل واضطراد التقدم واقتراب الأمـــل .

لقد واجهنا الهزيمة كواقع .. ولكن كان هناك شيء دائما في اعماقنا يرفضها .. كان عنصرا غير محسوب ومقياسا لم يكن احـــد يحركه صادرا من داخلنا ، ومن اعماقنا كان شيئا من حضارتنا من اصالة سبعة آلاف عام . مـن أرضنا ارض الجدود التي نرتبط بها منذ بـدء الخليقة . هـذا العنصر غير المحسوب هـو الحضارة والاصـالة والتـاريخ هـو الالهـام والتصـور الذي كان وراء القرار .

انور الســادات

التخطيط ..

مع نهاية ١٩٧٢ وبعد ما استنفدت مصر كل الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحريك القضية من حالة اللاحرب واللاسلم ، اتخذ الرئيس أنور السادات قراره العظيم وأصدر توجيهاته الى القائد العام للقوات المسلحة بالتخطيط لعملية هجومية استراتيجية مشتركة بالتعاون مع القوات المسلحة السورية ، وحدد القائد الأعلى للقوات المسلحة الاطار والأسلوب والهدف .

وتشكل على الفور فى قيادة قوات الدفاع الجوى جهاز خاص للتخطيط لهذه العمليات تحت اشراف قائد القوات ... وشرع هذا الجهاز يعمل فى تنسيق كامل مع باقى أجهزة التخطيط فى القيادة العامة للقوات المسلحة .

وينبغى الا نغفل هنا الاشارة الى الدور الرائع والخلاق الذى قامت به هيئة عمليات القوات المسلحة وكان على رأسها فى ذلك الوقت اللواء محمد عبدالغنى الجمسى ، فقد كانت جهوده وأفكاره عونا صادقا لقوات الدفاع الجوى كما ساعدت الصداقة الوطيدة والفهم المتبادل بينه وبين زميله وخريج نفس الدفعة فى الكلية الحربية وكلية أركان حرب اللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى على تخطى

جميع الصعاب والمشاكل وتنسيق الجهود لتحقيق تعاون وثيق بين قوات الدفاع الجوى وأفرع وأسلحة القوات المسلحة الأخرى .

وكان على جهاز التخطيط فى قيادة قوات الدفاع الجوى أن يجرى كافة التقديرات والدراسات التى تكفل للخطة النجاح المنشود وصولا الى الهدف المحدد .. وهو حرمان العدو من تفوقه الجوى وتحييد قواته الجوية فى مسرح القتـــال .

وكان هناك عدد من الحقائق لابد من وضعها فى الاعتبار كأساس للخطة لتلافى أى ثغرات محتملة بين التخطيط والتنفيذ .. وكانت هـذه الحقـائق هـى :

أولا : أن قوات الدفاع الجوى ستواجه القوات الجوية الاسرائيلية ـ وهى قوة الردع الرئيسية لدى العدو ـ وهى فى كامل قوتها حيث لم يكن فى مقدور القوات الجوية المصرية الوصول بالأنواع التى تمتلكهـــا من الطائرات الى القواعد الجوية الرئيسية فى اسرائيل وانزال خسائـر جسيمة فى طائراته ومعداته .

وفى مواجهة هذه الحقيقة أمكن لجهـاز التخطيط بقيـادة قـوات الدفاع الجوى ايجاد الحل المناسب بالتنسيق الوثيق مع هيئة التخطيط فى القيادة العامة للقوات المسلحة .. واستقرار الرأى على أن مواجهة هذه الحقيقة يتطلب أمرين :

ـ الأمر الأول : هو الاصرار على احراز المفاجأة وحرمان العـدو من التمتع بمزايا توجيه الضربة الأولى ، وكان على الدفاع الجوى القيام بدور رئيسى فى هذا المجال ، وقد يتســاءل البعض وكيف يمكن أن يكون لقوات الدفاع الجوى دور فى تحقيق المفاجـأة على العـدو .. ونبادر بالاجابة .. بأنه لم يكن مجرد دور بل كان أحـد العـوامـل الرئيسية التى حققت للقوات المسلحة المصرية المفاجأة الكاملة على العدو



طائرة الاستطلاع الالكترونى من طراز « استراتو كروز » حطام على ارض سيناء .

التى اذهلت جميع الدوائر العسكريةفى العالم . فقد كان على الدفـــاع الجوى أن يحرم العدو من المعلومات التى يحصل عليها بواسطة طلعات الاستطلاع الجوى التى تطير شرقى القناة لالتقاط الصور عن أوضـــاع وتحركات قواتنا على الضفة الغربية .. لذلك قررنا أن نمد سيطرتنا على المجال الجوى من غربى القناة الى شرقها . ولم يكن أمامنا لوضع هذا القرار موضع التنفيذ الا أسلوب القوة . وفعلا أمكن عنطـريق عدة عمليات خاصة ، بالرغم من استمرار سريان وقف اطلاق النار ، أن نكبد العدو خسـائر متلاحقة فى طائراته التى تقوم بالاســتطلاع مــن الجانب الشرقى للقناة ، وربما لم نهتم نحن أو العدو بالاعلان عن هذه الاشتباكات ، ولكن كانت خسائر العدو فى احداها جسيمة ومؤلمة فلم يقدر على الكتمان واضطر المتحدث العسكرى الاسرائيلى أن يعلن فــى حزن وأسى عن اسقاط الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات المصريـة يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧١ لطائرات استطلاع الكترونى اسرائيلية من طــراز استراتوكروزر فى سيناء ومقتل جميع من فيها وكانوا نخبة من العلمــاء والمتخصصين فى الحرب الألكترونية .

لقد كانت هذه العملية مثالا رائعا لاحكام التخطيط ودقة التنفيذ لقد كان هدفنا أن نوقع بالعدو خسارة فادحة بأن نتخير لعمليتنا هدفا دسما يوجع اسرائيل ، فاستقر رأينا على اصطياد طائرة اســـتطلاع الكترونى باعتبارها اغلى ما تملك اسرائيل من طائرات ، وكان لابد من الخداع لاستدراج الفريسة.. ولذلك وضعنا سلسلة متصلة من الاجراءات والتحركات ، وجاءت ردود الفعل من جانب العدو تجاه هذه الاجراءات تؤكد يوما بعد يوم أن العدو قد ابتلع الطعم ، والفريسة توشك أن تقــع فى الفخ ، وقدر القائد وقتها أن التوقيت المرجح للتنفيذ الفعلى سيكون يوم الجمعة ١٧ سبتمبر الموافق ٢٧ رجب وعلى الفور أصدر أوامــره باطلاق اسم « ٢٧ رجب » على العملية تفاؤلا بالذكرى العطرة لــذلك اليوم الكريم . وصدق حدس القائد ، ففوجئت الأمة الاسلامية كلهــا

وهى تحتفل بهذا اليوم العظيم بالاذاعة الاسرائيلية تزف اليها نبأ اسقاط الدفاع الجوى المصرى لأغلى طائرة تملكها القوات الجوية الاسرائيلية ومقتل جميع من فيها . ولم تكن تلك نهاية العملية ، .. فأثناء التخطيط وضعنا « سيناريو » كاملا لكل التفاصيل بما فى ذلك ردود الفعل المحتملة من جانب العدو وكيفية مواجهتها . وتوقعنا وقتها أن يلجأ العدو كعادته فى عمليات ردود الفعل الى محاولة مفاجأتنا باستخدام أحدث الأسلحة التى حصلت عليها القوات الجوية الاسرائيلية وكان هذا السلاح فى ذلك الوقت هو الصواريخ المضادة للرادار « شرايك » الذى تحدثنا عن خصائصه فى الفصل الثانى . ولذلك تضمن التخطيط للعملية اعداد قواتنا لصد هجوم جوى للعدو يستخدم فيه الصواريخ الشرايك ضد محطات رادار الانذار ومحطات توجيه الصواريخ ، وتم تدريب القوات على أسلوب خاص ابتكرناه للاشتباك مع الطائرات المعادية المزودة بالصواريخ « شرايك » وفى صباح اليوم التالى لاسقاط الطائرة «الاستراتوكروزر» صح ما توقعناه وأعددنا أنفسنا لمواجهته فقد هاجمت الطائرات الاسرائيلية مواقع الصواريخ والرادار بمنطقة قناة السويس وأطلقت عشرة صواريخ شرايك من خارج مناطق تدمير الصواريخ المضادة للطائرات طاشت جميعها بفضل الأسلوب الذى اتبعته قوات الدفاع الجوى المصرية . لقد كانت هذه التجربة اختبارا عمليا للأسلوب الذى وضعناه نظريا فأكد صحته وصلاحيته للتطبيق مما كان له أكبر الأثر فى النجاح الذى أحرزناه خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وهكذا وعن طريق اللغة الوحيدة التى تفهمها اسرائيل لغة القوة .. امكن لقوات الدفاع الجوى أن تمد سيطرتها على المجال الجوى الى شرقى القناة وتحرم بذلك اسرائيل من أحسن مصادرها للحصول على المعلومات .. وربما يكون المحللون والمعلقون قد اختلفوا بعد الحرب فى تحليل الأسباب والوسائل التى أدت الى نجاح القوات المسلحة العربية فى احراز المفاجأة على اسرائيل وبالتالى حرمتها من ميزة توجيه

الضربة الوقائية ، فبعض المعلقين يعزو ذلك الى فشل المخابرات الاسرائيلية ــ بفضل الاجراءات التى اتخذها العرب ــ فى جمع الحقائق واستخلاص النتائج ، والبعض يرى أن الحقائق كانت متيسرة ولكن القيادة الاسرائيلية اخفقت فى استخلاص النوايا . ونحن لا ننوى الدخول فى نقاش مع هؤلاء أو اولئك فقد كانت خطة الخداع التى تم تنفيذها سياسيا واعلاميا وعسكريا على جميع المستويات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية تهدف الى كلا الأمرين ، فبقدر ما كانت تسعى الى حرمان اسرائيل من المعلومات والحقائق كانت تهدف الى ايقاع القيادة الاسرائيلية فى متاهة من الحيرة والتخبط تعجزها عن استخلاص النوايا اما ما يهمنا ابرازه فى هذا المجال أن هذا الفريق أو ذاك لم يستطع ان ينكر الدور الذى لعبه الدفاع الجوى المصرى سواء فى حرمان اسرائيل من احسن مصادرها للمعلومات ، أو ردعها عن توجيه الضربة الوقائية . فبالنسبة لدور الدفاع الجوى المصرى فى حرمان اسرائيل من الاستطلاع الجوى تقول « الصنداى تايمز » البريطانية فى عددها الصادر يوم ١٩ ديسمبر ١٩٧٣ تحت عنوان « كيف هاجمت مصر اسرائيل وهى غافلة .. ؟ » ما نصه الآتى :

« ومن الوجهة الفنية كانت المخابرات رائعة ، فقد كان لدى اسرائيل ــ لكى تعرف بالاستعدادات المصرية ــ اجهزة الاستماع الخاصة فى سيناء والمزودة برجال امريكيين ، واذا كانت دفاعات سام قد عطلت قدرة اسرائيل على القيام بعمليات جوية استطلاعية لالتقاط الصور ، فان القمر الصناعى الأمريكى (ساموس) الذى أطلقته الولايات المتحدة الأمريكية يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٧٣ لاستطلاع ما يجرى فى الشرق الأوسط قد سد هذه الثغرة » . وقد اعترف «كيسنجر» بذلك بقوله: «ان احدا لم يخطىء بشأن الحقائق » ولكنه قال ايضا : « ان من اليسير أن تعرف الحقائق أكثر من النوايا » .

اما عن دور الدفاع الجوى المصرى فى ردع اسرائيل عن توجيه الضربة الوقائية فيقول « بول ابردمان » فى مقال نشر فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٦ مانصه : « كان شائعا عن حرب ٧٣ أن اسرائيل خسرت الحرب لأنها فشلت فى التنبؤ بنية العرب وفوجئت بالقوات العربية وهى تهاجم ولكن الحقيقة انه لم يكن بامكانهم عمل شيء اذ لم تكن لديهم الاستعدادات الكافية للقيام بضربة وقائية ، ولقد اعترف موسى ديان بذلك وقتئذ بقوله : « ان اسرائيل غير مستعدة تكنولوجيا لأن تقوم بضربة جوية ضد سلاح الدفاع الجوى المنتشر حول جميع المطارات المصرية والسورية » .

ـ اما الأمر الثانى : الذى تم الاتفاق عليه فهو ان يتم الهجوم المصرى على طول مواجهة القناة بل ومده الى الجنوب من قناة السويس حتى مسافة ١٣٠ كم على امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس ودفعه فى عمق سيناء بالقوات الخاصة حتى مسافة ٥٠ كم شرقا على أن يبدأ ذلك كله فى وقت واحد بما يحقق :

* ارغام العدو على توزيع ضرباته الجوية الموجهة لقواتنا بما يضعف من تأثيرها .

* خداع العدو عن الاتجاه الرئيسى لهجوم قواتنا ، وبالتالى حرمانه من تركيز جهود قواته الجوية ضد قواتنا فى هذا الاتجاه او ذاك .

ثانيا : ان مسرح العمليات بالنسبة لقوات الدفاع الجوى لايقتصر فقط على جبهة قناة السويس وسيناء ، ولكنه يمتد ليشمل كل رقعة الأرض المصرية .. فالمراكز السياسية والاقتصادية الحيوية فى عمق الدولة والقواعدالجوية والبحرية مهما بعدت ستظل دائما أهدافالهجمات العدو الجوية وسيحاول النيل منها للتاثير على المجهود الحربى فى جبهة القتال الرئيسية ولارباك القيادة والتأثير على الروح المعنوية للشعب .

وقد يتساءل القارىء وما هى المشكلة التى تثيرها هذه الحقيقة ؟ الم تكن الأهداف الحيوية والقواعد الجوية والبحرية مدافعا عنها فعلا بوسائل الدفاع الجوى ؟ .. والقارىء محق فى تساؤله دون شك ، ولكن ، الاتحتاج القوات البرية المكلفة بالعمليات الهجومية الى دعم اضافى من وسائل الدفاع الجوى علاوة على ما تمتلكه من هذه الوسائل ؟ .. لاشك أنها تحتاج الى الكثير ، فشتان بين تأثير الهجمات الجوية على القوات التى تتحصن فى الخنادق والملاجىء تحت الأرض ، وتأثيرها على القوات التى تتقدم على الطرق وعبر الأراضى فى عمليات هجومية .

وليس ذلك كل شىء ، فطبقا للتطور المنتظر للمعركة ستظهر حتما أهداف حيوية جديدة ينبغى توفير الدفاع الجوى عنها .. فالكبارى والمعابر على القناة والتى سيتم انشاؤها بمجرد بدء القتال ستكون ولاشك احد الأهداف الرئيسية لهجمات العدو الجوى . ومناطق التكديس والتشوين الأمامية التى سيتم اقامتها خلف القوات المتقدمة ، لابد من حمايتها أيضا . ثم المطارات والقواعد الجوية المتقدمة فى منطقة قناة السويس والتى اضطرت القوات المسلحة لعدم استخدامها بعد يونيو ١٩٦٧ لوقوعها فى مرمى المدفعية الاسرائيلية ، سيتم بالتأكيد اعادة تشغيلها واستخدامها بمجرد تقدم القوات المصرية على الضفة الشرقية وازاحة مواقع المدفعية المعادية الى الوراء وبالتالى يلزم عندئذ ان نوفر لها الجو المناسب .

وهكذا كانت مسئولية جهاز التخطيط فى قيادة قوات الدفاع الجوى ــ أمام هذا كله ــ أن يعيد تخصيص الوسائل والامكانيات بما يحقق التوازن بين ما تفرضه العمليات الهجومية من متطلبات جديدة وبين حتمية استمرار توفير وسائل الدفاع الجوى عن الأهداف الحيوية والقواعد الجوية والبحرية فى عمق الدولة .. ولقد احتاجت هذه المهمة الجسيمة الى عديد من الحسابات والتقديرات والى تقييم سليم لتخصيص الاحتياجات والوسائل حسب الأسبقيات التى تمليها متطلبات كل مرحلة .

ثالثا : ان نجاح العدو فى تدمير الكبارى والمعابر التى ستقام على القناة يعنى فشل العملية كلها . ولما كان من المؤكد أن العدو سيعمل على تركيز معظم مجهوده الجوى فى الساعات الأولى من المعركة لمنع اقامة هذه الكبارى وتدمير ما يمكن اقامته منها ، فقد كانت هذه الحقيقة تمثل أمام جهاز التخطيط فى قيادة قوات الدفاع الجوى نوعا من التحدى الذى أصبحت قوات الدفاع الجوى تسعد بممارسته تجاه القوات الجوية الاسرائيلية منذ بداية حرب الاستنزاف عام ١٩٦٨ .. وفعلا وبروح التحدى والاصرار على النصر تم التخطيط للدفاع الجوى عن الكبارى والمعابر على القناة .

ووضعت لذلك خطة منفصلة خاصة اشتملت على كافة التفصيلات لضمان دقة وكفاءة التنفيذ . واطمأنت قيادة قوات الدفاع الجوى ان قبولها للتحدى له ما يبرره .. فقد كان هناك مشهد غريب يسود الاجتماعات التى كانت تعقد بالقيادة العامة للقوات المسلحة ويحضرها قادة الأفرع الرئيسية وقادة الجيوش الميدانية لاتمام التنسيق واحكام التخطيط .. فبينما كان معظم القادة يبدى قلقا عميقا على سلامة الكبارى والمعابر على القناة باعتبار انها ستكون الهدف الرئيسى لهجمات القوات الجوية الاسرائيلية ، كان قائد قوات الدفاع الجوى وهو الأحرى بالقلق مطمئنا غاية الاطمئنان واثقا تماما فى قدرة قواته على حماية الكبارى والمعابر .. وقد كان .

رابعا : أن الحرب الحديثة تستنزف حجما هائلا من المعدات والأسلحة والذخائر وقطع الغيار مما يستلزم ضرورة الاحتفاظ باحتياط كاف لمواجهة جميع الاحتمالات والاحتفاظ بالقدرة على الاستمرار فى القتال .

ولقد كان قائد قوات الدفاع الجوى واضحا كل الوضوح وهو يصدر توجيهاته الى جهاز التخطيط فى هذا الشأن ، اذ قال :

« لاتتصوروا اطلاقا ان الأمور ستسير باستمرار وفق هوانا .. فلن تكون الصورة وردية دائما ، بل

ستأتى مواقف ولحظات وتتلون الصورة بألوان قاتمة ..فمن المؤكد أننا سنتكبد بعض الخسائر ،وقد تكون الخسائر طفيفة فى بعض الاتجاهات وقد تكون ثقيلة فى اتجاهات أخرى ، وواجبنا ان نكون على استعداد لاستعاضة هذه الخسائر واستعادة الموقف فى أسرع وقت وبأعلى درجة من الكفاءة)).

وعكف جهاز التخطيط يعمل لايجاد الوسائل والاجراءات فى مواجهة هذه الحقيقة وتمت دراسة كافة الاحتمالات وقدرت الخسائر المتوقعة لكل مرحلة ولكل اتجاه من الاتجاهات على حدة ، وتبلور الحل فى عدد من الاجراءات .. وهكذا تضمنت الخطة تشكيل احتياط مناسب من وحدات دفاع جوى كاملة ، ولقد روعى فى تشكيل هذا الاحتياط أن يكون مستكملا تماما وموزعا بصورة تمكن من دفعه بالسرعة المطلوبة وبالحجم المناسب الى المناطق المنتظر أن تتكبد فيها قوات الدفاع الجوى خسائر . كما شرع على الفور فى تكديس احتياطيات كافية من الذخائر وقطع الغيار بل وبعض المكونات الرئيسية الكاملة لقواعد الصواريخ ومحطات الرادار والتى اثبتت خبرة حرب الاستنزاف أنها أكثر تعرضا للتدمير والاصابة ، كما حددت الخطة على ضوء الدراسة التفصيلية لمحاور الامداد واعمال العدو المنتظرة وحجم الاستهلاك والخسائر المتوقعة مناطق التشوين وحجم التكديسات لكل منطقة . كما تضمنت الخطة اجراء كان له فضل كبير على نجاح قوات الدفاع الجوى فى اعمال استعادة الموقف فى الوقت المناسب فلقد تقرر فتح قواعد اصلاح متقدمة قريبا من جبهة القتال لتجنب سحب المعدات العاطلة او المصابة الى قواعد الاصلاح الرئيسية فى العمق ، ولم يكن هذا الاجراء أمراسهلا ، فقد احتاج لجهود مضنية لتهيئة الأماكن المناسبة وتجهيزها بالمعدات اللازمة وتوفير الأعداد الكافية من المهندسين والفنيين لتشغيل هذه القواعد المتقدمة مع المحافظة على استمرار قواعد الاصلاح الرئيسية فى العمل .. ولقد اثمرت هذه الجهود النتيجة المرجوة وحقق هذا الاجراء الغرض المطلوب

وتوفرت لقوات الدفاع الجوى ساعات ثمينة كبدت فيهـا العـدو خسائر جسيمة كانت ستضيع علينا لو اقتصر اعتمادنا فى هـذا المجال على قواعد الاصـلاح الرئيسية فى العمق .

وينبغى هنا قبل أن ننهى حديثنا عن الحقائق التى كانت أمـام جهاز التخطيط فى قيادة قوات الدفاع الجوى ليضع على أساسها الخطة أن ننوه أن نتائج القتال الفعلى أثبتت أن معظم التقديرات والحسـابات كانت سليمة وصحيحة . واذا كان هناك مأخذ على جهاز التخطيط فى هذا المجال ، فهـو المغالاة فى حجم الخسائر المنتظرة اذ كانت الخسـائر الفعلية أقل بكثير من التقديرات .. وهم الآن فى قيادة قوات الدفاع الجوى فخورين بهذا الخطأ ويقولون :

اننا نفخر بذلك لسببين : السبب الأول أن المقاتلين فى مـواقع القتال قد أثبتوا بالنتائج الفعلية أنهم أقدر على العدو من المخططين فى قيادة القوات ، وهـذا فى الحقيقة مدعاة للفخر لكل رجـال الـدفاع الجوى وأولهم المخططون أنفسهم .

اما السبب الثانى الذى نفخر من أجله بهذا الخطأ فهو السرعة الفائقـة والـكفاءة العالية التى تمت بهـا أعمال استعـادة المـوقف ، حيث تم التخطيط للتـكديسات والتشوينـات وامـكانيات الاصلاح على أساس تقديراتنا للخسائر المتوقعة وجـاءت الخسائر الفعلية أقـل من ذلك بكثير مما جعل أعمال الاصـلاح واسـتعادة الموقف تجـرى بيسر وسهولة وتدفق وبكفاءة عالية .

وهـكذا وبالأسـلوب العلمى وبالاعتماد على الحقائق وتحليلهـا والتقديرات وحساباتها تم وضع خطة الدفاع الجوى لمعركـة العبور والتحرير . ولاشك أن الأيام العصيبة والمريرة والمجيدة أيضا التـى مـرت بهـا قوات الدفـاع الجـوى خـلال حـرب الاسـتنزاف لم تضع هبـاء ، فلقـد حققت هذه الأيام الحـافلة رصـيدا هائـلا من الخبرة والتمرس ، ولقـد شهدت أعمال القتـال فى أكتوبر ١٩٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية

وزارة الدفاع

رئاسة أركان الجيش العراقي

العدد

التاريخ ٢٨ / /

العديد من المواقف والأحداث التى كانت تطبيقا عمليا لهـذه الخبرة . ونكتفى فى هذا المجال بضرب مثل واحد يتجلى فيه التقدير السـليم للموقف والحساب الدقيق للاحتمالات .. فعلى الصفحة المقابلة يرى القارىء صورة احدى الوثائق التى أصدرتها قيادة قوات الدفاع الجوى عقب تدمير احدى طائرات سطع المعـادية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣ ، حددت فيها الاحتمالات المختلفة التى قدرتها القيادة لرد الفعل من جانب العدو ، ومنها احتمال لجوئه ـ تجنبا لمزيد من الخسائر ـ الى تنفيذ طلعـات سطع الجوى بطائرات موجهة بدون طيار ، وثبت صحة هذا التوقع وتم اسقاط طائرة « ريان فايربى » سعت ١١٢٠ يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣ شرق بحيرة التمسـاح عرض حطامها والمظلة الخاصة بها مـع مثيلاتها فى معرض الغنائم .

وبنفس الدقة والاحكام التى وضعت بها خطة العمليات تم وضع خطة الخداع ، ولم نكن ـ ونحن نضع هذه الخطة ـ غافلين عـن أن مبـادىء وأساليب الخداع معروفة لدى العدو كما هى معروفة لدينا ، فلم نفترض الغفلة أو العباء فى العدو ، بل على العكس افترضنا فيـه الذكاء والدهاء وركزنا اهتمامنا على دقة التنفيذ وحسن اختيار التوقيت .. ولا ننوى أن نكشف هنا عن الأساليب والطرق التى اتبعت فى هـذا المجال ، فالصراع بيننا وبين اسرائيل مستمر ، ومعظم الأسـاليب التى اتبعناها مازالت قابلة للتطبيق من جديد فى أى قتال مقبل فهى بتعبير رجال المخابرات (لم تحرق) بعد ومازال العدو لا يعرف عنها شـيئا .. وعموما فلم يكن نجاحنا فى مجال الخداع غريبا فالانسان المصرى الذى ابتكر عملية الاخفاء والتمويه بانشاء الاهرامات الكاذبة بجانب الأهرامات الحقيقية منذ ٥٠٠٠ سنة مضت ونجحت فى تأديـة الغـرض الـذى انشـئت من أجـله لـكفيل بأن ينجح أحفاده فى القـرن العشرين فى نفس المجـال ..

تنظيم التعاون :

وبانتهاء وضع الخطة بدات عملية اخرى على جانب كبير من الأهمية .. وهى تنظيم التعاون مع القوات الجوية ، وفى الواقع فان تنظيم التعاون لم يقتصر فقط على القوات الجوية بل تم أيضا مع القوات البحرية والجيوش الميدانية واجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة ولكننا أردنا أن نلقى الضوء على تنظيم التعاون بين الدفاع الجوى والقوات الجوية على وجه الخصوص نظرا للارتباط الوثيق بينهما ولأن هذا الموضوع يمثل مشكلة حقيقية تواجه كل الجيوش فى العالم أجمع .

كانت توجيهات القائد لجهاز التخطيط انه لا بد وأن يحقق تنظيم التعاون مع القوات الجوية الأهداف الآتية :

ـ تنسيق اعمال قتال قوات الدفاع الجوى ومقاتلات القوات الجوية بما يحقق الاستخدام الأمثل لقدرات كل منهما بغرض تحقيق المهمة المشتركة وهى تدمير القوات الجوية المعادية المهاجمة ومنعها من توجيه الضربات للأهداف وللقوات المدافع عنها .

ـ توفير الانذار الجوى فى الوقت المناسب لجميع القواعد الجوية والمطارات وتأمين اعمال توجيه المقاتلات والرادار لاعتراض الطائرات المعادية .

ـ تأمين طائراتنا من نيران وسائل دفاعنا الجوى أثناء تنفيذ مهامها لاعتراض الطائرات المعادية أو اثناء قيامها بطلعات القصف الجوى والاستطلاع فى منطقة الجبهة طوال مراحل العمليات .

ولم تكن هناك صعوبة تذكر فى تحقيق الهدفين الأول والثانى أما الهدف الثالث فكان المشكلة الحقيقية ، وكنا نعى جيدا الصعوبة التى نواجهها . وكان امامنا احد حلين أولهما سهل وميسور والآخر

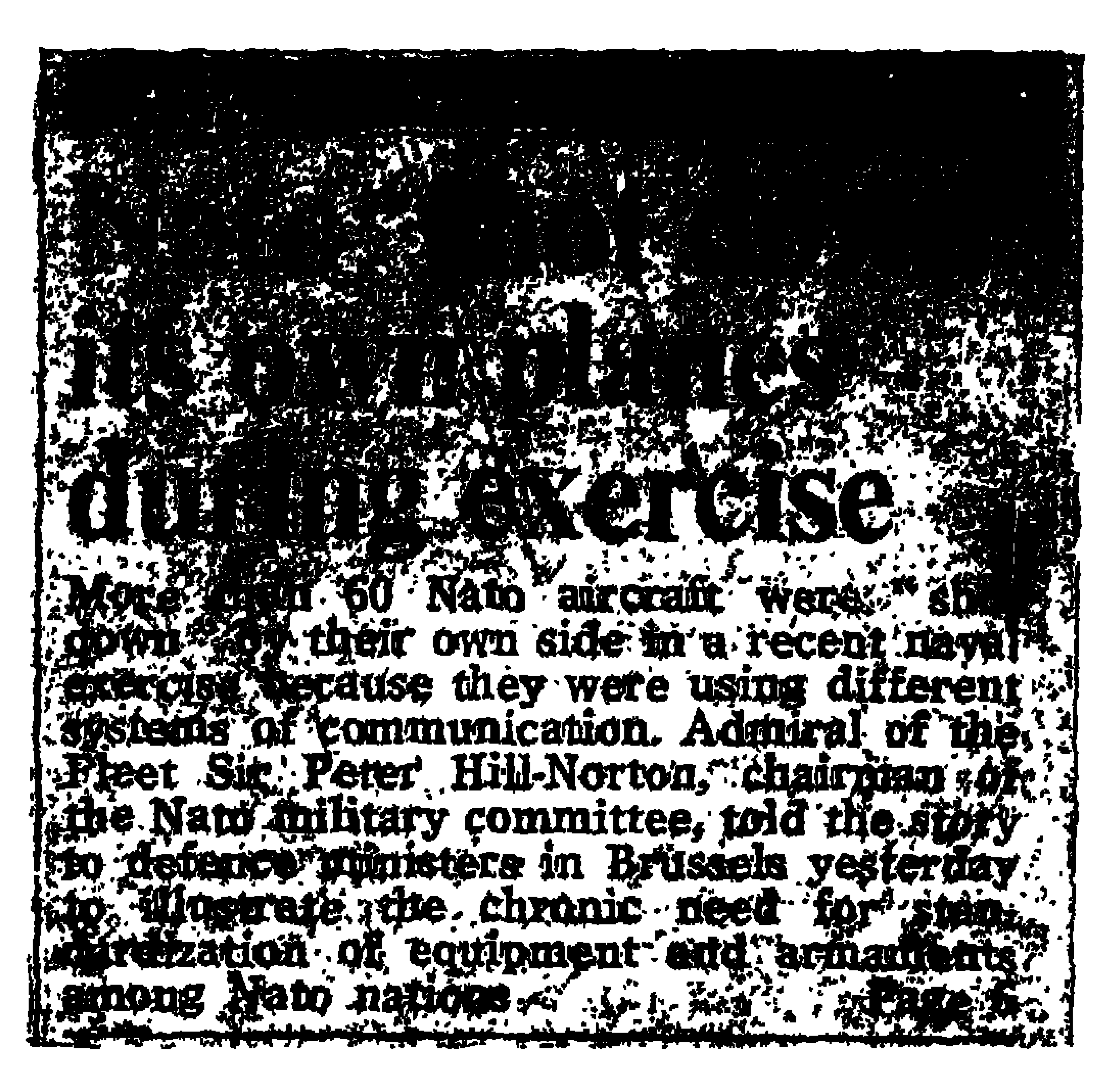
صعب وملىء بالعقبات والمخاطر . أما الحل السهل فكان يتلخص فى تحديد مناطق معينة تعمل فيها المقاتلات خارج نطاقات نيران وسائل الدفاع الجوى الأرضية ، وفيما يختص بالقاذفات وطائرات الاستطلاع فيمكن أن تحل المشكلة بالنسبة لها بتقييد نيران وسائل الدفاع الجوى فى الجبهة ومنعها من الاشتباك خلال الفترات التى تقوم فيها القاذفات وطائرات الاستطلاع بمهامها . ورفضنا الطريق السهل فهو يتعارض مع مبدأ الحشد وتركيز جميع الامكانيات فى التوقيت والاتجاه المناسب لانجاز المهمة وهو علاوة على ذلك يحرم الجبهة تماما من الدفاع الجوى خلال فترات تنفيذ طلعات القصف والاستطلاع الجوى مما يشكل خطورة بالغة على سلامة القوات والأهداف الحيوية ويترك المجال الجوى مفتوحا أمام العدو فى هذه الفترات ليصنع ما يشاء . وهكذا لم يكن أمامنا الا أن نأخذ بالطريق الصعب لنضمن الاشتراك الفعال للمقاتلات جنبا الى جنب مع وسائل الدفاع الجوى الأرضية لصد وتدمير الهجمات الجوية المعادية ولكى لا تحرم الجبهة من دفاعها الجوى فى أى لحظة من اللحظات . وكان ذلك يعنى الكثير ، فليس هناك أكثر ايلاما للمقاتل من أن يقتل بيديه رفيق السلاح ولو عن طريق الخطأ غير المقصود . وابتكرنا أسلوبا فريدا يحقق للقوات الجوية حرية العمل ويكفل لها السلامة من نيران عناصر دفاعنا الجوى ولا يفرض فى نفس الوقت أى قيود تحد من حرية هذه العناصر فى الاشتباك بأى أهداف جوية معادية وكان لزاما علينا أن نوفر لهذا الأسلوب كل ضمانات النجاح فادخلنا تعديلات فنية على المعدات لتحسين آدائها فيما يختص بالتمييز الألكترونى الذى يمكننا من تمييز الهدف الجوى الصديق والمعادى على شاشات الرادار، كما أعدنا تنظيم أسلوب السيطرة على الوحدات ووحدنا مراكز القيادة لوحدات القوات الجوية والدفاع الجوى ثم شرعنا على الفور فى تدريب متواصل على الأسلوب المبتكر وكان الأمر فى بدايته صعبا وشاقا والنتائج سيئة ، ولكن ومع استمرار

التدريب والاصرار على النجاح اصبح الصعب سهلا وعندئذ فقط اصبحت خطة تنظيم التعاون بين قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية جاهزة للتنفيذ .

ولقد حققت هذه الخطة نتائج باهرة رغم الحجم الكبير من الطائرات ووسائل الدفاع الجوى التى اشتركت جنبا الى جنب فى القتال . وليس معنى ذلك انه لم تكن هناك بعض الحوادث الفردية التى اصابت فيها نيراننا طائرة مصرية . نحن لانخفى ذلك وهو أمر مقبول تماما ولكننا نفخر بأن نسبة هذه الحوادث كانت تافهة جدا واقل بكثير من النسبة المسموح بها فى مخاطر الحرب بل وكانت أقل من النسبة المسموح بها الحوادث اثناء التدريب .

ولقد كان نجاحنا فى هذا المجال المعقد دليلا آخر على الكفاءة العالية للرجال والمعدات والتخطيط ، الأمر الذى أدهش العالم أجمع حيث ما زالت جميع جيوش العالم تبحث عن حل لهذه المشكلة .. وها هو أدميرال الأسطول « سير بيتر هل نورتون » رئيس اللجنة العسكرية لحلف الأطلنطى يعلن فى تقريره أمام اجتماع لوزراء حرب دول الحلف المنعقد فى بروكسل فى نهاية عام ١٩٧٤ أن وسائل الدفاع الجوى لقوات حلف الأطلنطى فى أوروبا أسقطت مايزيد عن ٦٠ طائرة صديقة من طائرات الحلف بطريق الخطأ خلال مناورة تدريب تم اجراؤها فى الأسبوع الأول من نوفمبر ١٩٧٤ .

وبانتهاء تنظيم التعاون تمت مرحلة التخطيط لتبدأ مرحلة اعداد تعليمات وأوامر القتال للتشكيلات ، وطبقا لتوجيهات قائد القوات الى جهاز التخطيط فى هذا الشأن تم اعداد هذه الوثائق بأقصى درجة من الدقة والوضوح وبحيث تقتصر كل وثيقة على ما يخص القائد الموجهة اليه وبما يضمن له تنفيذ مهامه بأعلى درجة من الكفاءة حفاظا على سرية التخطيط العام للعملية .



its own planes during exercise

More than 60 Nato aircraft were "shot down" by their own side in a recent naval exercise because they were using different systems of communication. Admiral of the Fleet Sir Peter Hill-Norton, chairman of the Nato military committee, told the story to defence ministers in Brussels yesterday to illustrate the chronic need for standardization of equipment and armaments among Nato nations. Page 5.

رئيس اللجنة العسكرية لحلف الأطلنطي يعلن عن اسقاط « حلف الناتو » لطائرته اثناء مشروع تدريبي .



وهكذا أصبحت قوات الدفاع الجوى على أهبة الاستعداد لتنفيذ مهامها فى المعركة المرتقبة ..

كما تم اجراء حساب دقيق للوقت اللازم لكل عمل من الأعمال التى ستقوم بها التشكيلات وعلى أساس هذه الحسابات تم تحديد التوقيت الذى تسلم فيه هذه الوثائق الى كل قادة التشكيلات الذين كان عليهم بدورهم أن يقوموا بنفس العملية ليحددوا التوقيت الذى يسلموا فيه تعليماتهم الى القادة المرؤوسين وهكذا .. ويستطيع القارىء أن يتصور مدى صعوبة هذه العملية بالدقة البالغة التى ينبغى أن تتم بها ، فقد كنا نهدف الا يصل للمنفذ الا القدر اللازم من المعلومات والبيانات ليؤدى مهمته وأن يتم ذلك فى آخر وقت يسمح له بالاستعداد تماما فى سعت «س» وهى لحظة بدء الهجوم .

وبانتهاء مرحلة التخطيط تركزت الجهود على متابعة تنفيذ خطة اعداد القوات وادخال التعديلات اللازمة عليها بما يتمشى مع متطلبات الخطة الفعلية ، كما تم اعادة النظر فى خطط التدريب بما يكفل تدريب كل وحدة على مهامها الفعلية فى خطة العمليات ، وشكلت لجان متعددة من قيادة القوات للمرور على التشكيلات والوحدات للمراجعة وتقديم المعاونة وحل المشاكل على الطبيعة . وهكذا اصبحت قوات الدفاع الجوى على أهبة الاستعداد لتنفيذ مهامها فى المعركة المرتقبة .. معركة العبور والتحرير .

القتـــال

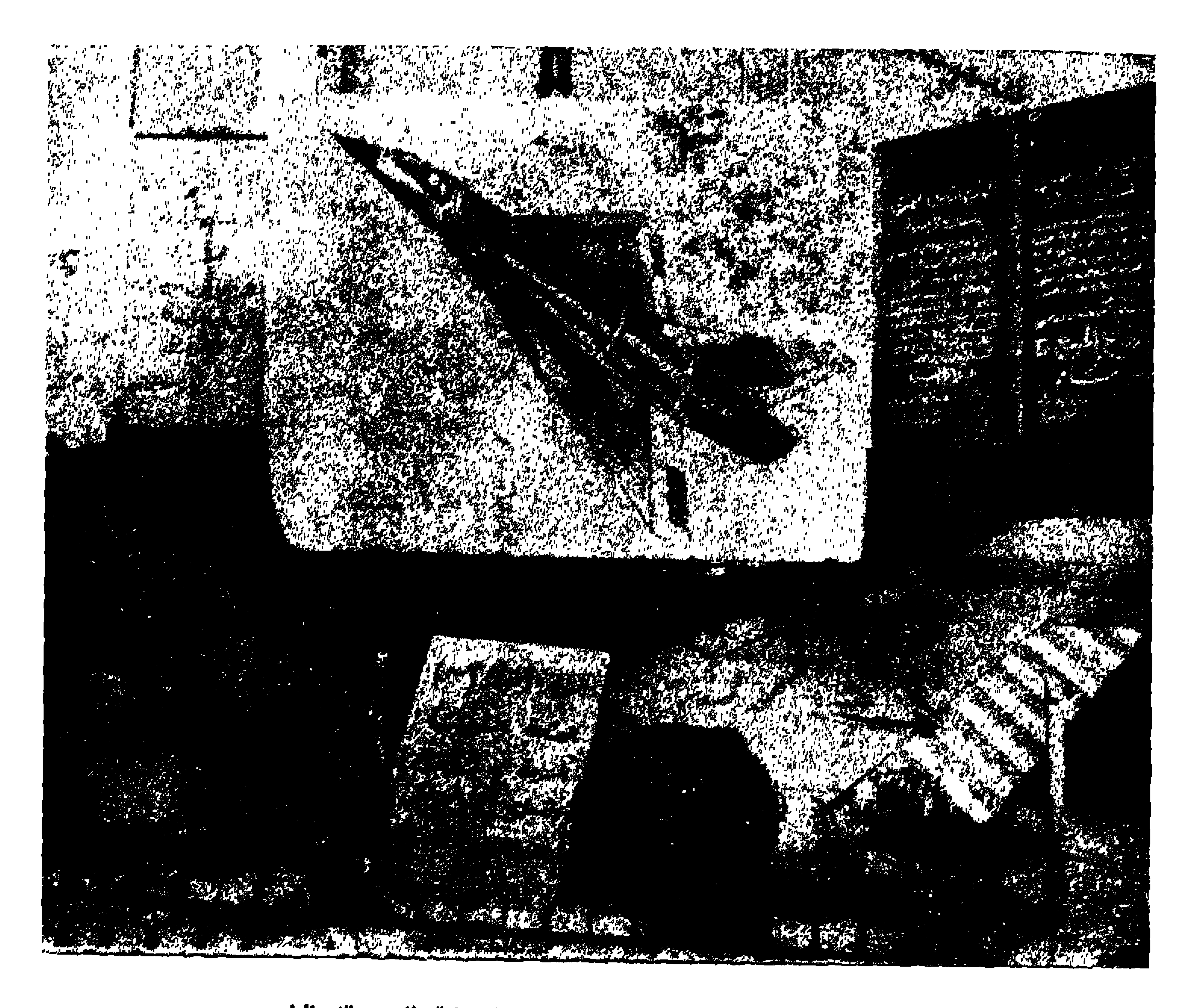
.. وتحطمت الأســطورة

ـ .. وجاء يوم السبت العاشر من رمضان . وبدا وكأن كل شيء يسير سيره المعتــاد كأى يوم آخر ، القوات فى اقصى حــالات الاستعداد كما هو الحال لمدة أيام خلت منذ أن بدأت القوات المسلحة تنفيــذ المناورة الكبرى التىتعودت اجراءها فى هذا الوقت من كل عام .

ولم يكن الأمر مختلفا فى مركز العمليات الرئيسى لقوات الــدفاع الجوى .. الجميع فى أماكنهم يتوسطهم قائد القوات : يزاولون مهامهــم ويتابعون عمل التشكيلات طبقا للمراحل المختلفة للمناورة .

ولم يكن الأمر خافيا تماما على ضباط جهاز التخطيط فهم بحــكم المــامهم بالخطوات والاجراءات يحسون باقتراب اللحظة الحــاسمــة ولكنهم لايعلمون على وجه اليقين ، فى اى يوم وفى اى ســاعة .. وعبثا يحاولون أن يستشفوا من وجه قائدهم ماينم عن قلق أو توتر ليــكون ذلك دليلهم أن هذا هو اليوم الموعود .. ولكن خــابت آمالهم ، فالقائد يجلس فى مكانه مطمئنا تماما . الابتسامة لا تفارق وجهه يتبادل الحديث مع رئيس الأركان فى جميع الأمور دون أن يتطرق حديثهم من قريب أو بعيد للموضوع الوحيد الذى يشغل أذهان الجميع .

وفجأة وفى الساعة الواحدة والنصفتماما أمسك القائد بالميكروفون ونطق بكلمة واحدة .. «جبار »وكانت هذه الكلمة تعنى الكثير ، فقــد تم فى اليــوم السابق تسليم مظروف مغــلق الى كــل مــن قــادة



وهكذا تحطمت منذ الساعات الأولى للمعركة أسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى ..

التشكيلات مكتوب عليه « يفتح بواسطة القادة شخصيا بمجرد صدور الكلمة الكودية (جبار) » .

ونفذ قادة التشكيلات التعليمات وفتحت المظـــاريف وكـــانت المحتويات عبارة عن خريطة للقطاع الذى يعمل فيه التشكيل موضحـا عليها البيانات والتوقيعات الخاصة بالضربة الجوية المركزة الأولى المنوط بقواتنا الجوية القيام بها ، وكان ذلك اعلانا لا رجعة فيه بأن آلة الحرب على وشك الدوران ولا يمكن لأى قوة أن تحول دون ذلك .. وكـان ذلك يعنى الكثير لدى المقاتلين الذين طال شوقهم لهذه اللحظة ليثبتوا للعالم اجمع أصالة العسكرية المصرية ..

.. وشرع قادة تشكيلات الدفاع الجوى فى اتخاذ الاجـراءات التى طالما تدربوا عليها لتامين هذا الحشد الهائل من القاذفات المصرية من نيران وسائل دفاعنا الجوى .

وفى تمام الساعة الثانية وخمس دقائق عبرت الطائرات قنـــاة السويس متجهة الى أهدافها المحددة ..وفى نفس الـوقت هـــدرت الآلاف من مدافع الميدان على امتداد الجبهة تقصف حممها عـــلى خط بارليف ونقطه الحصينـــة .

وفى تمام الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدات الموجـات الأولـــى من جنود المشـــاة تقتحم قنـــاة السويس على امتدادها من بورسعيد شمالا الى السويس جنوبا بينما كانت طلائع القاذفات المصرية تعبـر القناة فى طريق عودتها الى قواعدها بعد ضربة جوية ناجحة تمـامـا افقدت العدو توازنه وشلت تفكيره فى اللحظات الأولى الحرجة من المعركة .

.. وتلاحقت الثوانى والـدقائق مفعمة بالجلال والروعة ورفرفت أعـلام مصر فوق سـيناء الحبيبة وتهاوت حصون خط بارليف واحـدا بعـــد الآخـر وهـــدير المقاتلين المصريين ، اللــه اكبر ، اللــه اكبر ، يعلو فوق كل الأصوات .

وبقدر ما كان المشهد صاخبا والمعركة محتدمة على الضفة الشرقية للقناة ، كان هناك صمت وسكون مثير يخيمان على مواقع الدفاع الجوى .. كان الجميع على كل المستويات وفى كافة المواقع فى حالة تحفز غريب ، فقد اتسعت حدقات العيون وتركزت الأبصار على شاشات الرادار وحكم القادة وعمال اللاسلكى وضع السماعات وأرهفت الآذان .

ويؤكد المقاتلون الأبطال — الذين واجهوا خلال أيام القتال الموت آلاف المرات — أن هذه اللحظات .. لحظات الانتظار والترقب ، كانت أقسى اللحظات ، لقد كانت كل خشيتهم أن يتمكن الطيران الاسرائيلى من معاقلهم فى بداية اللقاء ويحرز المبادأة .. لقد اقسموا لقائدهم أن يحققوا توجيهاته لهم :

« عليكم ان تهزموا العدو فى اول القاء . ان ذلك سيكون بمثابة اختبار ثقة لكم وله .. وينبغى عليكم ان تجتازوه وأن يفشل فيه عدوكم » .

.. ولم يطل الانتظار ، وجاء العدو الجوى فى التوقيت الذى قدرته الخطة تماما ، فاعتبارا من الساعة الثانية وأربعين دقيقة اخذت البلاغات تتوالى من محطات الرادار ونقاط الرصد على امتداد الجبهة تنذر باقتراب الطائرات المعادية .. وانتقل صخب المعركة وضجيجها الى مواقع الدفاع الجوى وتمزق الصمت ، وانطلقت الصواريخ المضادة للطائرات تزأر وهى تشق طريقها المحسوب فى السماء . وخرجت الطلقات متتابعة من مواسير المدافع المضادة للطائرات وكأنها سياط متصلة الحلقات من الحديد والنار .. وتهاوت الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء واحدة بعد الأخرى . وهكذا تحطمت منذ الساعات الأولى للمعركة أسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى .

وهكذا استمرت الحال خلال الساعات التالية .. العدو يدفع





وتهاوت الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء

بطائراته هنا وهناك على طول الجبهة يبحث عن القوات التى نجحت فى اقتحام القناة يحاول ضربها واعاقتها عن التقدم على الضفة الشرقية للقناة ويسعى جاهدا لتدمير جسورها ومعابرها . وتبوء جميع محاولاته بالفشل وتتكسر الهجمات وتتساقط طائراته وطياروه ..

.. وفى حوالى الساعة الخامسة مساء أى بعد ساعتين من الهجمات الجوية المتواصلة التقطت أجهزتنا الخاصة اشارة لاسلكية مفتوحة تحمل أوامر صادرة من الجنرال « بنيامين بيليد » قائد القوات الجوية الاسرائيلية الى طياريه بتحاشى الاقتراب من القناة لمسافة تقل عن ١٥ كيلو مترا شرقا ..

وهدات المعركة فى السماء الى حين .. واستمرت قواتنا الباسلة تتدفق الى الضفة الشرقية تكسب مع كل دقيقة أرضا جديدة وتكبد العدو فى كل لحظة خسائر ثقيلة .

..ونعود الآن الى مركز العمليات الرئيسى لقوات الدفاع الجوى لنلقى نظرة من قريب على ماكان يدور فى هذه الساعات الحاسمة .

قد يدهش القارىء اذا قلنا له انه مع كل هذه النتائج الباهرة ومع توالى البلاغات عن تدمير الطائرات المعادية ، كانت الوجوه فى مركز العمليات الرئيسى للدفاع الجوى صارمة ومتجهمة ولاتبدو عليها اية مظاهر للفرح أو الزهو ، وكان القائد يجلس فى هدوء غريب يراقب باهتمام بالغ الخرائط أمامه التى توقع عليها أولا بأول كافة المعلومات عن أعمال العدو ونشاط قتال التشكيلات والوحدات .. وكان من حين لآخر يصدر توجيهاته الى القادة المرؤوسين وهيئة الأركان ويعود مرة ثانية ليستغرق تماما فى مراقبة الموقف ..

.. وما ان توقفت الهجمات الجوية المعادية فى حوالى الساعة الخامسة مساء كما أوضحنا ، حتى طلب القائد كبار معاونيه واخذ يحلل

نتائج اعمال القتال خلال الساعات السابقة ويبلور الحقائق ويستخلص النتائج .. فيقول :

« لاشك ان احرازنا المفاجأة واتساع القتال على مواجهة واسعة قد اربك العدو ، فالطلعات الجوية مرتجلة وغير مخططة جيداً ومجهود العدو الجوى مبعثر ولا يتصف بالحسم والتركيز كما أن مستوى الطيارين اقل بكثير مما واجهناه أثناء حرب الاستنزاف . ولاشك أن العدو اضطر تحت وقع المفاجأة الى استغلال مالديه من الطيارين فى القواعد والمطارات ولم يسعفه الوقت بعد لتجميع طياريه الاكفاء ذوى الخبرة .. »

واسترسل القائد قائلا :

« لااعتقد ان العدو سيستمر فى الالتزام بالأوامر التى أصدرها قائد الطيران الاسرائيلى بعدم الاقتراب من القناة الى مسافة لاتقل عن ١٥ كم فان ذلك يعنى هزيمة كاملة محققة للقوات الاسرائيلية ، والمرجح أنه لجأ لذلك كاجراء مؤقت لحين ان يسترد توازنه ويعيد النظر فى خططه ويستكمل حشد الطيارين المتازين ، لذلك اتوقع ان يستأنف الطيران الاسرائيلى غاراته فى اى لحظة من الآن لعرقلة استمرار تدفق القوات الى الضفة الشرقية للقناة » .

وتمهل القائد ليتأكد ان ضباط العمليات يسجلون ملاحظاته وعاد يقول :

« ينبغى ان نتوقع حجما اكبر ومستوى افضل من العدو الجوى اعتبارا من اول ضوء باكر ومن المؤكد ان العدو سيحاول ان يوسع مجال عملياته الجوية فى ثانى ايام القتال عما كانت عليه اليوم ، ولذلك فمن المرجح ان يهاجم العدو الجوى القواعد الجوية والمطارات وقد يحاول النيل من بعض الأهداف الحيوية فى العمق » .

واستطرد القائد قائلا :

« اما عن قواتنا فانا فخور بما حققته حتى الآن ، ولكن ينبغى أن نحد من استهلاك الصواريخ والذخائر فقد لاحظت أن معظم الاشتباكات قد تمت بالحد الأقصى من الصواريخ المسموح باطلاقه فى كل اشتباك

بينما النتائج توضح أن معظم الاصابات تمت بالصاروخ الأول .. وانا أقدر الدافع وراء ذلك وهو الاصرار على النجاح ولكن ينبغى أن نلفت نظر المقاتلين الى ذلك فالمعركة طويلة ويجب ان ننهيها بمثل ما بدأناها » .

واختتم القائد تحليله باصدار عدة أوامر وتعليمات تحدد الاجراءات والأعمال الواجب انجازها استعدادا لليوم الثانى من القتال ولقد رأينا أن نستعرض فى ايجاز أهم النقاط التى أكد القائد عليها فى تعليماته لأنها فى الواقع ترسم بوضوح ملامح الصورة وتكشف عن الكيفية التى كانت تدار بها معركة الدفاع الجوى فى هذه الأيام الخالدة ..

.. وهكذا كان على هيئة الأركان وقادة التشكيلات تنفيذ الأعمال الرئيسية التالية خلال الساعات المتبقية وقبل بدء أعمال قتال العدو الجوى فى ثانى يوم للقتال :

ـ تركيز الجهود لاستكمال خطة الدفاع الجوى عن الكبارى والمعابر على القناة ومتابعة انتقال العناصر المقرر احتلالها لمواقعها على الضفة الشرقية لاحكام حماية الكبارى والمعابر من جميع الاتجاهات .

ـ متابعة تنفيذ انتقالات قواعد الصواريخ المضادة للطائرات لتطوير عمق الوقاية شرقا بما يتمشى مع ما أحرزته القوات البرية من تقدم على الضفة الشرقية للقناة .

ـ متابعة تنفيذ اجراءات الخداع والتمويه المحددة فى الخطة لتضليل العدو عن حقيقة الأوضاع التى ستكون عليها شبكة الدفاع الجوى فى الجبهة .

ـ متابعة أعمال الاصلاح والاستعواض للذخائر والصواريخ بحيث تكون جميع المواقع على أهبة الاستعداد لملاقاة الهجمة الجوية المنتظرة للعدو .

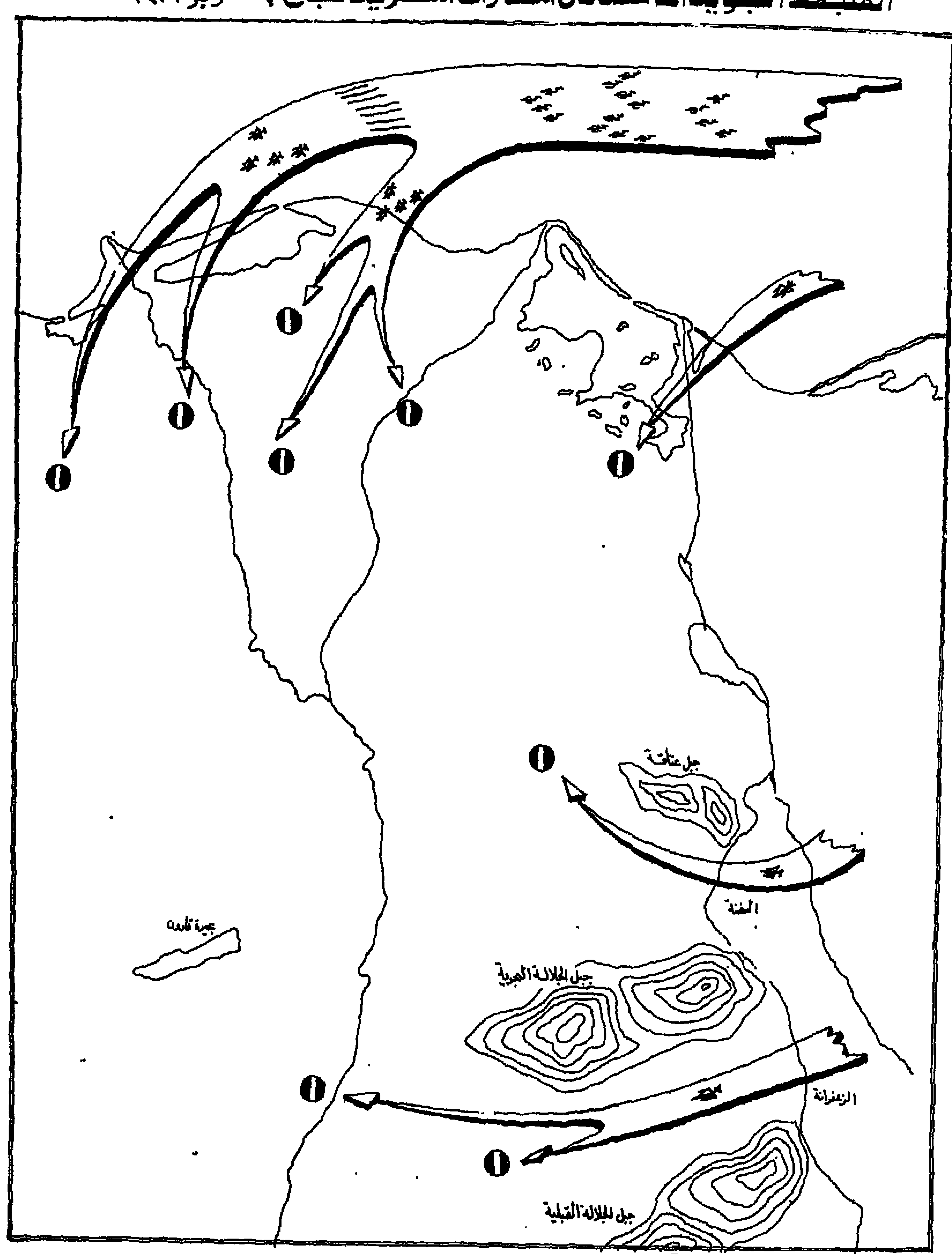
ــ اصدار تعليمات الى التشكيلات تتضمن تحليلا لأعمال القتـــال التى تمت حتى الآن وأوجه القوة والضعف واعمال العـــدو الجـوى المنتظرة خلال ساعات الليل واعتبارا من أول ضوء باكر والاجـــراءات الواجب اتخاذها .

وبعد ما اطمأن القائد الى أن العجلة تدور فى الاتجـاه الصحيح ، استدعى رئيس مجموعة التحليل وناقشه فيما سجله واخذ يملى عليـــه الخلاصـــــة :

« ان الانتصارات التى حققها الدفاع الجوى فى الساعات الأولى من المعركة لاتستمد قيمتها من أعداد الطائرات الاسرائيلية التىتم اسقاطها ، فهذه الأعداد بالرغم من ضخامتها لاتؤثر بشكل حاسم على قوة الطيران الاسرائيلى ، وانما تستمد هذه الانتصارات قيمتها البالغة من المغـزى الذى يكمن وراءها لما لها من تاثير معنوى خطير على كلا الجانبين المتحاربين فهى بالنسبة للقوات المسلحة المصرية دليل أكيد على أن ماحدث فى يونيو ١٩٦٧ لن يتكرر .. فلم تعد سماء المعركة مجالا حرا للطيران الاسرائيلى يعربد فيه كما يريد . وبذلك تسنح الفرصة للجنود المشاة المصريـــين والدبابات المصرية ــ ربما لأول مرة ــ أن تواجـه الجنـود والدبابـات الاسرائيلية وهى محرومة من مساندة قواتها الجوية . أما بالنسبة لنـا نحن رجال الدفاع الجوى فتعنى هذه الانتصارات مزيدا من الثقة بالنفس كنا فى حاجة اليها فى الساعات الأولى من المعركة . وأما بالنسبة للجانب الاسرائيلى فهى تعنى اهتزاز ثقة المقاتل على الأرض والطيار فى الجـو وكل الشعب فى داخل اسرائيل نفسها » .

وصح ما توقعناه ــ فرغم حلول الظلام استأنف العـدو توجيه هجماته الجوية الطائشة ضد القوات التى نجحت فى اقتحام القنـــــاة وضد الكبارى والمعابر ، وكان واضحا أن العدو لم يجد بدا من قبـــول المجازفة بمزيد من الخسائر فى الطائرات والطيارين بدلا مـن أن يترك القوات المصرية تقيم المزيد من الكبارى والمعابر على القنــــاة وتعزز نجاحها فى الضفة الشرقية . وباءت جميع محاولاته فى هـــذا الصدد بالفشل الذريع واستمرت الاشتباكات الناجحة لشبكة الدفـــاع الجوى

الهجمة الجوية الفاشلة على المطارات المصرية صباح ٧ أكتوبر ١٩٧٣



المصرى تؤكد فى كل لحظة أن الاسطورة قد تحطمت الى الابـــد .. وهكذا أقيمت الكبارى على القناة وتدفقت المدرعات المصرية بالمئـــات الى سيناء وأخذت القوات المصرية مع كل ســاعة من الــزمن ترسخ أقدامها وتعزز مواقعها على الضفة الشرقية للقناة .

التاريخ لا يكرر نفسه :

.. وجاء اليوم الثانى للمعركة ، وتصور القادة الاسرائيليون أن بمقدورهم أن يكرروا مافعلوه فى يونيو ١٩٦٧ ، ألم يتحـــدث العالـــم سنوات طويلة عن تلك الضربة الجـــوية القاصمة التى وجهها الطـــيران الاسرائيلى للطائرات المصرية صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟ .. اذا فمـــا عليهم الا أن يقوموا بضربة مماثلة وتنتهى الحرب التى تجرأ العرب وكانوا البادئين بتفجيرها ..

.. وهكذا أعماهم الصلف والغرور عن رؤية الواقـــع والاحساس بالتغيير . بل وربما ظنوا أنه مادامت الطائرات والقواعد الجوية التـــى قرروا مهاجمتها تقع بعيدة عن شبكة الصـــواريخ المصرية المشهورة فى جبهة القناة فان النتائج ستكون مضمونة والنجاح مؤكد ..

وفى الصباح الباكر لليوم السابع من أكتوبر ١٩٧٣ وعـــلى نمط ما تم فى يونيو ١٩٦٧ اقتربت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاعـــات منخفضة فوق البحر المتوسط لتباغت مطارات شمال الدلتـــا ووسطها وفوق البحر الأحمر لتنقض على المطارات المصرية بالصحراء الشرقية ، وظنت أنها سوف تتغلب بذلك على شبكة الرادار المصرية وتحقق المفاجأة .. ولكن جاءت المفاجأة هذه المرة من جانب مصر ، فالدفاع الجـــوى المصرى لايقتصر فقط على شبكة الصواريخ الشهيرة فى جبهة قنــــاة السويس ولكنه نظام متكامـــل يغطى رقعة الأرض المصرية على اتساعها ويوفر لكل هدف حيوى الغطاء الجوى الملائم .

لقد أيقن الطيارون الاسرائيليون بمجرد أن اقتربوا بطائراتهم من الأهداف المحددة لهم انهم وقعوا ضحية أوهام قادتهم . فلقد وجدوا القاتلات الاعتراضية المصرية فى انتظارهم ، ومن نجح منهم فى تجنبها وحاول التسلل على ارتفاع منخفض الى هدفه المحدد وجد نفسه فى جحيم من نيران المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ الكتف الرهيبة ، فاذا ما حاول الارتفاع هربا من مصير محتوم تلقفته الصواريخ «سام» بضرباتها القاتلة .. ودب الذعر فى الطيارين الاسرائليين وألقوا بحمولاتهم أينما كان وفروا هاربين . وبقيت مطاراتنا سليمة تواصل دورها المرسوم فى معركة العبور ..

وبالرغم من الفشل الذى انتهى اليه هذا الهجوم ، فلم يتوقف العدو خلال الأيام التالية عن محاولة النيل من مطاراتنا وعاد بعناد يكرر محاولاته ويطور اسلوبه فى كل مرة فعمد الى تركيز الهجمات على مطار واحد او مطارين على الاكثر فى الوقت الواحد مع مضاعفة عدد الطائرات التى يخصصها لمهاجمة المطار الواحد ليصبح من ١٦ الى ٢٤ طائرة كما لجأ الى كافة الأساليب والتكتيكات المستحدثة التى استخدمها الطيران الأمريكى فى فيتنام للتغلب على عناصر الدفاع الجوى .. ولكنه فى النهاية عندما أيقن أن الخسائر التى يتكبدها فى هذه الهجمات لايحقق من ورائها النتائج التى يطمع فيها توقف مرغما عن مهاجمة المطارات المصرية .

ترى فيم يكمن السر فى هذا النجاح الفائق الذى حققته قوات الدفاع الجوى المصرية فى مهمة حماية القواعد الجوية والمطارات ؟ لاشك انه كانت هناك أسباب ومقومات وراء هذا النجاح.. فبجانب الأساسيات المعروفة لأى عمل عسكرى ناجح كانت هناك مجموعة من الاجراءات والانجازات الحاسمة ضمنت لهذا العمل النجاح الكامل .

يأتى فى مقدمة هذه الاجراءات ذلك النظام الفريد من تكامل

عناصر الانذار الجوى على الارتفاعات المختلفة واختفاء الثغـرات مـن الحقل الرادارى على الارتفاع المنخفض مما كان له الفضل فى فشـل العدو فى تحقيق المفاجأة ، ويأتى بعد ذلك مبدأ هام من مبـادىء الدفاع الجوى اثبتت النتائج الفعلية أن الأخذ به يمثـل ضـمانا أكيدا لتحقيق المهمة .. الا وهو مبدأ تكامل الدفاعات ، فلقد كـانت خطط الدفاع الجوى عن القواعد الجوية والمطارات نموذجا مثاليـا للتطبيق الصحيح لهذا المبدأ الذى يتحقق باستخدام نوعيات متباينة الخصائص من أسلحة الدفاع الجوى بحيث يتم تغطية نقاط ضعف احداها بنقـاط قوة الآخر . أمـا الانجاز الثـالث الذى يرجع اليه الكثير من الفضل فى نجاح مهمة حماية القواعد الجوية والمطارات فهو ذلك الأسـلوب الفريد الذى أمكن به تنظيم تعاون وثيق بين أعمال قتال عناصر الدفاع الجوى الأرضية وأعمال قتال المقاتلات الاعتراضية ، فقـد اثمر هـذا التعاون فى جميع المهام المشتركة وحقق أفضل نتائجه فى مهمة حمايـة القواعد الجوية والمطارات .

ولنكف نحن عن الحديث قليلا ولنترك السـطور التالية للمعلقين والمحللين العسكريين الأجانب لنرى كيف كان تقييمهم للـدور الـذى لعبه الدفاع الجوى المصرى فى مواجهة محاولات الطيران الاسرائيـلى اليائسة لتأكيد تفوقه واحـكام سيطرته الجوية باخراج الطيران المصرى من المعركة مثلما فعـل فى يونيو ١٩٦٧ .

فها هو الليفتنانت جنرال « ميخائيل تومينكو » الحاصـل عـلى درجة الدكتوراة فى العلوم العسكرية يقـول فى مقال له فى صـحيفة النجم الأحمر السوفيتية فى ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ : « ان الدفاعات المصريـة المضادة للطائرات لقنت قراصنة الجو درسا قاسيا واظهرت مقدرتها على الدفاع عن مواقع قواتها وعن المنشآت العسكرية والمدنيـة والحاق خسـائر جسيمة بالعدو . أما اسرائيل التى كانت تأمل أن تحتفظ بالتفوق الجوى فقد اخفق سلاحها الجوى فى اللجوء لأسـاوبه المفضل الذى

يعتمد على الأعمال المفاجئة ، أن الخسائر الفادحة التى أصيب بها الطيران الاسرائيلى ترجع الى الروح القتالية العالية للطيارين العرب على المقاتلات والتنظيم الجيد لأجهزة الدفاع الجوى والتعاون الوثيق بين مختلف هذه الأجهـزة » .

وها هو « توماس تشيتهام » مراسل وكالة اليونيتد برس يقـول فى رسالة له من تل أبيب فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، « ان الطـــيران الاسرائيلى لم يتمكـــن من تحقيق النجـــاح الذى كانت عامة الشعب الاسرائيلى تتوقعه له قبل الحرب . لقد وضح من خلال سير العمليات أن التأكيدات الرسمية التى كانت تتحدث عن قدرة القوات الجـوية الاسرائيلية على القيام بعمل سريع ضد العرب فى حالة تجـدد القتــال كانت مزاعم غير دقيقة » .

ويقول « جان فرانسوا لى موف » يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، « لقد شد انتباه الخبراء الفربيين الذين درسوا سير الصراع العربى الاسرائيلى وفنون الحرب التى استخدمها المتصارعون أنه بينما انتصر الاسرائيليون عام ١٩٦٧ بفضل تفوقهم الجوى الكامل ، اذ بنشاطهم الجوى يضمحل هذه المرة فى القتال والقصف بفضل تسلح العرب بالصـواريخ سـام » واستطرد قائلا :

« ويرى بعض الخبراء العسكريين أن مبدأ التفوق الجـوى الذى اعترف به خبراء الاستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية قد يعاد النظر فيه على ضوء أحداث الجولة الرابعة ، بينما لايتردد البعض الآخـر فى تأكيد أن هذا المبدأ قد انهار تماما » .

* الدفاع الجوى يحيد الطيران الاسرائيلى فى جبهة القتال

.. ونعود مرة ثانية الى جبهة القتال فى منطقة قناة الســويس لنستأنف استعراضنا للأحداث التى تلت تلك الســاعات الأولى الرائعة للمعركـــة .

.. بدأ واضحا منذ الساعات الأولى لصباح يوم ٧ أكتوبر ٧٣ ان القيادة الاسرائيلية تضع كل آمالها فى قواتها الجوية لاستعادة الموقف المتدهور لقواتها على الجبهة المصرية وايقاف الانهيار الذى دهم حصون خط بارليف فى ساعات قليلة ..

استعرضنا فى الصفحات السابقة المحاولة اليائسة التى قامت بها القوات الجوية الاسرائيلية لضرب مطاراتنا وقواعدنا الجوية فى بداية هذا اليوم المليء بالأحداث ، فلم تكن هذه المحاولة الا واحدة من المهام والأعمال التى كان على الطيران الاسرائيلى أن يحققها فى هذا اليوم ، فبعد الفشل الذى منيت به هذه المحاولة تركز المجهود الرئيسى للقوات الجوية الاسرائيلية لتحقيق هدف محدد تعلقت به آمال القيادة الاسرائيلية التى كانت تسودها حالة مثيرة من الارتباك والتخبط ..

وكان الهدف هو تدمير الكبارى والمعابر التى نجحت القوات المصرية فى اقامتها على القناة وبذا تنقطع الشرايين والأوردة التى تضمن للقوات المصرية فى سيناء الاستمرار والقدرة على مواصلة القتال ..

وشهدت منطقة قناة السويس اعنف واشرس الهجمات الجوية فى تاريخها الحافل بالحلقات المتصلة من الصراع بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجوى المصرية .

وقد كانت قوات الدفاع الجوى تعلم جيدا ومسبقا من قبل اندلاع القتال أن أمامها تحديا خطيرا يتوقف على أدائها فيه مصير المعركة كلها لذلك حظيت خطط الدفاع الجوى عن الكبارى والمعابر بأكبر قدر من العناية والاهتمام وحشدت لها كافة الامكانيات التى تضمن لها النجاح المنشود . ولكن وكأى خطة عسكرية لايستطيع احد ان يضمن نتائجها قبل أن توضع موضع الاختبار الفعلى فى ميدان القتال .. وجاءت النتيجة تفوق كل ما كان متوقعا ولم تنجح الخطة فى حماية الكبارى والمعابر فحسب بل وساهمت ايضا بأعظم قدر فى زيادة خسائر

القوات الجوية الاسرائيلية ، وقد كان هذا هدفا أعم ، كان على قوات الدفاع الجوى كلها تحقيقه لهزيمة التفوق الجوى الاسرائيلى المزعوم وتحطيم الأسطورة .

لقد كان المشهد مثيرا تماما عند مواقع الكبارى التى تمتد عبر شاطىء القناة بفواصل كيلو مترات قليلة بينها ..

وها هو قائد احدى الفرق الخمس التى كان لها شرف اقتحام قناة السويس والاستيلاء على حصون « خط بارليف » فى ست ساعات يصف المشهد عند أحد الكبارى المقامة فى قطاعه وكان يقف لحظتها على الضفة الغربية للقناة يتابع تدفق قواته عبر الكوبرى : « كنا فى البداية نشعر بالقلق العميق ونحسب حساب تدخل القوات الجوية الاسرائيلية خاصة ضد الكبارى والقوات القائمة بالعبور .. ولكن بعد ماشاهدنا الطائرات المعادية تتساقط واحدة بعد الأخرى بنيران شبكة الدفاع الجوى المصرية خلال الساعات الأولى الرائعة يوم ٦ أكتوبر ٧٣ تبدد القلق بل وتضاءل الحذر وكانت القوات تتدفق فوق الكوبرى بمعدلات عالية وكأنها تعبر أحد كبارى القاهرة عبر نهر النيل .. وفجأة ظهرت عند الأفق البعيد ثلاث طائرات فانتوم تقترب فى اتجاه الكوبرى .. واستبد بى قلق بالغ فالكوبرى مزدحم تماما بالدبابات وكلتا المنطقتين عند نهايتيه على ضفتى القناة بها حشد هائل من المعدات والأفراد .. وأفقت من هواجسى على أحد الصواريخ المصرية ينطلق فى طريقه الى الطائرات المعادية ، وفجأة وقبل ان يصل الصاروخ تفرقت الطائرات ونجحت فى تجنب الاصابة ولم أشعر وأنا أشيع بنظرى هذا الصاروخ المخيب للآمال أن هناك صاروخا آخر انطلق بعده بثوان قليلة واذا به يدمر احدى الطائرات الثلاث ، وعلى الفور هبطت الطائرتان الاخريان فى سرعة البرق وواصلتا الاقتراب من الكوبرى وهى تكاد تلامس سطح الأرض .. وكأن ذلك كان اشارة لأبواب الجحيم لتفتح ، فاذا

بالسماء تشتعل بنيران المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ الكشف المعروفة باسم سام ـ ٧) وهوت الطائرتان فقد مزقت طلقات المدفعية المضادة للطائرات احداهما بينما اقتنص الأخرى صاروخ سام ـ ٧ ، والتهب حماس الجنود وزادت سرعة التدفق على الكوبرى وهتاف الجنود الحبيب ، الله أكبر ، الله أكبر ، يضفى على المعركة جلال وقدسية معارك المسلمين الأوائل » .

ولم يكن ذلك هو المشهد الوحيد فلقد تكررت الصورة عند جميع الكبارى على امتداد ساعات طويلة ليتأكد انتصار قوات الدفاع الجوى على الطيران الاسرائيلى فى واحدة من أخطر معارك التحدى الدائم بينهما . وشهد العالم اجمع بهذا الانتصار المؤكد .. فها هو « هنرى ستانهوب » المراسل العسكرى لصحيفة التايمز يعلق فى العدد الصادر يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ على الصراع بين الدفاع الجوى المصرى والقوات الجوية الاسرائيلية فى معركة الكبارى قائلا : « الأمر المؤكد أن الجيش الاسرائيلى قد اخفق فلا يزال المصريون يدفعون قواتهم ومعداتهم عبر الجسور الأحد عشر التى أقاموها والتى لم تستطع الطائرات الاسرائيلية تدمير اى منها » ويستطرد قائلا فى نفس المقال « ان الأمر الواضح للجيش الاسرائيلى هو زيادة تصميم الجنود المصريين وقتالهم الشرس من أجل استرداد أراضيهم ثم المغزى العميق الذى تنطوى عليه قدرتهم المتزايدة وكفاءتهم الملحوظة فى ادارة شبكة الصواريخ المصرية المضادة للطائرات » .

.. وها هو « هوارد كالاوى » وزير الجيش الأمريكى يرى وراء ذلك الانجاز الرائع لقوات الدفاع الجوى المصرى ماهو أكبر من كونه انتصارا فى احد مجالات الصراع ، فقد صرح لوكالات الأسوشيتدبرس يوم ١٨ أكتوبر بما نصه : « ان العبور الذى قامت به القوات المصرية فى قناة السويس فى مواجهة القوات الجوية الاسرائيلية المتفوقة هو

بمثابة علامة مميزة فى الحرب الحديثة ستغير من الاستراتيجية العسكرية » .

.. وتوالت أيام القتال بعد ذلك وشبكة الدفاع الجوى المصرى تحقق فى كل يوم المزيد من الانتصارات واستمرت مظلتها الواقية تحمى القوات المصرية وهى تقاتل أعنف المعارك وأشرسها على أرض سيناء الحبيبة .

وكان يجرى فى كل يوم تعديل لأوضاع شبكة الدفاع الجوى بما يتمشى مع ما احرزته القوات البرية من تقدم لتظل هذه القوات دائما فى حماية درعها الواقى الذى عزل القوات الجوية الاسرائيلية فى جبهة القتال وحرمها من مساندة قواتها الجوية وهى تحاول شن هجماتها وضرباتها المضادة ضد قواتنا فى رؤوس الكبارى .. وقد يتساءل القارىء ولماذا لم يتم دفع شبكة الدفاع الجوى مرة واحدة الى أقصى مايمكن للأمام بدلا من هذه التحركات اليومية ؟ . ونوضح الأمر .. أولا كان من الضرورى اجراء عديد من التحركات اليومية لنضمن مفاجأة العدو ولنحرمه من تحديد أوضاعنا بدقة ..

والأمر الثانى ان انتقالات قواعد الصواريخ للأمام فى اتجاه الشرق كانت تخضع لحسابات دقيقة ، فلا شك أن تقدمها الى الشرق يحقق عمقا أكبر لسيطرتنا على الأجواء داخل سيناء ، ولكنه فى نفس الوقت سيجعل من هذه القواعد هدفا سهلا داخل مرمى مدفعية ميدان العدو بعيدة المدى ، ولذلك كان علينا يوميا أن ندقق حساباتنا ونحدد عمق الانتقال اللازم بما يضمن وقاية كاملة لقواتنا البرية ويحقق فى نفس الوقت حماية قواعد الصواريخ من القصف المؤثر لمدفعية العدو .

.. وعندما قررت القيادة العامة للقوات المسلحة تطوير الهجوم شرقا لكسب مزيد من الأرض وتخفيف الضغط على الجبهة السورية . دفعنا بقواعد الصواريخ عبر القناة لتحتل مواقعها على الضفة الشرقية

للقناة وتمد مظلتها الواقية الى عمق سيناء . ولقد دارت فى هذه المرحلة من القتال أعنف معارك الدبابات وأكبرها ، وتكبدت القوات الاسرائيلية خسائر جسيمة فى المعدات والأفراد وما كان ذلك ليحدث اذا لم تتكافأ الفرص امام المدرعات المصرية والاسرائيلية على السواء .. فلقد تعودت القوات الاسرائيلية على القتال وفوق راسها قواتها الجوية تقدم لها المساندة والدعم . وكانت بذلك تضمن الانتصار ، أما فى هذه المرة فقد حرمت من قواتها الجوية بفضل شبكة الدفاع الجوى المصرى التى فرضت سيطرة تامة على سماء المعركة فاضطرت المدرعات الاسرائيلية الى الدخول فى قتال حقيقى لأول مرة فى تاريخها ، ولذلك لم يكن غريبا أن خسائرها فاقت كل تقدير .. وقد كان لظهور قواعد الصواريخ المضادة للطائرات على أرض سيناء وقع الصاعقة فى نفوس الطيارين الاسرائيليين . فقد قيل لهم أن هذه القواعد ثقيلة وثابتة ولا تتوافر لها خفة الحركة والقدرة على المناورة وهى بالتالى لا تصلح لمهمة وقاية القوات القائمة بالهجوم ، وامعانا فى السخرية منها كان الأمريكيون يطلقون عليها فى حرب فيتنام اسم « البطة الجالسة Sitting duck » وصدق الاسرائيليون ذلك ، ولم يدر بخلدهم أن قوات الدفاع الجوى المصرية قد استطاعت بعزم وجهد رجالها أن تجعل من البطة الجالسة بطة متحركة « moving duck »

.. لقد أثبتت قوات الدفاع الجوى خلال هذه الأيام الرائعة جدارتها وتفوقها ، فعلى مدى هذه الأيام جرب الطيران الاسرائيلى جميع الأساليب والتكتيكات واستخدام أحدث الأسلحة والمعدات الألكترونية وفشلت جميعا فشلا ذريعا .. فلقد طاشت الصواريخ الموجهة المضادة للرادار ومحطات توجيه الصواريخ والمعروفة باسم « شرايك » — وهى أحدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية — عن أهدافها ، ولم يكن ذلك راجعا لعدم قدرة الطيارين الاسرائيليين على استخدامها وانما كان ذلك راجعا الى كفاءة المقاتل المصرى الذى استعد جيدا لهذا الأمر ووجد له

الحل المضاد . كما لم تمنع الاعاقة الالكترونية الكثيفة مقاتلى الدفاع الجوى من الاشتباك الفعال والمؤثر . ولم تفلح أعمال الخداع الالكترونى فى تشتيت نيراننا عن أهدافها الحقيقية .

ونرجو الا يتبادر الى ذهن القارىء أن الصورة كانت وردية دائما وان المعركة لم تكن الا انتصارات مستمرة .. لم يكن الأمر كذلك فلقد تكبدنا فى كل يوم اصابات فى المعدات وخسائر فى الأفراد وهى وان كانت أقل بكثير مما نوقعناه الا انها كانت ستؤثر بلا شك لو تركت لتتراكم يوما بعد يوم على كفاءة شبكة الدفاع الجوى ومقدرتها على الاستمرار . ولكن التخطيط الجيد لنواحى الاصلاح والتأمين الفنى والجهود البطولية التى بذلها مهندسو الدفاع الجوى حققا استعادة الموقف أولا بأول وكفلا لشبكة الدفاع الجوى الصمود والاستمرار بنفس المقدرة والكفاءة طوال أيام القتال .

ولم تقدر اسرائيل على المكابرة وخرجت التصريحات من قادتها تعترف فى حزن بهزيمة قواتها الجوية أمام شبكة الدفاع الجوى المصرى .. فها هو « موشى ديان » يعلن فى رابع أيام القتال فى مجال تحديده للمشاكل التى تواجه القوات الاسرائيلية ، « وثمة مشكلة أخرى تواجه طيراننا فهو عاجز عن اختراق شبكة الصواريخ المصرية المضادة للطائرات دون أن يصاب بخسائر فادحة » .

وعاد « موشى ديان » ليعلن فى حديث تليفزيونى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ : « ان القوات الجوية الاسرائيلية تخوض معارك مريرة ، انها حرب ثقيلة بأيامها . ثقيلة بدمائها » .

ومن أقوال الطيارين الاسرائيليين الأسرى اخترنا هذين المثلين فهما يعبران بصدق عن الفزع الذى تملك قلوب الطيارين الاسرائيليين من الدفاع الجوى المصرى .. فلقد قال الرائد طيار « جيرو يعقوب آمنون » : « لقد كانت الصواريخ المضادة للطائرات المصرية مؤثرة

حائط الصواريخ كما تخيلته إحدى المجلات الأجنبية

للغاية وكنا نحاول الابتعاد عن مواقعها خشية أن تصاب طائراتنا .. وعلى الرغم من محاولات التخلص منها الا أنها كانت فعالة للغاية ، مما أدى الى وقوع خسائر كبيرة فى الطائرات الاسرائيلية وخاصة طائرات الفانتوم » .

ويقول النقيب طيار « سمحا مردخاى روزين » « لقد دهشت من دقة تصويب المدفعية المصرية المضادة للطائرات مما يؤكد أن مستوى رجالها عال جدا . والدليل على ذلك كثرة ما أسقطوه من طائراتنا » .

هذا ماقاله الاسرائيليون . فلنستعرض أيضا بعض ما قالته الدوائر الأجنبية الغربية .. فها هى وكالة يونيتدبرس تعلق يوم ١١ اكتوبر على العمليات الحربية بقولها : « اثبت تدريب الجيش العربى انه انتج قوة مقاتلة فعالة واستوعب العرب بعض المشكلات التكتيكية المعقدة للأسلحة الحديثة بما فى ذلك تشغيل صواريخ سام فى اتصال مع الرادار والمبتكرات والاتصالات الالكترونية » .

ويقول « اريك سيلفر » المعروف فى الجارديان البريطانية فى مقال له فى العدد الصادر يوم ١١ أكتوبر ١٩٧٣ تحت عنوان (العرب يحطمون أسطورة اسرائيل) ما نصه : « ان أجهزة الدفاع الجوى المصرية اثبتت انها اكثر جسارة وقوة مما توقع المراقبون ، خصوصا وأنه لم يعد هناك مستشارون أو فنيون روس » .

وها هى مجلة « تايم » الأمريكية تكشف فى عددها الصادر يوم ١٩٧٧/١/٢٤ عن اسرار جديدة تتعلق بحرب اكتوبر فتقول : « أن القوات المصرية تمكنت خلال الأسبوع الأول من الحرب من استخدام اول نظام صاروخى متكامل للدفاع الجوى لأول مرة فى التاريخ ، فلقد تمكن الدفاع الجوى المصرى خلال وقت قصير نسبيا من اسقاط ٧٨ طائرة اسرائيلية » .

ملحمة الدفاع الجوى فى بورسعيد :

ونستأذن القارىء فى وقفة قصيرة نترك فيهـا مؤقتا جبهة القتـال الرئيسية لنذهب معا فى رحلة قصيرة الى أقصى الطرف الشـمالى مـن جبهـة قناة السويس ، الى بور سعيد . . لنرى ماذا جرى هنـاك من احداث خلال أيام القتال ! . . بينما كانت المعارك على أشدها بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجـوى يومى ٦ ، ٧ أكتوبر ١٩٧٣ على امتداد جبهة القتال ، كان الأمر مختلفا تماما فى بورسعيد . فلقـد اقتصر الأمر خلال هذين اليومين على طلعات جوية متفرقة كانت بمثابة أعمال مشاغلة أكثر منها هجمات جوية منظمة وفجاة وأعتبارا من يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣ ثالث أيام القتال شهدت بورسعيد اشـد المعارك شراسة وعنفا بين الدفاع الجوى المصرى والطيران الاسرائيلى .

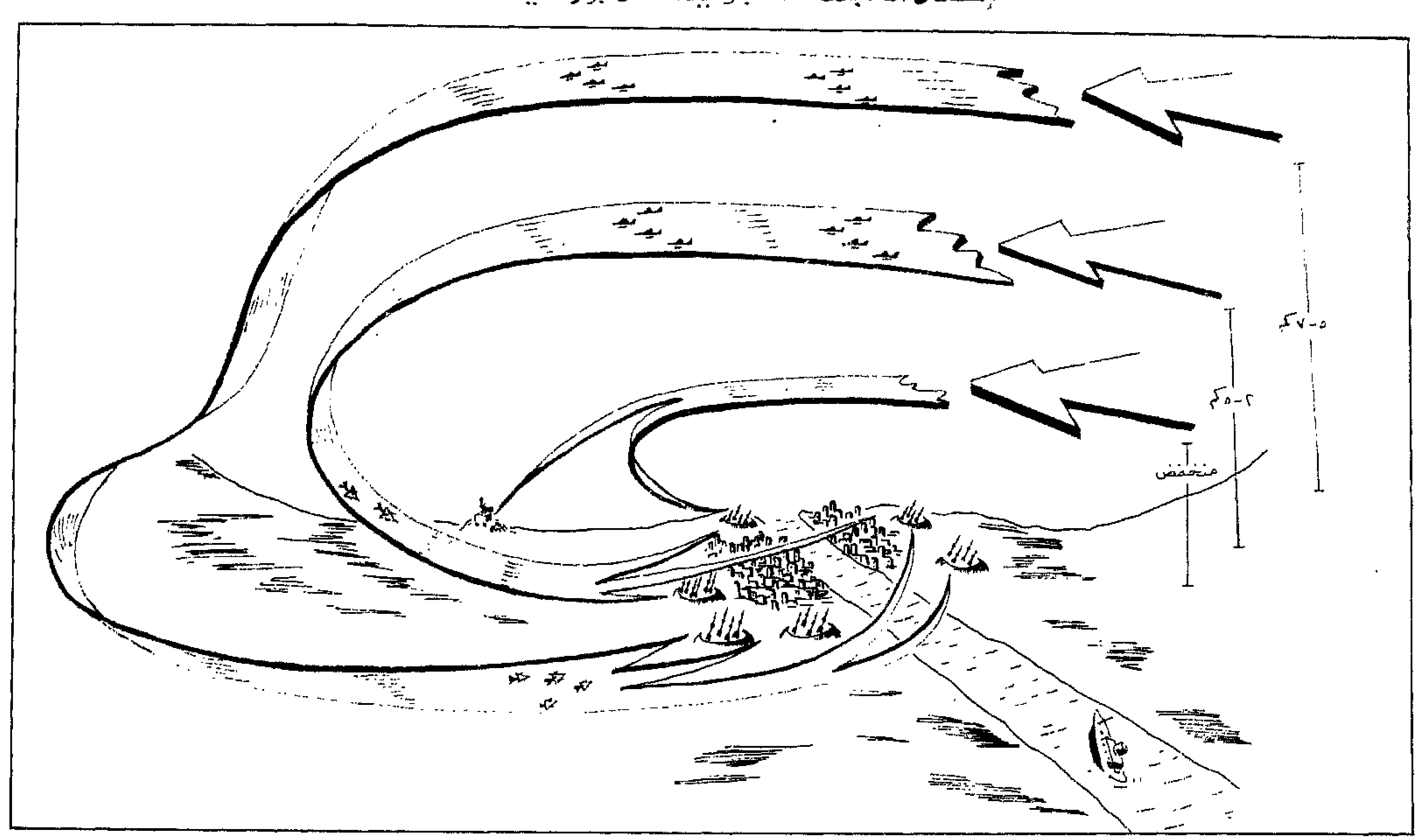
فمنذ ذلك اليوم واجهت المدينة الباسلة هجمات جـوية شرسة حشدت لها اسرائيل أعدادا متزايدة من الطائرات . فبلغ عدد الطائرات فى بعض الهجمات اكثر من ٥٠ طـائرة كانت تهـاجم المدينة فى نفس الوقت ، ويرجع هذا التركيز على بورسعيد بالذات كما أوضح أحـد الطيارين الاسرائيلين الذين تم أسرهم فى « بورسعيد » ـ الى اعتقـاد القيادة الاسرائيلية أن لدى مصر صواريخ استراتيجية أرض / أرض لا يمكنهـا اصابة مدن اسرائيل الرئيسية الا اذا وضعت فى بور سعـيد باعتبارها أقرب النقاط المصرية الى مدن اسرائيل .

ولقد ظنت القيادة الاسرائيلية أن بامكانها تحقيق انتصار سـهل على الدفاع الجوى المصرى فى هذا القطاع الذى يعتبر ـ من وجهة نظر الدفـاع بالصواريخ مط ـ هدفا منعـزلا تكتيكيا عن شبكة الصـواريخ الرئيسية وكانت القيادة الاسرائيلية تأمل أن يعمل ذلك على اعادة الثقةالى طياريها بعدما هزتها بعنف نتائج المعـارك خلال يومى ٦ ، ٧ اكتـوبر ، ولكن خاب أملها ، فبالرغم من كثافة الهجمـات وشراستها اسـتمرت



كان الدفاع الجوى فى بورسعيد يكبد الطيران الاسرائيلى خسائر منكررة كل يوم ..

إحدى الهجمات الجوية على بورسعيد



عناصر الدفاع الجوى تكبد العدو خسائر فادحة فى كل هجمة مما كـان له أكبر الأثر فى تشتيت ضرباته وعدم اصابته لأهدافه ، كما أن سرعة استعادة الموقف بالنسبة لأى اعمال أو خسائر فى المعدات كانت تتسم بسرعة فائقة وكفاءة عالية جعلت من الدفاع الجوى فى هـذا القطاع والذى ظنه العدو لقمة سائغة حائطا آخر استنفد من العدو الكثير من الجهد وكبده العديد من الخسائر . ونذكر على سبيل المثال أن قائد قوات الدفاع الجوى عندما وجد أن عدد قواعد الصواريخ التى تعطلت نتيجة لبعض الاصابات يزيد عن القواعد الصالحة فى القطـاع ، أمـر بايقاف الاشتباك بالصواريخ حتى يظن العدو انه نجح فى اسكات جميع القواعد ، وامر بأن يقتصر الاشتباك على المدفعية المضادة للطـائرات وصواريخ الكتف . ودفع بأطقم اصلاح على أعلى مسـتوى من قيـادة قوات الدفاع الجوى قامت تحت الضرب المتواصل بعمـل بطولى مـن الدرجـة الأولى وتمكنت فى أقل من ٤٨ سـاعة من اصـلاح جميـع القواعد العاطلة . ولقد تطلب الأمـر خـلال هذه السـاعات الكثير من الصبر وضبط النفس فرغمـا من الحاح قـادة القواعد على السماح لهم بالاشتباك الا أن القائد صمم على عدم استئناف الاشتباك الا بعـد ما تأكد من اصلاح جميع القواعد ليضمن مفاجأة العدو بضربة قوية بأكبر عدد من القـواعد فى نفس الوقت .. وكانت المفاجأة كاملة عندما جاءت الطائرات الاسرائيلية لتطير مطمئنة فوق بورسعيد على ارتفاع أكبر مـن مدى المدفعيـة المضادة للطائرات .. فاذا بعشرات الصواريخ تنطلق من المواقع التى ظنوا انهـا سكتت الى الأبد وتساقطت الطائرات الاسرائيلية بالجملة وسط هتـاف الجنود وشعب بورسعيد .

واستمر الصراع فى بورسعيد يدور على هذه الوتيرة . العـدو يدفع بطائراته بكثافات كبيرة ويتحمل العديد من الخسـائر فى معظم الأحيان وينجح فى بعض الأحيان فى اسكات عـدد من قواعـد الصواريخ لبعض الوقت ولكنهـا تعود مرة أخرى لتكبده مزيدا من الخسائر وهكذا

ولن ينسع المجال هنا لاستعراض المئات من قصص البطــولة والتضحية التى سطرها رجال الدفاع الجوى فى بورسعيد .. ولكنهــا ستظل خالدة أبدا يذكرهــا شعب بورسعيد ويتناقلها جيلا بعد جيل ، فبفضل شهداء الدفاع الجوى الأبرار الذين بذلوا أرواحهم تحت سماء بورسعيد اندحــر العدوان وبقيت بورسعيد .

الدفاع الجوى والثغرة :

.. ونعود مرة اخــرى الى جبهــة القتــال الرئيسية لنستكمل استعراضنا لأهم الأحداث .

لقد تأكد الانتصار المصرى فبعد عشرة أيام من القتال ثبت فشــل القــوات الاسرائيلية فى معركة الاحتواء Battle of containment للقوات المصرية التى عبرت واقتحمت القناة وخط بارليف وانشــات خمســة رءوس كبارى وتشبثت بهــا وهكذا وعندما تأكد للقيادة الاسرائيليــة أن قواتهــا عاجزة تماما عن احتــواء القوات المصرية أرادت أن تقوم بعمل مضاد تستولى به على رقعة الأرض غربى القنــاة .

ولكى يكون استعراضنا لهذه الأحداث موضوعيا نستأذن القــارىء فى العودة للوراء قليلا .. الى يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

ففيه حدث عظيم أغفلناه فى استعراضنا السابق حيث وجدنا أن ارتباط الأحداث بعضها ببعض يفرض تسجيل هذا الحدث عند التعرض لموضوع الثغرة والقتال غربى القناة . ففى يوم ١٣ اكتوبر ١٩٧٣ رصدت محطات الرادار قيام طائرة امريكية من طراز « SR - 7I » بطلعة استطلاع جوى غطت النطاق التعبوى لجبهة القتال والأهداف الاستراتيجية فى العمق ، وكان ذلك اعلانا عمليا أن الولايات المتحدة الأمريكيــة قــد القت بثقلها فى المعركة لانقاذ اسرائيل من هزيمة محققة .

ولاشك أن هذه الطلعة وفرت للعدو معلومات كاملة عن التوزيع التعبوى للقوات والاحتياطيات وكانت بمثابة النور الأخضر لاسرائيل لتنفيذ عملية الدفرسوار . وجاءت بعد ذلك الأحداث لتؤكد ان القوات المصرية أصبحت تواجه الولايات المتحدة الأمريكية وليس اسرائيل وحدها فلقد تلاحظ طفرة مفاجئة فى حجم وكثافة الهجمات الجوية المعادية اعتبارا من يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ كما رصد تغيير فى الاعاقة الالكترونية المضادة لمحطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ اعتبارا من هذا اليوم . وفى خلال ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ٧٣ تمكنت بعض المدرعات الاسرائيلية البرمائية من التسلل الى الضفة الغربية للقناة واختبأت داخل الأشجار الكثيفة المنتشرة فى تلك المنطقة ولم يتم احتواؤها وتدميرها بأقرب احتياطى بالسرعة المطلوبة مما اتاح لها فرصة لتوسيع الجيب الذى استولت عليه .

.. وفى صباح يوم ١٦ أكتوبر ٧٣ قامت القوات الاسرائيلية المتسللة بالتسرب صوب قواعد الصواريخ المضادة للطائرات وهاجمتها بالنيران من مسافات بعيدة ..وتمكنت فعلا من اصابة قاعدتين للصواريخ المضادة للطائرات ، وعلى الفور صدرت التعليمات لقائد تشكيل الدفاع الجوى فى منطقة الجبهة بالمناورة بباقى القواعد الى مواقع تبادلية أخرى خارج مرمى نيران القوات التى تسللت .. وكانت أوامر قائد قوات الدفاع الجوى قاطعة واضحة فيما يتعلق بأمرين .

الأمر الأول يؤكد أننا لن نسمح للعدو مهما كانت الظروف أن ينجح فى احداث ثغرة فى شبكة الدفاع الجوى فى جبهة القتال ، ولقد كان التعبير الذى استخدمه القائد فى هذا الشأن معبرا تماما عما حدث فعلا فقد قال القائد :

« لن نسمح للعدو ان يشق حائط الصواريخ او يحدث شرخا فيه ولكننا سنقبل ان يتقوس هذا الحائط قليلا ليحتوى الجيب الاسرائيلى داخله » .

.. وفعلا ، ففى خلال ساعات قليلة تم بنجاح فائق المناورة بعدد من قواعد الصواريخ المضادة للطائرات واحتلت مواقع جديدة تشكل « حزام » يطوق الجيب الاسرائيلى وقامت بواجبها فى حماية القوات البرية التى أوقفت تقدم القوات الاسرائيلية غربا . وخاب أمل اسرائيل فى القضاء على حائط الصواريخ الرهيب الذى استمر يكبد العدو الجوى فى كل ساعة المزيد من الخسائر .

اما الأمر الثانى الذى أكدت عليه تعليمات القائد فقد كان يتعلق بعدم السماح بأى حال من الأحوال بوقوع أى معدات فى حالة فنية تسمح للعدو بالاستفادة منها أو يمكنه عن طريقها الحصول على أية معلومات لها صفة السرية ..

واستمات الرجال لتنفيذ هذا الأمر ونجحوا فى المناورة بمعداتهم بعيدا عن مرمى نيران الاسرائيليين وبقيت قاعدتان للصواريخ المضادة للطائرات لم يكن متاحا لهما الانتقال فالعدو يحاصرهما من كل جانب .. ولقد شهدت هاتان القاعدتان لحظات انسانية بالغة التأثير فقد كانت الدموع تنهمر من عيون الرجال .. أصلب الرجال .. وهم يدمرون بأيديهم معداتهم التى ارتبطت بها حياتهم وآمالهم لسنوات طويلة .. وكانت الأوامر أن يتسلل الرجال بعد ذلك فرادى من هذه المواقع ولم يمتثل بعض الرجال لهذه الأوامر وآثروا أن يبقوا مع معداتهم ويستشهدوا معها بعد أن يحصدوا بمدافعهم الرشاشة أكبر عدد ممكن من جنود العدو فداء لمعداتهم .

.. وقد يتساءل القارىء : اذا كان الأمر كذلك ، فأين الحقيقة فيما كانت تذيعه اسرائيل ؟ فلقد ملأت اسرائيل الدنيا بأنباء انتصاراتها غرب القناة وأن قواتها تمكنت من تدمير العشرات من قواعد الصواريخ المضادة للطائرات المصرية وقضت بذلك على شبكة الدفاع الجوى المصرية ..

حسنا ، فلنناقش الأمر بهدوء ولنتتبع الأحداث لنرى حقيقة



جاءت لتباغت .. فبوغتت :

ماحدث .. لقد نجحت القوات الاسرائيلية فى التسلل الى الضفة الغربية للقناة .. هذه أولى الحقائق ، وبدات هذه القـوات تضرب بنيرانهـا قواعد الصواريخ المضادة للطائرات من مسافات بعيدة .. هذه أيضـا حقيقة ، وكانت نتائج الضرب ظاهرة واضحة أمام الجنود الاسرائيليين فالطلقات تصيب أهدافها وهم يبلغون قياداتهم بنتائج الضرب ويحصون عدد القواعد التى أصابوها وكانت قيادتهم تذيع هذه النتائج على الدنيا كلهـا . ولم تكن هذه الا نصف الحقيقة .. أما الحقيقة كلها فبسيطة غاية فى البسـاطة ، ونحن حين نعلنها الآن لانفشى سرا فعدونا قد عرفها بعد أيام قلائل من بداية الثغرة عندما توقف القتال وراح الجنـود الاسرائيليون يفتشون القواعد التى أصابوها بنيرانهم مـن مسـافات بعيدة .. لا شك أن المشهد كان مثيرا عنـدما وجـد هؤلاء الجنـود أن ماظنوه قواعد للصواريخ ما هو الا معدات هيكلية يقـل ثمنها كثيرا عن ثمن دانات المدفعية التى اصابتها .. هذه هى الحقيقة التى يعلمهـا عدونا كما نعلمها وبالطبع لم يكن معقولا أن يصدر العـدو بعـد توقف القتال تكذيبا لما ملأ به الدنيا ضجيجا ودعاية . ولكنه سيظل مطالبـا دائما بأن يجد اجابة شافية لمن يتساءل : اذا كانت اسرائيل قد دمرت العشرات من قواعد الصواريخ المضادة للطائرات ، اذن فمن اسـقط عشرات الطـائرات الاسرائيلية اعتبارا من يـوم ١٦ أكتوبر ٧٣ ولحـين وقف اطلاق النار بل وبعد وقف اطلاق النار ؟! .

واذا كانت البيانات الاسرائيلية صحيحة .. فمن أين جـاءت مصر بقواعد الصواريخ التى تنتشر الآن بالعشرات فى منطقة قناة السويس وحول الأهداف الحيوية بالدولة ، بينما العالم اجمـع يعلم ان مصر لـم تحصل حتى الآن على أى تعويض لخسائرها فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

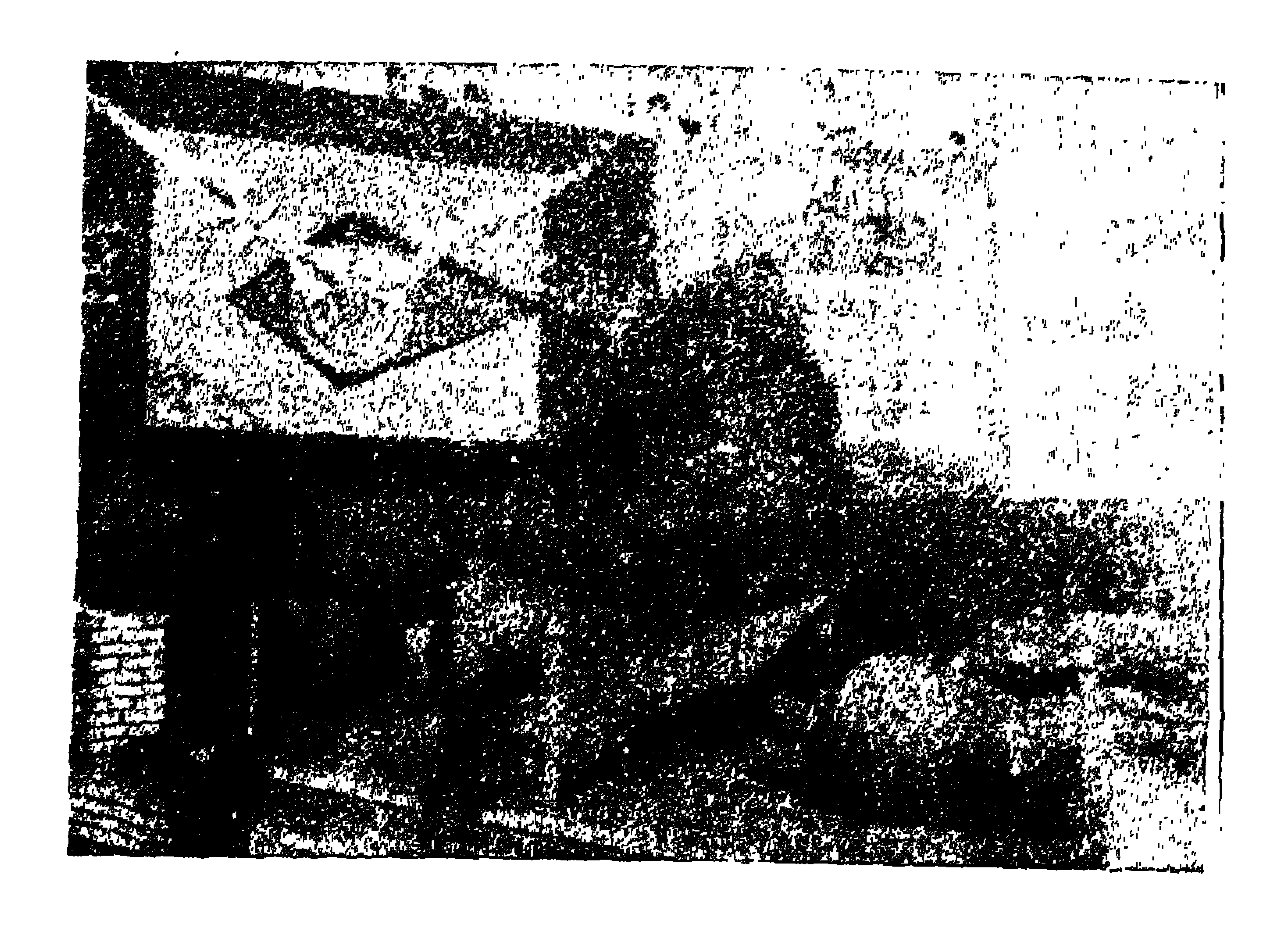
وباقى القصة يعرفها القارىء تماما ، فقد استفادت القـوات الاسرائيلية من عدم الاذعان لقرار وقف اطـلاق النار يوم ٢٢ أكتوبـر ١٩٧٣ لتوسيع الجيب ، الأمـر الذى استدعى تدخل القيادة العامة

للقوات المسلحة المصرية لاحتواء الجيب الاسرائيلى ووضع خطة مدبرة لتصفيته .. والحرب مثلها مثل مباريات كرة القدم قد تفوز وتحرز خمسة اهداف نظيفة فى مرمى الخصم ، ولكن قد تفرض ظروف المباراة ان يتمكن الخصم المهزوم فى آخر دقيقة من المباراة من احراز هدف وحيد قد يهلل فرحا ولكنه لايغير من النتيجة النهائية فى شىء .

فلقد اصبح الذى ظنته اسرائيل نصرا لها مأزقا خطيرا فقد تمكنت القوات المصرية بعملية حشد سريعة ومكثفة من احتواء الجيب تماما ولم يكن له سوى مخرج وحيد كعنق الزجاجة عند الدفرسوار .

واتمت القوات المسلحة وضع الخطة (شامل) للقضاء على الجيب وصدق عليها القائد واصبح كل شىء معدا للتنفيذ ، وتدخلت الولايات المتحدة الامريكية لتنقذ اسرائيل مرة ثانية من مصير محتوم ، وعقدت اتفاقية فض الاشتباك الأولى وانتهت حرب أكتوبر المجيدة وقوات الدفاع الجوى المصرى اقوى مما كانت عليه قبلها فلم نخسر الا القليل وكسبنا الكثير .. كسبنا خبرة لاتقدر بثمن مهما كان ، فلقد دفعنا فيها دماء شهدائنا الأبرار ، خبرة حرب الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات التى اشركناها لأول مرة فى تاريخ الحروب فى عمليات هجومية شاملة على اتساع جبهة القتال ، وكان ذلك اضافة ضخمة لفن واساليب القتال ترتب عليها اعادة النظر فى الكثير من المبادىء الراسخة للاستراتيجية وفن الحرب .

.. واخيرا فلم نجد اصدق من هذه الكلمات التى أدلى بها «موشى ديان» فى تصريح له يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ الى وكالة الأنباء الفرنسية بعد مايزيد عن ثلاثة شهور من توقف القتال بعدما توافر له الوقت ليمعن التفكير ويستخلص العبرة لنختتم بها هذا الفصل .. يقول زعيم المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تصريحه : « **ان هالة التفوق الاسرائيلى** قد دحضها واثبت بطلانها قتال اكتوبر ١٩٧٣ » .





وصرخ موشى ديان فى ١٥ فبراير ١٩٧٤ « ان هالة التفوق الاسرائيلى قد دحضها واثبت بطلانها قتال اكتوبر ١٩٧٣ » .

الفصل السابع

الدروس المستفادة من حرب اكتوبر ٧٣ من وجهة نظر الدفاع الجوي ونظرة إلى المستقبل

* لماذا هذا الاهتمام ؟
* الدروس المستفادة ٠
* نظرة الى المستقبل ٠
* خاتمـــة ٠

اذا خرجنا من هذه المعركة دون ان نبنى البناء سياسيا واقتصــاديا وعلميا ، واذا لم نبن قواتنا الذاتية يكون محكوما علينا بالدمار ، لان اسرائيل لن تترك هـــــذه الهزيمة التى لحقتها ، من اجل هذا نحن نركز عـلى بنـاء قواتنا الذاتية عسكريا واقتصاديا وســياسيا وتنظيميا لضمان مواجهة العــدو وســيكون لدينا صناعات استراتيجية محلية وسياستنا اننا سوف ننوع مصادر الســلاح حتى نبنى قدرتنا الذاتية .

انــور الســادات

* لماذا هذا الاهتمـام ؟

لقد تضافرت عدة عوامـل لتجعل الدور الذى لعبه الدفاع الجوى المصرى يحتل المكانة الأعظم فى الدراسات والأبحاث التى عكفت عليهـا مراكز الأبحاث والمعاهد العسكرية والاستراتيجية فى العالم للخـروج بالدروس المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ويأتى فى مقدمة هذه العوامل تلك الهالـة الأسـطورية التـى نسجتها أبواق الدعاية الاسرائيلية لقواتها الجوية ، وكان من الطبيعى ان يكون لخسائرها الكبيرة وغير المتوقعة امام شبكة الـدفاع الجـوى المصرى دور كبير يستحق البحث والتحليل ..

وثانى هذه العوامل وهو وشيك الصلة بالعامل الأول فهـو ذلـك الآداء الناجح لقوات الدفاع الجوى المصرية فى جميع المهام التى أوكلت اليها خلال حرب اكتوبر ٧٣ ، ولاشك أن هذا الآداء يستـحق بـذاته التحليل والدراسة ولا سيما اذا جاء هذا الآداء بمثـل هـذه النتائج وفى مواجهة قوات جوية اعتقد العالم اجمع انها لا تقهر .

وثالث هذه العوامل يرجع الى أن حـرب اكتوبر ٧٣ هى أولى الحروب فى تاريخ الصراعات المسلحة التى تستخدم فيها الصـواريخ الموجهة المضادة للطائرات فى عمليات هجومية شاملة باتساع جبهـة

القتال ، حتى أن البعض أطلق عليها « حرب الصواريخ » لذلك كان من الطبيعى أن يحظى هذا الدور بنفس الاهتمام العظيم الذى حظيت به دائما على مر العصور المبادرات الهامة فى أساليب وفنون القتال ..

أما رابع هذه العوامل فيرجع الى أنه اذا كانت حرب أكتوبر ٧٣ تعتبر — بما استخدم فيها من وسائل العلم والتكنولوجيا — أول حرب الكترونية فى تاريخ الحروب فان ذلك يرجع الى ماشهده الصراع الذى دار خلال هذه الحرب بين القوات الجوية الاسرائيلية والدفاع الجوى المصرى من استخدام أعقد أنواع الأسلحة والمعدات وأكثرها تطورا من الناحية الالكترونية مما جعل هذا الصراع محور الاهتمام والتركيز .

فها هو الجنرال «ارمين تزيمومان » رئيس أركان حرب قوات المانيا الغربية يعلن أن قادة القوات الألمانية قرروا تحليل الدروس المستفادة من حرب الشرق الأوسط فى مؤتمر عسكرى اشترك فيه ٣٥٠ ضابطا من كبار ضباط القوات المسلحة الألمانية وقال : « أن الجانب الهام فى هذه الحرب هو نظريات الدفاع الجوى بعد أن تكبدت اسرائيل خسائر فادحة فى الطيران خلال الأيام الأولى للحرب » .

.. ومثلما فعلت القوات الالمانية فعل العديد من القوات المسلحة فى العالم ، واستقبلت قيادة قوات الدفاع الجوى المصرى منذ توقف القتال العشرات من الوفود العسكرية والملحقين العسكريين من كافة جيوش دول العالم ، جاءوا مبهورين بالنتائج الرائعة التى تناقلتها وكالات الأنباء خلال سير أعمال القتال ، يسعون للحصول على المزيد من أسرار اول حرب صواريخ فى العالم ويستمعون الى أولى الخبرات القتالية فى هذا الشان من رجال الدفاع الجوى المصرى الذين كان لهم شرف الريادة فى هذا المضمار .

.. وها نحن بالرغم من انقضاء هذه الفترة الطويلة على حـــرب اكتوبر المجيدة ، فما زالت مراكز البحوث ومعـاهد الاستراتيجية فى العالم تخرج علينا فى كل يوم بالمزيد من الدروس والخبرات المســتفادة من هذه العمليات . ونحن بدورنا لم نتوقف لحظة ، منذ أن بدأ القتال فى السادس من أكتوبر ٧٣ وحتى الآن ، عن التحليل والدراسة ، ولقــد خرجنا بالعديد من الدروس والخبرات وجـــدت طريقهـا الى التطبيق والتنفيذ الفعلى فى جميع المجالات ..

* الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ٧٣ مـــن وجهـــة نظر الـــدفاع الجـــوى

لا أنوى التعرض بالتفصيل الى جميع الدروس والخبرات المستفادة من حرب اكتوبر ٧٣ فى مجال الدفاع الجوى ، فبعضها ينبغى أن يظل من حقنا وحدنا فقد قدمنا من اجله أعظم التضحيات وبذلنا له ارواح اعز الشهداء ومعركتنا مع العدو لم تنته بعد .. وعلى ذلك رأيت أن اكتفى باستعراض بعض من هذه الدروس وراعيت فى اختيـــارهـــا أن يكون لها وزنها وتأثيرهـــا الملمـــوس بحيث لاتخفى عـــلى البـــاحث المتخصص .

اولى واعظم الحقائق :

هناك حقيقة اساسية وراء كل الانتصارات التى تحققت وقد رأيت فى البداية بالرغم من ايماننا العميق نحن رجال الدفاع الجـــوى بهـــا عدم تسجيلها باعتبار أنها لا تقتصر فقط على دور الدفاع الجوى فى حرب اكتوبر بل تتسع لتشمل كل شىء وأى شىء . ولكن فى النهاية وجـــدت اننى لا اقوى على تجاوزها فهى الحقيقة التى تعلو فوق كل الحقـــائق .. وهى ان كل ما تحقق وما لم يتحقق انما يرجع أولا واخيرا لمشيئة الله عز وجل ، ولولا توفيقه سبحانه وتعالى ماكان بمقدورنا مهما فعلنا ان نحقق أيا من هذه الانتصارات ، فلقد كان الله معنـــا بقـــدر ماكنا نحن

معه ، على عكس الأمر فى حرب يونيو ٦٧ فلقد تخلى الله عنـا بقـدر ماكنا نحن بعيدين عنه » .

.. وبعـد تسجيلنا لهـذه الحقيقة ، يمكننا الآن أن نستعرض ـ دون خشية الوقوع فى محظور الغـرور والخيـلاء ـ أبرز الدروس والخبرات المستفادة دون أن نغفل لحظة انهـا جميعها ابرزتها انجازات واعمال ما كان من الممكن أن تتم لولا جهد الرجال وتضحية الشهـداء وتوفيق الله وهداه . وينبغى أن أشير الى أن الدروس والخبـرات المستفادة التى اخترت ابرزها لـم أتعمد ترتيبها وفقا لأى اعتبار ، بل تركت الأمـر رهنا فقط بترتيب ورودهـا فى الذهن والخـاطر ، ولى فى ذلك قصد لا يخفى على القـارىء ..

١ ـ انهيار نظرية الكيف الاسرائيلى فى مواجهة الكم العربى :
Quality Versus Quantity

لقد اثبتت نتائج المعارك التى خاضها رجال الدفاع الجـوى المصرى ضد القوات الجوية الاسرائيلية بطلان نظرية التفـوق الاسرائيلى التى تقوم على ان التفوق النوعى لاسرائيل كفيـل بهـزيمة الـكم المتخلف العربى . فلقد اثبت رجال الدفاع الجوى المصرى أن التفوق العـلمى والتكنولوجى والمقدرة على استيعاب واستخدام الأسـلحة الحـديثـة والمعقدة وبصفة خاصة الأسلحة الالكترونية ليس حـكرا على شعب من الشعوب ، فقد استطاع المقاتل المصرى بالايمان العميق والتنظيم الجيد والتخطيط العلمى أن يستـوعب اعقد المعدات واكثرهـا تطـورا وأن يطوعها لارادته ويكون سيدا لهـا فأحرز بها نتائج تفوق بكثـير ما قدره لهـا صانعوها .

وها هى نماذج لبعض تعليقات المعلقين العسكريين التى أعلنوا بها للعالم بطلان نظـرية التفوق الاسرائيلى .. ، فتقـول مجلة « تايـم » الامريكية فى عـددها الصـادر يوم ٥ نوفمبر ٧٣ مانصـه : « ان

التكنولوجيا المصرية قد جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال قد ذهب فى ذمة التاريخ » .

وها هو شاهد من أهلها .. فقد نشرت الجيروزاليم بوست نقلا عن احد قادة القوات الجوية الاسرائيلية ما نصه : « ان الدفاع الجوى المصرى يتمتع بكفاءة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب ، تفوق تلك التى واجهها الأمريكيون فى فيتنام » .

ويقول الخبير العسكرى الأمريكى «ميدلتون» فى تحليل له نشر يوم ١٥ اكتوبر ٧٣ : « من المرجح أن السلاح الجوى الاسرائيلى سيقاتل وهو لا يتمتع بميزة التقدم التكنولوجى ويتفق الخبراء فى شئون الطيران على أن القتال فى جبهة سيناء قد اظهر مقدرة مصر على توفير دفاع جوى متماسك لقواتها البرية ..»

٢ ـ الدفاع الجوى يمكنه تحييد القوات الجوية :

يعتقد العديد من الخبراء العسكريين فى العالم أن أبرز دروس حرب أكتوبر ٧٣ هو تلك الحقيقة الجديدة التى اثبتتها قوات الدفاع الجوى المصرية فلقد أصبح فى مقدرة أى جيش يمتلك شبكة متطورة من وسائل الدفاع الأرضية تحييد القوات الجوية فى ميدان القتال حتى ولو كان يواجه عدوا جويا متفوقا .

فلقد جاء فى «الهيرالدتريبيون» فى مقال بقلم « دروميدلتون » تحت عنوان (الولايات المتحدة تنتقد اسرائيل بسبب اخطائها فى الحرب) ما نصه : « دلت جميع التقارير على ان المخابرات الاسرائيلية كانت تتصرف تحت تأثير فكرة متسلطة عليها تتمثل فى ان مصر لا تستطيع الهجوم الا اذا توافرت لديها قوات جوية كافية لتوجيه ضربة قاصمة للسلاح والقواعد الجوية الاسرائيلية ، ولم تضع فى اعتبارها أن نيران الدفاع الجوى الأرضية يمكنها تحييد القوات الجوية فى معركة هجومية وهو عنصر المفاجأة فى الموضوع » .

ويقول « الجنرال أندريه بوفر » أبرز قادة الفكر العسكرى المعاصر فى ندوته التى عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية بالقاهرة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ : « لقد أدى توفير الصواريخ المضادة للطائرات لتقديم الوقاية الفعالة للقوات البرية ـ حتى فى غياب الحماية بواسطة الطائرات ـ أدى الى خلق موقف جديد تماما لم يسبق ممارسته فى الحروب السابقة واعنى به ذلك التوازن بين القوات الجوية لدى الطرفين الذى خلق موقفا يختلف تماما عما لمسناه فى الحرب العالمية الثانية ، أو فى الجولات المصرية الاسرائيلية السابقة ، عندما كان أحد الخصوم ينجح فى احراز التفوق أو السيطرة الجوية على سماء المسرح خلال المرحلة الافتتاحية أو المرحلة الأولى للحرب » .

٣ ـ الدفاع الجوى يشارك فى احراز المفاجأة :

لقد اسهمت قوات الدفاع الجوى المصرى باضافة هامة لفنون الحرب عندما شاركت لأول مرة فى تاريخ الحروب بالعمل الايجابى النشط فى تحقيق المفاجأة التى أحرزتها القوات المصرية بنجاح كامل . فلقد استطاعت شبكة الصواريخ المضادة للطائرات المصرية ـ عن طريق تصديها المستمر والفعال لطائرات الاستطلاع الجوى الاسرائيلى طوال فترة وقف اطلاق النار التى سبقت حرب أكتوبر ٧٣ ـ أن تجبر العدو الاسرائيلى على التخلى نهائيا عن هذا الأسلوب لجمع المعلومات ووفرت بذلك أفضل الظروف للقوات البرية للتحضير لعمليات أكتوبر المجيدة وهى فى أمان بعد أن حرمت العدو من أهم مصادره لجمع المعلومات ونحن اذ نسجل هذه الحقيقة التى اعترف بها العالم كما أوضحنا فى الفصل السادس لا نغفل عما يجرى الآن من تطوير فى وسائل ومعدات الاستطلاع الجوى ؛ فلا شك ان هذا الانجاز الذى حققته قوات الدفاع الجوى المصرية قد اسهم بقدر عظيم فى دفع عجلة برامج تطوير معدات التصوير والاستطلاع الجوى والالكترونى بما يمكنها من آداء عملها

دون الدخول فى نطاق نيران أسلحة الدفاع الجوى ، ولكن بالرغم من ذلك فسيظل لهذا الانجاز قيمته وفعاليته لعدة سنوات قادمة ، فالأقمار الصناعية ليست فى متناول الجميع وليست كل الدول بقادرة على امتلاك طائرات استطلاع جوى مثل الطائرة الأمريكية SR-71 أو الطائرة السوفيتية « فوكس بات » .

٤ ـ الحروب الحديثة باهظة التكاليف :

هناك نظرية معروفة فى العلم العسكرى تقول « ان كل ما يمكن رؤيته يمكن ضربه » . ولكن النتائج المذهلة التى حققها الاستخدام المكثف للصواريخ المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات بواسطة القوات المصرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ أجبرت مراكز الأبحاث العسكرية فى العالم على تعديل هذه النظرية لتصبح : «ان كل ما يمكن رؤيته يمكن ضربه وما يمكن ضربه يمكن تحطيمه » . وهذه الصيغة الجديدة تعنى فى علم التقديرات العسكرية تعاظم الخسائر ومعدلات الاستهلاك ، الأمر الذى ينبغى أن يوضع فى الاعتبار عند تخطيط وتقدير الاحتياطيات . ولقد أغفلت اسرائيل تطبيق هذا المبدأ مما جعلها تواجه موقفا عصيبا خلال الأيام الأولى لحرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما فقدت كل مخزونها من المعدات والذخائر ، ولولا مسارعة الولايات المتحدة الأمريكية لنجدتها من الاحتياطى الاستراتيجى للقوات المسلحة الأمريكية لكانت هزيمتها كاملة .

ويعتبر هذا الدرس من أبرز الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ٧٣ التى أولتها الدوائر العسكرية العالمية اهتماما بالغا ، فحلف الأطلنطى يعيد حساباته لأى مجابهات قد تقع مستقبلا مع حلف وارسو طبقا للصيغة الجديدة للنظرية السابق الاشارة اليها ، كما اتجهت الدوائر العسكرية الأمريكية الى ادخال معدلات الخسائر المتوقعة وفقا لنتائج حرب أكتوبر ٧٣ كأحد العوامل الرئيسية التى تحكم تحديد القدرات

الانتاجية للتصنيع الحربى ، فعلى سبيل المثال تقرر زيادة الانتاج الشهرى للدبابات فى الولايات المتحدة الأمريكية من ٣٠ دبابة شهريا خلال عام ١٩٧٣ الى ٦٤ دبابة خلال عام ١٩٧٥ وسيزداد ليصل الى ١٠٠ دبابة شهريا فى فبراير ١٩٧٧ ومن المنتظر أن يبلغ ١٢٠ دبابة شهريا فى يناير ١٩٧٨ . ومن البديهى أن ما ينطبق على الدبابات ينطبق أيضا على الطائرات وغيرها من معدات واسلحة القتال .

٥ ـ الاعاقة الألكترونية يمكن مقاومتها :

لقد كانت حرب أكتوبر ٧٣ هى أول حرب الكترونية فى التاريخ فقد شهدت هذه الحرب استخداما مكثفا لكل ما توصل اليه العلم والتكنولوجيا فى هذا المجال وواجهت قوات الدفاع الجوى المصرى فى هذه الحرب احدث ما انتجته الترسانة الأمريكية من معدات وفنون الاعاقة الألكترونية بكافة صورها وأشكالها .. وتشهد النتائج التى احرزتها قوات الدفاع الجوى المصرى فى حرب أكتوبر ٧٣ بأن هذه الاعاقة لم يكن لها التأثير ولا الفعالية التى كانوا ينشدونها منها ، وبذلك امكن لقوات الدفاع الجوى المصرى تحقيق المبدأ القائل « ان أى جهاز رادار يمكن اعاقته ، وايضا كل اعاقة يمكن مقاومتها » .

« Any radar can be jammed, any jammer can be countered »

وقد اعترف القادة الاسرائيليون بفشل اعمال الاعاقة الألكترونية ضد الدفاع الجوى المصرى فى حرب أكتوبر ٧٣ ، وان كانوا قد حاولوا التهوين من امر هذا الفشل بالتشكيك فى جدوى الاعاقة الألكترونية أصلا . فقد نشرت مجلة « افييشن ويك » فى عددها الصادر فى ١٠ مارس ١٩٧٥ ما نصه « ان القوات الجوية الاسرائيلية تشكك فى قيمة اعمال الاعاقة الالكترونية فى حرب أكتوبر ، وبالاضافة الى ذلك فقد صرح احد جنرالات القوات الجوية الاسرائيلية قائلا « ان

وسائل الاعاقة الالكترونية تشبه تزويد جندى المشـاة بمجموعة اسعافات أولية بدلا من تزويده بعدد اضافى من الطلقات لبندقيته » .

ويرجع الفضل فى نجاح قوات الدفاع الجوى المصرية فى مقاومة اعمال الاعاقة الالكترونية الى العديد من الاجراءات التى اتخذت قبل واثناء القتال ، واذا كان الوقت لم يحن بعد للكشف عن ماهية هذه الاجراءات لأسباب لا تخفى على أحد ، الا أنه يمكن بصفة عامة تلخيص هذه الاجراءات فيما يلى :

- تعديلات فنية فى معدات الدفاع الجوى علاوة على ما تشـمله أصلا من دوائر الكترونية مضادة لتأثير أعمال الاعاقة الألكترونية المعادية
- أساليب مبتكرة للتمويه والخداع الألكترونى .
- التدريب الطويل المستمر تحت ظروف أعمال الاعاقة الألكترونية المحتملة .

وبالرغم من الامكانيات الكبيرة التى تتوافر حاليا لدى قوات الدفاع الجوى المصرى فى هذا المجال ، فما زالت هذه القوات تعمل بصفة مستمرة على رفع قدراتها فى العمل تحت ظروف أعمال الاعاقة الألكترونية واضعة فى اعتبارها كل ما تزود به العدو من وسائل جديدة فى هذا المجال بعد حرب أكتوبر وهى تتابع فى يقظة وحذر الأبحاث الجارية حاليا لتطوير معدات وأساليب الحرب الالكترونية .

٦ ـ وحدة القيادة ضمان للنجاح :

هناك موضوع ظل لفترة طويلة مثار مناقشات ودراسات متعددة . وهو البحث عن أنسب أسلوب لتنظيم السيطرة على قوات الدفاع الجوى بشقيها ، دفاع جوى الدولة الذى يختص بحماية الأهداف الحيوية الهامة فى الدولة ، ودفاع جوى القوات البرية الذى يختص بوقاية القوات البرية خلال المراحل المختلفة للقتال . فبعض الدول تأخذ بفكرة وحدة القيادة بمعنى أن يكون هناك قائد واحد يتبعه كلا

النظامين ، ودول أخرى تأخذ بفكرة الفصل بأن تكون هناك قيادة لقوات دفاع جوى الدولة وقيادة أخرى مستقلة لدفاع جوى القوات البرية ، ولقد دخلنا الحرب ونحن نأخذ بمبدأ وحدة القيادة وكانت حرب أكتوبر ٧٣ هى المحك العملى الوحيد لاثبات صلاحية النظام الذى اخترناه من عـدمـه ..

والآن وعلى ضوء الممارسة العملية ، يمكننـا أن نقرر فى ثقة أن توحيد مسئولية القيادة والسيطرة على جميع عناصر الدفـاع الجـوى أمر بالغ الأهمية لضمان استخدام كل الامكانيات المتوفرة بناء عـلى فكرة شاملة لقيادة واحدة ينجمع عندها الموقف بجميـع أبعـاده ويتقرر بواسطتها اتجاهات ومهام التشكيلات والوحـدات المرءوسة ، علاوة على ما يتيحه ذلك من توفير امكانيات اكبر فيما يختص بالنواحى المختلفة لتامين اعمـال قتال عناصر الدفاع الجوى .

وينبغى هنا أن نؤكد أن اقرارنا لمبدأ وحدة المسئوليـة لا يعنى التجاوز عن تفهم اختلاف طبيعة عمل عناصر دفاع جوى القوات البرية وما يتطلبه ذلك من نوعية خاصة من المعدات والأسلحة تتميز بخفة حركة عالية وتدريب مناسب وما يستتبع ذلك من اختلاف فى أساليب التدريب والاعداد للقيادات والقوات ونظام السيطرة عليها فى المراحل المختلفـة للقتال . ولذلك نرى أن الحل المناسب هو ايجاد جهاز مختص ضـمن أجهزة قيادة الدفاع الجوى وتحت السيطرة المباشرة لقائد الدفـاع الجوى يتولى مهام التخطيط والتدريب والاعداد لعناصر د جو القوات البرية ، وبذلك نجنى ثمار وحدة المسئولية مع عدم اغفال حتمية النزوع الى التخصص .

٧ ـ نظرة جديدة الى التوازن بين عناصر الدفاع الجوى :

يرى كثير من المفكرين العسكرين أن النتائج الرائعة التى احرزتها وسائل الدفاع الجوى الارضية المصرية سيكون لها انعكاسات خطيرة

على النظم الدفاعية وسياسات التسليح لمعظم الجيوش فى العالم ، خاصة فيما يتعلق بالتوازن بين عناصر الدفاع الجوى الأرضية والمقاتلات الاعتراضيــة .

فعلى سبيل المثال صرح خبـير عسكرى بريطانى بارز هـو «البريجادير كينيت هانت » نائب مدير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بقوله :

« ان حرب الشرق الأوسط قد غيرت بالفعل أفكارا عديدة عن التوازن بين الطائرات المقاتلة ووسائل الدفاع الجوى الأرضية ، وبين الدبابات والسلاح المضاد لها ، فلقد واجهت السيطرة التى تمتع بها دائما السلاح الجوى الاسرائيلى تحديا خطيرا من جانب الصواريخ المصرية كما أصبح تفوق الدبابات الاسرائيلية فى المعركة موضع شك كبير أيضا » .

فقبل حرب اكتوبر ٧٣ كانت أنظمة الدفاع الجوى فى معظم دول العالم وعلى وجه الخصوص فى دول حلف الأطلنطى تعتمد أساسا على الطائرات المقاتلة باعتبارها العنصر الرئيسى« main element » فى الدفاع الجوى ، ويقتصر دور الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات كعناصر مساعدة لتوفير الدفاع المضاد للطائرات المباشر عن بعض الأهداف الحيوية ، ولعل ذلك يفسر تركيز مصانع الأسلحة فى دول حلف الأطلنطى انتاجها أساسا فى مجال الدفاع الجوى على نوعيات معينة من الصواريخ المضادة للطائرات وهى الصواريخ م/ط الخفيفة قصيرة المدى ، فى الوقت الذى تكاد تخلو فيه ترسانة الأسلحة الغربية من الصواريخ المضادة للطائرات متوسطة وبعيدة المدى .

واختلف الحال بعد ٦ اكتوبر ٧٣ فقد أجبرت النتائج التى أحرزتها قوات الدفاع الجوى المصرية الدوائر العسكرية الغربية على اعادة النظر فى أنظمة دفاعها الجوى فيما يختص بالتوازن بين الطائرات المقاتلة

والصواريخ المضادة للطائرات وأكدالعديـد من المفكرين العسـكريين الغربيين على أهمية الدور الذى يجب أن تلعبه الصـواريخ المضـادة للطـائرات ، فاذا كـانت الطـائرات المقـاتلـة هى العنصر الرئيسى « Main element » فالصواريخ المضادة للطائرات ينبغى أن تكون العمود الفقرى « Backbone » للدفاع الجوى .

وانعكست هذه الأفكار على خطط التصنيع العسكرى وسياسات التسليح ، فرصدت الولايات المتحدة الأمريكيـة مبالغ طائلة لتطويـر وتصنيع طراز جديد متطور من الصواريخ المضادة للطائرات « SAM-D » ذات امكانيات كبيرة من ناحية المدى والارتفاع والقدرة على الاشتباك مع عدة أهداف فى نفس الوقت « أى متعدد قناة الهدف » .

وعلى ضوء هذا المفهوم الجديد حاول فريق من الباحثين العسكريين ايجاد نسب محددة تحقق التوازن بين كل من المقاتلات الاعتراضـية والصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات ، وخلص بعضهم الى انه ينبغى عند تخطيط الدفاع الجوى عن هدف حيوى ما ان يخصص الحجـم اللازم من الوسائل بما يحقق أن تقوم المقاتلات الاعتراضية بتدمير ٤٠٪ من الطائرات المعادية المستهدف تدميرها وتقوم الصواريخ المضـادة للطائرات بتـدمـير ٤٠ ٪ بينما تتولى المدفعيـة المضادة للطـائرات والصواريخ الفردية تدمير ٢٠٪ ، أى انه اذا كان المطلـوب لافشـال هجمة جوية ما هو تدمير خمس طائرات معادية فعلى المقاتلات تدمير طائرتين ، ومثلها للصواريخ بينما تتولى المدفعية المضـادة للطـائرات والصواريخ الفردية تدمير الطائرة الخامسة .

وبالرغم مما يبدو على وجهة النظر هذه من وجاهة الا اننـا لا نستطيع أن نؤيدها بصورة مطلقة ، فالأمر لا ينبغى أن يؤخذ بجمود أو ببساطة ، فالنسب بين عناصر الدفاع الجوى التى تحقـق التوازن المطلوب ينبغى أن تختلف من اتجاه لآخر وبين هدف حيوى وغـيره وفقا لحجم وشكل وطبيعة ومكان الهدف الحيوى وشكل وطبيعـة

الهجمات المتوقعة ضده ، كما تختلف النسب عند تخطيط الدفاع الجوى عن القوات البرية طبقا لاتجاه المجهود الرئيسى وطبيعة مسرح العمليات وقرب أو بعد المطارات التى تعمل منها المقاتلات . وفى جميع الأحوال يجب أن يتم التقدير لكل حالة فى اطار من التقدير الشامل لحجم القوات الجوية المعادية وتكتيكاتها وأساليب قتالها .

٨ ـ المعادلة الصعبة بين التكنولوجيا المتطورة وسهولة الاستخدام :

أجمع العديد من المفكرين العسكريين على أن حرب أكتوبر ٧٣ تعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ الحروب ، فلقد أبرزت تلك الحرب ان التكنولوجيا اصبحت تمثل عنصرا ذا أهمية متزايدة فى الحرب الحديثة ، ولا شك ان هذه الحقيقة تفرض اعادة النظر فى العديد من المفاهيم والنظريات العسكرية التى ظلت سائدة لفترة طويلة من الزمن ولعل ابرز المشاكل التى تواجهها الآن الجيوش الحديثة تلك المشكلة الناشئة من الاتجاه المتزايد نحو استخدام الأسلحة المتطورة المعقدة Sophisticated modern Weapons فمعظم هذه الأسلحة تتطلب أفرادا ذوى خبرة ودراية عالية وعلى مستوى نفسى وعقلى عال Sophisticated men الأمر الذى يؤكد أن القوة العسكرية لأى دولة لم تعد تقاس بصورة مطلقة وفقا للعناصر المكونة لها من تسليح وقوة بشرية وانما اصبحت تقاس بصورة نسبية وفقا لنوعية القوة البشرية وقدرتها على استيعاب الأسلحة والمعدات المتطورة . والمشكلة أن الأمر لا يقتصر فقط على توفر النوعية المناسبة من الأفراد بل ينبغى أيضا أن يتيسر الوقت اللازم والكافى ليمكن لهؤلاء الأفراد استيعاب الأسلحة المتطورة والتفاعل معها فى مجال التصنيع الحربى لانتاج أسلحة متطورة عالية الكفاءة وتكون فى نفس الوقت سهلة الاستخدام والصيانة ويمكن للفرد التعامل والتفاعل معها واكتساب الخبرة والدراية اللازمة وهو ما يتعارض مع فترة التجنيد المحدودة المعمول بها فى معظم جيوش العالم

وهكذا لم يعد هناك فى مواجهة هذه المشكلة سوى أحد حلين : اما العمل على زيادة فترة التجنيد أو تركيز الجهود فى مجال التصنيع الحربى لانتاج اسلحة متطورة عالية الكفاءة ، وتكون فى نفس الوقت سهلة الاستخدام والصيانة ، ويمكن للفرد التعامل والتفاعل معهما بسهولة وكلا الحلين شاق وصعب ، فزيادة فترة التجنيد تتعارض مع خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كما أن تصنيع أسلحة متطورة وفى نفس الوقت سهلة الاستخدام يتطلب تكاليف باهظة ولعل ذلك يفسر الاهتمام البالغ الذى أولته الدوائر العسكرية فى العالم للنتائج الرائعة التى أحرزتها صواريخ الكتف المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات فى حرب أكتوبر ، فهذه الصواريخ تعتبر نموذجا رائعا لما يجب أن تتجه اليه التكنولوجيا فى المجال العسكرى لايجاد أسلحة متطورة ذات فاعلية عالية وتتميز بسهولة الاستخدام ولا تتطلب تكاليف باهظة .

٩ ـ تجديد شباب الأسلحة والمعدات :

من المعروف ان من أولى واجبات اى قيادة عسكرية القيام بعملية تقييم مستمرة للأسلحة والمعدات المتوافرة فى أيدى قواتها على ضوء التطوير فى أساليب ومعدات وأسلحة الخصم ، وعليها اذا احتاج الأمر أن تتخذ القرارات بالتخلى عن اى أسلحة ومعدات يثبت تخلفها وعدم قدرتها على مجاراة التطور فى أسلحة ومعدات العدو ، وعليها فى هذه الحالة أن تعمل بكل الوسائل على توفير بديل مناسب .

ولا ندعى أن حرب أكتوبر ٧٣ قد اثبتت بطلان هذه الاعتبارات ، بل على العكس فقد اكدت على أهميتها .. ولكن أبرزت هذه الحرب درسا مستفادا على قدر بالغ من الأهمية خاصة بالنسبة للدول النامية التى ترهقها الأعباء المالية الضخمة التى تترتب على ضرورة مسايرة التطور فى الأسلحة والمعدات ، فلقد اثبتت قوات الدفاع الجوى المصرى

انه يمكن عن طريق التطوير المستمر للاستخدام الفنى والتكتيكى وادخال تعديلات فنية اضافية على الأسلحة والمعدات المتيسرة رفع كفاءة هذه الأسلحة للاستفادة من أقصى امكانية لها فى مواجهة تطور المعدات والأسلحة المضادة ، وينبغى عدم اللجوء الى سلاح جديد الا كحل أخير .

١٠ ـ المدفعية المضادة للطائرات ما زال لها دور اساسى :

ارتفعت بعض الأصوات فى الدوائر العسكرية فى أعقاب حرب أكتوبر ٧٣ تعلن انتهاء دور المدفعية المضادة للطائرات على ضوء الانجازات الرائعة التى حققتها الصواريخ المصرية المضادة للطائرات فى هذه الحرب . ونبادر نحن على الفور ونعلن ـ من واقع الممارسة العملية ـ عدم موافقتنا على هذه الآراء ، فان المدفعية المضادة للطائرات الصغيرة العيار وذات معدلات النيران العالية ما زال لها دور فى معارك الدفاع الجوى الحديث فى المستقبل « not outdated » ضد الطيران المنخفض جدا ، خاصة عندما تعمل فى تزاوج مع الصواريخ المضادة للطائرات الخفيفة .

« Rockets with interlacing of small caliber anti-aircraft guns »

والى أصحاب هذه الأصوات نقول اسألوا الطيارين الاسرائيليين .. ماذا تعنى بالنسبة لهم المدافع المضادة للطائرات المتعددة المواسير عيار ٢٣ مم وهى تشترك مع صواريخ الكتف المنخفضة المعروفة باسم سام ـ ٧ فى مهمة حماية الكبارى والمعابر المقامة على القناة ضد الهجمات المنخفضة جدا ؟ ..

١١ ـ المراقبة الجوية بالنظر تؤكد دورها البارز فى معركة الدفاع الجوى:

أولت قيادة قوات الدفاع الجوى منذ انشائها اهتماما بالغا للمراقبة الجوية بالنظر فقامت بانشاء نظام متكامل من نطاقات نقط المراقبة الجوية بالنظر على طول الحدود شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ولقد

واجه هذا الاهتمام انتقادا عنيفا من البعض الذين استغربوا أن تبـــذل القيادة كل هذا الوقت والجهد لانشاء نظام بدائى فى نظرهم يعتمـــد اساسا على الفرد فى عصر الرادار والحاسبات الألكترونية ، ولكن كـان لنا رأى آخر أكدت التجربة العملية خلال حرب الاستنزاف وخــلال حرب أكتوبر ٧٣ صحته وجدواه فقد اسـتخدم نظام المراقبـة الجوية بالنظر جنبا الى جنب مع أعقد الأجهزة الالكترونية فى تجانس تام وذلك لتأكيد كشف طائرات العدو التى تحاول التخلص من الكشف الرادارى بالطيران على ارتفاعات منخفضة جدا أو عند محاولة العدو استخدام الاعاقة الالكترونيـة لارباك عمل أجهزة الرادار . وقد قام الرجال العاملون بنقط المراقبـة الجوية بالنظر رغم ظروف المعيشة الصعبة وبعد أماكن تواجدهم عن كل مظاهر الحياة الطبيعية بواجبهم خير قيام وشكلوا بذلك حزاما بشريا يطوق رقعة الوطن من كل اتجاه وكان لهم الفضل الأكبـر فى احباط محاولات العدو الجوى العديدة لمفـــاجأتنا واعترف بذلـك القادة الاسرائيليون حيث أطلق عليهم « موشى ديان » اسم « الحـزام الأسود اللعين » . ولقد لعبت نقط المراقبة الجوية بالنظر دورا هامــا فى التبليغ عن عمليات تسلل العدو البرى والبحرى والضفادع البشرية التى حاول العدو انزالها على سواحلنا الشمالية بالاضافة الى التبليغ عن نتائج المعــارك الجوية وأماكن تساقط طائرات وطيارى العدو ، كما كانت هناك نماذج رائعة من البطولة والتضحية قام بها أفراد المراقبـة الجوية بالنظر أثناء المعارك رغم تعرضهم للقذف الجـــوى والأرضى المعادى حيث قاموا بتغيير أماكنهم الى مواقع تبادلية واستمروا رغـم كل الظروف فى العمل والتبليغ عن النشاط المعادى .

١٢ ـ مبادىء الحرب صالحة للتطبيق أيضا فى الدفاع الجوى :

دأب المفكرون العسكريون ـ على مر العصور ـ على اســـتخلاص خبرات الحرب وصياغتها فى مبادىء تعتبر دليلا للنجاح فى أى صراع مسـلح .

ولقد تبلورت مبادىء الحرب من سنين طويلة واصبحت تتصف بثبات نسبى وان تطورت أساليب تطبيقهامع تطور فن الحرب واسلحته. ولقد ظن بعض الذين بهرهم التطور المذهل فى معدات واسلحة الدفاع الجوى والهجوم الجوى على السواء أن مبادىء الحرب هذه لن يمكنها ان تصمد أمام هذا التطور السريع ولن تصلح للتطبيق فى معارك تتصارع فيها العقول والحواسب الالكترونية وتحسم فى ثوان قليلة خاطفة .

.. وجاءت نتائج أعمال قتال قوات الدفاع الجوى المصرى فى حرب أكتوبر ٧٣ تبرهن على أن مبادىء الحرب صالحة تماما للتطبيق فى معركة الدفاع الجوى .

فالمفاجأة مثلا تم تحقيقها على المستوى الاستراتيجى والتعبوى كما اوضحنا فى فصل سابق ، اما على المستوى التكتيكى فقد حققت قوات الدفاع الجوى المفاجأة فى صور واشكال متعددة ، فعلى سبيل المثال كانت نوعية مقاتل الدفاع الجوى أعظم وأكبر المفاجآت ، فلقد كان هذا المقاتل بحق هو السلاح السرى الحقيقى الذى فاجأ العدو وليس كما ردد بعض المعلقين الغربيين الذين عزوا النجاح الى الصواريخ سام ــ ٦ تارة والى الصواريخ سام ــ ٧ تارة أخرى... .. ويعترف « موشى ديان » بذلك فى معرض حديثه عن الصواريخ المصرية اذ يقول : « لقد كان الجيش الاسرائيلى يعلم بوجود هذه الأسلحة ولكن عنصر الدهشة كان فى استخدام الجيش المصرى لهذه الأسلحة بكثافة وكفاءة »

والمفاجأة الأخرى التى حاول ديان انكارها فانها تكمن فى نجاح قوات الدفاع الجوى المصرى فى اخفاء حجم ونوعية العديد من الأسلحة الحديثة التى كان استخدامها بكثافة كبيرة فى المجهود الرئيسى فى حرب اكتوبر مفاجأة أخرى للقوات الجوية الاسرائيلية . وتشير الى ذلك الدراسة التى اصدرها اخيرا المعهد الدولى للدراسات

الاستراتيجية بلندن تحت عنوان « الحرب العربية الاسرائيلية اكتوبر ٧٣ ـ خلفية واحداث » اذ جاء بها مانصه : « وكان يبدو على الاسرائيليين اما انهم لا يعلمون بحصول العرب على صواريخ سام ـ ٦ وسام ـ ٧ والمدافع الرباعية ٢٣ مم أو انهم لا يقيمون وزنا لقدرة اعدائهم على استخدام اسلحتهم ، وليس من المحتمل ان تستخف اسرائيل بمثل هذا الأمر مرة أخرى » .

ولم تكن تلك فقط هى النواحي التى حققت فيها قوات الدفاع الجوى مفاجأة العدو الاسرائيلي فلقد فوجىء الطيران الاسرائيلى بعدم جدوى اعمال الاعاقة الالكترونية على كفاءة اداء قوات الدفاع الجوى المصرى التى نجحت فى اخفاء الترددات التى تعمل عليها معداتها والتى بدون معرفتها لا يمكن لأى اعاقة ان تنجح ، كذلك فوجىء العدو بالسرعة الفائقة التى كانت تتم بها المناورة بقواعد الصواريخ المضادة للطائرات التى ظنها ثقيلة وغير قادرة على الحركة السريعة .

ولقد تكبد الطيران الاسرائيلى خسائر فادحة عندما فوجىء بقواعد الصواريخ التى تصور انه تمكن من اسكاتها قد تم استعادة موقفها فى زمن قياسى وعادت تكبده الخسائر من جديد . وكانت معارك الدفاع الجوى فى بورسعيد خير نموذج لهذا النوع من المفاجأة .

والحشد انه اكثر مبادىء الحرب صعوبة فى التطبيق بالنسبة للدفاع الجوى .. فالأهداف الحيوية المطلوب توفير الدفاع الجوى عنها تنتشر بالعشرات باتساع رقعة الدولة وتوزيع المواد المتاحة من عناصر الدفاع الجوى على جميع هذه الأهداف لن يحقق شيئا سوى بعثرة الجهود وتشتيتها .. اذا فالأمر يحتاج الى تقدير متزن للموقف وقرار سليم يحدد لكل مرحلة من مراحل القتال أى الأهداف يتم تركيز الدفاعات عليها وحجم هذه الدفاعات ومتى ينبغى أن يتم الحشد ، ولعل القارىء يتفق معنا انها عملية بالغة التعقيد والحساسية ولكن بتوفيق

الله وهداه أمكننا تنفيذ الحشد المطلوب لوقاية الأهداف المستهدفة لهجمات العدو الجوية في مراحل القتال المختلفة بكفاءة تامة يشهد بها العدو نفسه . فلقد فوجىء في كل مرة حاول فيها مهاجمة هدف حيوى مهما كان موقعه ، ان عناصر الدفاع الجوى قد سبقته الى الهدف وكان ذلك دليلا أكيدا على أن قوات الدفاع الجوى المصرى تطبق الحشد على اروع صورة .

والمناورة وخفة الحركة او كما قال نابليون « السرعة السرعة ثم العمل « Speed, speed, action » لقد كان تطبيق هذا المبدأ يمثل تحديا لقوات الدفاع الجوى المصرية ، فمعظم قواعد الصواريخ التى نملكها وقتئذ من النوع المصمم اصلا لوقاية الأهداف الحيوية الثابتة . وكنا نعلم اننا اذا لم ننجح فى تطبيق هذا المبدأ فلن نحقق النصر .. وحققنا النصر لأننا نجحنا فى تحويل هذه المعدات النصف متحركة البطيئة الى معدات ذات قدرة أعلى على المناورة ، وقد أوضحنا فى فصل سابق الجهود الجبارة التى بذلت فى هذا الشأن .

ولم يكن ذلك كل شىء فقد تطلب الأمر انشاء شبكة من المواقع ومراكز القيادة التبادلية زودناها بوسائل المواصلات المختلفة لنضمن لأعمال المناورة النجاح . هذا ولأننا أعددنا أنفسنا جيدا للمناورة قبل بدء القتال ، فقد كان استخدامنا لها أثناء الحرب على أوسع نطاق ، وحققنا بها أهدافا عديدة ، اذ أمكننا تضليل العدو دائما عن حقيقة أوضاع قواتنا وتمكنا بذلك من مفاجآته بنيران مؤثرة من حيث لا يتوقع وبالمناورة ايضا امكننا تحقيق الدعم اللازم فى الوقت المناسب للاتجاهات الأكثر تعرضا ، كما لعبت المناورة دورا هاما فى أعمال استعادة الموقف واستعاضة الخسائر .

الاخفاء والخداع : كان تطبيق هذا المبدأ مجالا خصبا للمقاتل والمخطط المصرى لاستخدام ذكائه الفطرى ، ولقد حفل العمل فى هذا

المجال بالعديد من المبادرات الفردية والجماعية المنسقة التى حققت بتكاليف زهيدة نتائج رائعة وكان لها الفضل فى امتصاص مجهـــــود العدو الجوى والبرى على السواء الذى ضاع فى مهاجمة المواقع التبادلية والهيكلية ، كما كان لأعمال الخداع الالكترونى دور بارز فى اربـــاك طيارى اسرائيل وافقادهم الثقة فى معداتهم وأسلحتهم .

نظرة الى المستقبل

.. والآن ينبغى علينا أن نتساءل . ترى مـاذا يحمل لنا المستقبل فى طياته من تحديات للدفاع الجوى ؟ .

ان الكابوس الذى يؤرق القيادة الاسرائيلية هو ذلك النظـــام المتكامل للصواريخ المضادة للطائرات الذى تمتلكه مصر والذى لقنهم فى حرب اكتوبر درسا لا ينسى ، لقد جربوا فى تلك الحرب أحـــدث التكتيكـات وأسـاليب القتـــال واستخدموا احـدث وسـائل الاعاقة الالكترونية واكثرها تطورا كما جربوا ازدواج الأعمال البرية مع القصف الجوى ضد مواقعنا ، ولم تفلح كل هذه الاجراءات .. وفقدت اسرائيل اطمئنانها فقد كانت قواتها الجوية هى عنصر الردع الرهيب الـــذى يكفى أن تلوح به لترتعد فرائص العرب وتخمد حماستهم ويستسلموا للأمـــر الواقـــع ..

.. ولكن ها هو الدفاع الجـــوى المصرى ينجح فى تقـــليص دور الطيران الإسرائيلى وتحييده فى أثناء الحرب ، ولم يجد قائد القـــوات الجوية الاسرائيلية وقتئذ بدا من الاعتراف بالحقيقة حيث أعلن عقب انتهاء حـــرب اكتـــوبر : « ان على اسرائيل أن تتخلى عن أى أمل فى اصابة الدفاع الجوى المصرى بالشلل فى اى حرب قادمة اعتمادا على كفاءة الطيارين الاسرائيليين » .

وبعد ماحصلوا على الصواريخ أرض / أرض « لانس » قالــوا انها ستستخدم اساسا ضد قواعد الصواريخ المضــادة للطائرات وأنهم بذلك وجدوا الحل لمشكلة تحدى الصواريخ المضادة للطائرات للطــيران الاسرائيلى ، ولكن يبدو بعد ان راجعوا انفسهم وجدوا أن هذا الحــل أيضا غير كاف ، فلجأوا الى الصواريخ « بيرشنج» فلما تعذر عليهــم الحصول عليها ، فكروا فى قنابل الارتجاج وطلبوها بالحاح من الولايـات المتحدة الأمريكية لتكون سلاح الردع الجديد ضد قواعد الصواريـــخ المضادة للطائرات المصرية . ولم تستجب الولايات المتحدة الأمريكية فجن جنونهم وارتفعت بعض الاصوات داخـل اسرائيل تلوح بالــردع النووى ونسوا أن لعبة الردع النووى ليست لعبـة الـدول الصغيرة وعلى اسرائيل أن تتحمل النتائج المترتبة على محاولة ادخال الأسلحة النووية الى المنطقة ..

والآن نعود الى المستقبل وما يحمله لنا من تحديات للدفـــاع الجــوى .

ونطمئن القارىء أن اجابتنا على هذا التساؤل لن تكون نوعــا من التخمين ، بل هى حصيلة متابعة دقيقة يقظة وواعية لكل ما يصدر فى العالم من تحليلات ودراسات ولكل ما يجرى من أبحاث وتطورات .

والآن لنلق نظرة على المســتقبل .. نظرة تقودنا اليهـــا تلك الاتجاهات والآراء التى تبلورت لدى الدوائـر العسـكرية العالميــة والامريكية على وجه الخصوص على ضوء ما أسفر عنه الصراع بــين الدفاع الجوى المصرى والقــوات الجوية الاسرائيلية فى حــرب أكتوبــر ١٩٧٣ من نتائج وخبرات .

.. وتتلخص هذه الاتجاهات فيما يلى :

اجمعت الآراء على أن اسـلوب الهجـوم المتعدد الاتجـــاهات «Multi directional attacks» أو ماكان يطلق عليه خلال الحرب العالمية

الثانية «Star raid» ما زال هو الأسلوب الشائع الاستخدام لاربـــاك وسائل الدفاع الجوى وتشتيت نيرانها وتقليل فعاليتها .

وهذا يتطلب استخدام قواعد الصواريخ المضـــادة للطائرات Multi target channels التى يمكنها الاشتباك مع عدة اهداف فى وقت واحد لزيادة امكانيات أى تجميع من قواعد الصواريخ المضـادة للطائرات المكلفة بالدفاع عن هدف جوى للتعامل مع مثل هذه الهجمات .

ـ مازال موضوع الانـذار الجـوى بالنسـبة للطيران عـلى الارتفاعات المنخفضة يشغل اهتمام مراكز الأبحاث العالمية ، والاتجـاه السائد الآن فى الدول المتقدمة هو استخدام طائرات السيطرة والانذار الجوى «AWAC'S» وطائرات الانذار الجوى «Airborne early warning AEW» أو مراكب الانذار الجوى «Picket ships» باعتبارها أفضل الوسائل لتوفير عمق كاف للانذار الجوى خاصة على السواحل ولسد الثغـرات فى مجال الكشف الراداري على الارتفاعات المنخفضة فى الانســاق الأولـى .

تتجه الأبحاث الآن الى اعطاء مزيـد من العناية للطـيران على الارتفاعات العالية جـدا بعكس الحـال قبل حرب أكتوبر حيث كـان أسلوب الطيران المنخفض هو الأسلوب السائد فقد أوضحت نتـائج أعمال القتال ان وسائل الدفاع الجوى الحالية محدودة الامكانيات فـى التعامل مع الطائرات الأسرع من الصوت التى تطير على ارتفـاعـات عـاليـة جـدا مثـل الطـائرات الأمريكيـة SR-7I والطائرة السوفيتية « فوكس بات » وهذا يتطلب تطوير الصواريخ المضادة للطائرات مـن ناحية زيادة عمق منطقة التدمير على الارتفاعات العالية مع القدرة عـلى توجيه الصواريخ ضد مثل هذه الطائرات التى تطير بسرعـات عاليـة تبلغ ضعف سرعة الصوت أو أكثر .

ـ تتركز الأبحاث فى الولايات المتحـدة الأمريكيـة على تطـوير

معدات الاعاقة الالكترونية لزيادة فعاليتها ضد محطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ المضادة للطائرات على ضوء نجاح الدفاع الجوى المصرى خلال حرب أكتوبر ٧٣ فى التغلب على وسائل ومعدات الاعاقة الالكترونية الحالية . كما تحظى الابحاث الخاصة بتطوير أجهزة الانذار التى تزود بها الطائرات باهتمام خاص نتيجة لنجاح المصريين فى اعاقتها وخداعها . وتجدر الاشارة فى هذا المجال الى الجهود المكثفة التى تبذل حاليا لابتكار الوسائل التى تقاوم الصواريخ المضادة للطائرات التى توجه بالأشعة تحت الحمراء . وجميع هذه الجهود التى تستهدف اضعاف فاعلية وسائل الدفاع الجوى يقابلها جهود موازية فى الاتجاه المعاكس لزيادة قدرة أسلحة الدفاع الجوى على مقاومة الاجراءات الالكترونية والحرارية المضادة ، ويبرز فى هذا الشأن زيادة الاعتماد على وسائل التنشين التليفزيونى واستخدام أشعة الليزر ، وان كنا نضيف من واقع خبرتنا العملية الى هذه الاجراءات التكنولوجيةالأهمية القصوى التى تلعبها الابتكارات والمبادرات الخلاقة فى أساليب الاستخدام التكتيكى والفنى لمقاومة الاجراءات الالكترونية والحرارية المضادة .

ـ كانت الخسائر الفادحة التى تكبدتها اسرائيل فى الطائرات والطيارين على وجه الخصوص الدافع الرئيسى وراء الاهتمام البالغ الذى تحظى به حاليا الطائرات الموجهة بدون طيار « RPVs » والتى يؤكد الخبراء العسكريون على ضرورة استخدامها بكثافة كبيرة للميزات العديدة التى تحققها فهى رخيصة التكاليف وتوفر الطيارين ويمكن استخدامها فى جميع الأغراض سواء للاستطلاع بالتصوير أو للقصف وخاصة القصف الانتحارى« Kamikaze Missions »أو للاعاقة الالكترونية وتتميز هذه الطائرات بصعوبة اكتشافها وتدميرها بوسائل الدفاع الجوى لصغر حجمها مما يجعلها وسيلة للمشاغلةواستنزاف نيران عناصر الدفاع الجوى وتشتيتها . وتتركز الابحاث الآن للعمل على تصغير حجمها

« Mini RPVs » وزيادة السرعة والقدرة على المناورة وتحسين وسائل التحكم فيها ويتطلب التعامل مع هذه الطائرات ضرورة ان يتوفر لمحطات توجيه الصواريخ المضادة للطائرات قدرة عالية على الالتقاط والتتبع بالاضافة الى توفير نوعيات خاصة من الصواريخ ذات طابات على درجة عالية من الحساسية ، وعلاوة على ذلك بل وفى المقام الأول أطقم قتالية جيدة التدريب .

ـ تتركز الجهود حاليا لتطوير وانتاج ما اصطلح على تسميته بأسلحة الخمد« Suppression Weapons »وهى أسلحة تتميز بالقدرة على احباط الدفاعات الجوية الأرضية ومعداتها وتكتيكاتها وهى على أشكال متعددة وتختلف فى وسائل توجيهها الى أهدافها ، فمنها ما يستخدم أشعة الليزر ، وما يستخدم أسلوب التنشين التليفزيونى ، وبعضها يستخدم الأشعة الكهرومغناطيسية التى تشعها وسائل الدفاع الجوى المعادية ، بينما أنواع منها تستخدم الاشعاع الحرارى المنبعث

من معدات الخصم ، ولكن الاتجاه السائد فى تطوير جميع هذه الأنواع هو امكان اطلاقها من مسافات بعيدة خارج مدى نيران وسائل الدفاع الجوى الأرضية . ويتطلب ذلك ضرورة توفير أجيال جديدة من اسلحة الدفاع الجوى تتميز بطول المدى واتساع عمق منطقة التدمير علاوة على أهمية المناورة واعمال الاخفاء والتمويه لخداع العدو عن الحدود الفعلية لهذه المناطق بالاضافة الى الدور الرئيسى الذى ينبغى أن تقوم به المقاتلات فى مقاومة الطائرات المعادية التى تحمل هذه الأسلحة .

ـ تحظى الطائرات الهليكوبتر بنصيب وافر من الاهتمام فى مجال التطوير والأبحاث ، فقد أصبحت الطائرات الهليوكوبتر الهجومية Advanced Attack Helicopter احدى الركائز الأساسية لأى جيش مقاتل حديث وتتجه الأبحاث الآن لزيادة قدرتها على المناورة وتقليل حجمها لتصبح بعد تسليحها بالصواريخ المضادة للدبابات السلاح

الرئيسى ضـــــد المدرعات والبحريـــة ، خاصـــة وانها تمثل بالنسبة للدفاع الجوى صعوبات متعددة لقدرتها الفائقة عــلى استغلال طبيعة الأرض فى الاقتراب المستتر الى أهدافهـــا وزمن تعرضـــها المتناهى فى الصغـــر علاوة على ما تمثله السرعة البطيئة من صعوبــــة بالنسبة لأجهزة الرادار المصممة خصيصا للكشف المنخفض . كما تتركزالأبحاث حاليا لتقليل الناتج الحرارى من الماكينة ليصعب اصابتها بالصواريخ المضادة للطائرات التى توجـه على المصدر الحـرارى .وفى مقابل ذلـك تتجه الأبحاث العسكرية لانتاج أنظمة صاروخية مضادة للطائرات قادرة على مواجهة التحدى الذى تمثله الطائرات الهليكوبتر الهجومية ، ويبرز فى هـذا المجـال الاتجـاه الى ابتكار طرق جديدة فى توجيه المقذوفات سواء باستخدام أشعة الليزر أو بالاعتماد على درجة التباين«Contrast» فى شدة الاضاءة بين الهدف الجوى والارض الخلفية . كمـــا يعتبر التطوير فى مجال استخدامها الهليكوبتر منطلقـــا جديدا لتطوير مقابل فى المدفعية المضادة للطائرات لرفع قدرتها على التعامل مع هـــذا النـــوع من الأهداف الجوية بزيادة المدى المؤثر لها ليمكنهـــا تدمير الطائرات الهليوكبتر الهجومية خـارج مدى الصواريخ المضادة للدبابات المسلحة بها هذه الطائرات .

ــ ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نشير الى اتجاه بعض الخبـــــراء العسكريين للتركيز على أسلوب ازدواج العمليات الجوية والبرية فـى نفس الوقت ضد وسائل الدفاع الجوى باعتباره أسلوبا ثبت نجـاحه فى فيتنام وكان من الممكن أن ينجح فى الجبهـــة المصرية عندمـــا نجحت عناصر مدرعة اسرائيلية فى التسلل الى الضفة الغربية لقناة السويس ، لولا أن هذه العناصر اهدرت مجهودها ونيرانها ــ بسبب عـدم دقـــة المعلومات لديها ــ فى ضرب مواقع اتضح فيما بعد أنها هيكلية . هذا علاوة على الكفاءة غير العادية التى ابداها المصريون فى المناورة بالقواعد الحقيقية الى مواقع تبادلية خارج منطقة الجيب الاسرائيلى . وهـــذا

الاتجاه يفرض ضرورة التركيز على تأمين الدفاع والأمن المحليين لمواقع الرادار وقواعد الصواريخ لتكون قادرة على التعامل مع العدو الجوى والأرضى فى نفس الوقت .

.. والآن قد يتساءل القارىء .. وماذا نحن فاعلون فى مواجهة كل هذه التطورات ؟

وبالطبع لن نجيب على هذا التساؤل بشكل محدد حتى لا نعلن على الملأ خطتنا واتجاهات تفكيرنا . ولكن سنكتفى بأن نستعرض فى ايجاز المطالب الرئيسية التى ان توفرت لأى نظام دفاع جوى كفلت له التصدى بكفاءة لأحدث وسائل الهجوم الجوى وأكثرها تطورا .

وتتلخص هذه المطالب فيما يلى :

ــ أن يبنى النظام على قادة وضباط وأفراد جيدى الاعداد والتدريب والمعنويات ، حيث أن النجاح يتوقف أساسا على مدى كفاءة الفرد الذى يقف خلف المعدة .

ــ أن يحق النظام مبدأ التكامل ، أى يتحقق مبدأ استخدام عائلة من الأسلحة المتباينة الخواص ، نظرا لانه يتعذر على أى سلاح بمفرده صد التهديد الجوى المعادى وبالتالى يجب أن يشتمل نظام الدفاع الجوى على نوعيات مختلفة من الأسلحة والمعدات التى تضمن تنفيذ مهام الدفاع الجوى بكفاءة .

ــ أن يشمل النظام ، علاوة على ذلك ، نظاما آليا للقيادة والسيطرة وارسال المعلومات وتحليلها وتصفيتها ، مما يساعد القادة مركزيا ولا مركزيا على اتخاذ القرارات المناسبة فى التوقيتات المناسبة لمجابهة التطور المطرد فى سرعات وتكتيكات وسائل الهجوم الجوى ، بالاضافة الى أن ذلك يحقق الاشتباك مع جميع الطائرات المعادية مع تأمين سلامة الطائرات الصديقة .

ـ أن يتسم نظام الدفاع الجوى بالميزات الآتية :

* الاستعداد الكافى للاستجابة لأقل زمن انذار ممكن .

* السرعة فى التعامل مع الأهداف الجوية المعادية للتغلب على مشكلة القصر المتناهى فى الوقت المتيسر لنظام الدفاع الجوى لتنفيذ مهامه القتالية .

* مرونة كافية فى استخدام عناصر الدفاع الجوى بالشكل الذى يحقق الاستغلال الكامل لخواص أسلحة الدفاع الجوى المختلفة النوعية .

* القدرة على الاستمرار فى القتال أثناء الهجمات الجوية المعادية وتحت ظروف استخدام العدو لكافة أشكال الاعاقة الالكترونية .

* قوة وقدرة فائقة على تدمير العدو الجوى أو تحييده لمنعه من تنفيذ مهامه القتالية لما تتميز به الأسلحة الجوية الحديثة من قوة تدميرية هائلة

* امكانية استخدام أسلحة الدفاع الجوى بالكثافة والحشد الكافيين فى الاتجاهات الرئيسية مع امكانية المناورة الى الاتجاهات الأخرى طبقا للموقف ، مع الاصرار على مبدأ التكامل فى جميع المناطق الدفاعية لتغطية كافة الارتفاعات ومواجهة مختلف أساليب الهجوم الجوى ..

ـ أن تتمشى الأسلحة مع المهام المخصصة لها ، فمثلا يجب أن تتميز أسلحة الدفاع الجوى المكلفة بمهمة توفير الوقاية للقوات البرية بخفة الحركة وبقدرة على المناورة تتناسب مع خفة حركة هذه القوات .

ـ أن تتميز اسلحة نظام الدفاع الجوى بالقدرة على العمل بكفاءة تحت ظروف التطور المنتظر لأسلحة الخمد المعادية مع ضرورة الاشتراك الفعال للمقاتلات المزودة بأسلحة جـو / جـو متطورة فى صد الهجمات على طرق الاقتراب البعيدة خارج مدى نيران وسائل الدفاع الجـوى الأرضـيـة .

خاتمة

.. بهذا نكون قد سجلنا نشأة « القوة الرابعة » وأبرزنا الخلفية الصلبة التى دفعت بها من نجاح .. الى نجاح وما حققته خلال حرب أكتوبر المجيدة من بطولات وأمجاد سجلها لها التاريخ بأحرف من نور وبمداد من العزة والفخار لكل جندى يستظل بسماء هذا الوطن الفسيح الأرجاء ، الوطن العربى ، ولكل مواطن يعيش على تراب هذه الأرض الطاهرة .

.. وفى الختام نرجو أن نكون قد وفقنا فى سرد وبلورة أفكارنا وخبراتنا التى اكتسبناها نتيجة العرق والجهد والدم على مدى مايقرب من الأربعين عاما فى مجال الدفاع الجوى فى هذا الكتاب وبذا نكون قد نجحنا فى اضافة سفر جديد الى المكتبة العسكرية العربية يرقى الى مستوى خدمة أهدافنا فى تحرير الأرض واستعادة الحق المغتصب .

وان أملنا فى المستقبل كبير ، فاننا نسير بخطوات ملؤها العزة والثقة بالنفس وحافزها روح ٦ اكتوبر والنظرة المشرقة الى مستقبل لتحقق فيه بعون الله الآمال ونفوز فيه بالنصر المبين بقيادة رئيسنا المؤمن وقائد مسيرتنا محمد أنور السادات .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

« والله ولى التوفيق »

تعريف المختصرات

م/ط : مختصر « مضاد للطائرات »

سعت : مختصر « فى ساعة .. وتاريخ .. »

د/جو : مختصر « دفاع جوى »

سطع : مختصر « استطلاع »

